من تفسير وتأملات

الآباء الأولين

أيوب

الجزء الرابع

أصحاحات 32-42

2006

القمص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج

باسم الآب والابن والروح القدس

الله الواحد، آمين

اسم الكتاب: أيوب، جزء 4.

المؤلف: القمص تادرس يعقوب ملطي.

الطبعة: الأولى2006.

الناشر: كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج.

المطبعة: الأنبا رويس (الأوفست)، بالعباسية القاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب: 18508 /2004

I.S.B.N. 977- 17-1810- X

الباب الرابع

خطب شعرية يلقيها أليهو
أيوب 32-37

خدمة أليهو

لم يعد أحد على المسرح، فقد جلس أصدقاء أيوب الثلاثة على الأرض، ليس لديهم كلمة واحدة ينطقون بعد بها. ولم يعد أمام أيوب بعد دفاع أكثر مما نطق به، فصارت الحاجة إلى تدخل وسيط، وكان أليهو هو ذاك الوسيط الذي ظهر في هذه الأصحاحات.

تدخل أليهو

يتعجب بعض الدارسين لتدخل أليهو في النهاية، بدون مقدمات، ودون ذكرٍ له. فظن البعض أن الوحي الإلهي ألهم أحد رجال الله ليضع هذه الأصحاحات (32–37). لكن تدخل أليهو هنا طبيعي، فهو كشابٍ كان يليق به أن ينتظر حتى يُفرغ الشيوخ ما في جعبتهم، وهذا ما كان متبعًا في القديم، خاصة في الشرق الأوسط. لم يتدخل قبل ذلك، لأنه لم يرد أن يقاطع الشيوخ، كما أراد أن يتأنى ليرى ويدرس فكر كل شيخٍ أو فيلسوفٍ منهم، ويرى ما تسفر عنه هذه المناظرات في النهاية. كان أليهو يجيد الاستماع، ينصت إلى المباحثات والمناظرات بين الشيوخ، الآن يتقدم مستأذنًا أن يُعَّبر عن رأيه اللاهوتي في المشكلة.

غالبًا ما كان أيوب يختم حديثه في كل مرة مع أصدقائه بصرخةٍ موجهة إلى الله، والآن إذ كَّف الأصدقاء عن الحديث، بدأ يتدخل أليهو كاستجابة لصرخات قلب أيوب. فقد خدم أليهو كمن جاء سابقًا لوجه الرب، يُعد له الطريق، حيث يأتي الرب في الزوبعة (ص 38 الخ).

قدم أليهو أربعة أحاديث: (32:6–33: 33؛ 34: 1–37؛ 35: 1–16؛ 36: 1–37: 24)

ببدء حديثه يمكن القول إنه قد انتهى ليل المباحثات الطويل، وبدأ فجر يوم الحكمة يشرق ليبدد الظلمة. **امتاز أليهو بإدراكه وتقديره لغنى نعمة الله التي لم ينشغل بها الشيوخ كثيرًا، لقد قدم شيئًا جديدًا ونافعًا.**

سبب تدخل أليهو

العامل الرئيسي الذي دفع أليهو للكلام **إدراكه أن أصدقاء أيوب قد فشلوا في الرد على تساؤلات أيوب بخصوص أحكام الله نحو الأبرار والأشرار في العالم** ، كما تطلعوا إلى قضية أيوب بمنظارٍ خاطئٍ، أو غير كاملٍ.

ومن جهة أخرى **لام أليهو أيوب أنه وإن كان بارًا، غير أنه تطلع إلى الله كمن يعامله كعدوٍ** . أنصت أليهو إلى صرخات أيوب طالبًا وسيطٍ للتدخل بين الله وبينه، ولعله ظن أنه قادر أن يقوم بهذا الدور، لكن أليهو لا يختلف عن أيوب، فإن كليهما مخلوقان من تراب، وكلاهما نفخ فيهما الله نسمة الحياة [١–٧].

كان أليهو يود أن يدفع أيوب عن كبريائه ليمارس التوبة ، فلا يموت في خطيته [١٧–١٨]. لعله أشار إلى أنه إن هدأ أيوب عن صرخاته، فسيقدم له الله رؤيا أو حلمًا يفسر له الأمر.

خصائص خطب اليهود

1. من خصائص خطابات أليهو **وجود شعور عميق بلحترام الله، هذا ووجهة نظرهعن الخطية أعمق من التي ظهرت في خُطب الأصحاب الآخرين** . ونلمح في أخلاقه الأدب والتواضع، كما يتحلى بالجراءة واحترام الآخرين غير أنه غير مُستعبد لأراء العامة، بل مُنقاد بالروح القدس. كان أليهو بمثابة رسول أرسله الرب لأيوب يحمل له البشارة الصحيحة عن خطة الله في التجارب، وظهور الله كمعلمٍ مصممٍ على قيادة الإنسان عن طريق التهذيب بالألم إلى طريق أكثر حكمة للحياة. لقد تكلم أليهو، وأظهر لأيوب أن تأديبات الله ليست بروقًا تظهر فجأة في الجو ولا نعلم مكان حدوثها، بل هي معاملات أبٍ حكيمٍ محبٍ، يهبنا فهمًا لإدراكها، حيث وضّح العهد الجديد إننا نؤدب الآن في الرب لكي لا نُدان مع العالم (1 كو 11: 32).

2. **برز أليهو كوسيطٍ**، ولكن شتان بينه وبين السيد المسيح كوسيطٍ للعهد الجديد. من حيث أليهو لم يحل اللغز كاملاً، لأنه مجرد رمز.

3. أوضح أليهو أنه يوجد **سبب آخر للألم** ، ليس كعقابٍ للخطية، بل **كوسيلة لتشجيع أولاد الله وتنقيتهم وتطهيرهم** . وفي هذه الحالة لا يُعبر الألم عن غضب الله، بل يكون مجرد تأديب صادر من أبٍ محبٍ، بذلك مهد أليهو الطريق لمجيء ربنا يسوع.

4. يبين أليهو سبب سكوته بأن الأصحاب المتكلمين كانوا شيوخًا محترمين وهو صغير السن، لكنه تدخل وتكلم عندما فشل الأصحاب في الرد على شكوك ومخاوف أيوب، بالإضافة إلى **احترام إعلانات الله التي يمكن أن تُكشف للشباب كما للشيوخ** . فالسكوت الآن معناه احترام للناس أعظم من احترامه لإلهه.

5. يتحدى أليهو أيوب ليتكلم إذا كان عنده أي شيء يستحق أن يُقال (31–33)،

وإن لم يستطع أن يقول كلام حكمة فليصغِ إليه، إذ يبدأ في تفنيد شكاوى أيوب.

تفنيد شكاوى أيوب

1. تفنيد شكوى أيوب الأولى: في ظن أليهو أن أيوب اشتكى من **استبداد الله في أعماله**، وإنه إله غير عادل في تصرفاته مع عدم مراعاة البرّ في معاملات الله له. يؤكد أليهو أن الله عادل، وأن الإنسان يحصد ما يزرع، سواء كان الزرع شرًا أو صلاحًا، وأن السلطان المطلق خاص بالله وحده، وهو أكبر من أن يدركه الإنسان (أي 12:33). إن علم الله الكامل يضمن عدله، وإنه يجري عدله لخير الناس (30). ثم يسأل أليهو أيوب: هل يجوز لأي إنسان أن يملي على الله نوع التأديب الذي يقع عليه؟ (31–32)

2. تفنيد شكوى أيوب الثانية: وهي **إن البرّ لا يجلب منفعةً للبار** ، فلا يكون أفضل مما لو كان خاطئًا فاجرًا. إذا كان الله يظهر كأنه غير مكترثٍ بصراخ المتضايق (أي 9:35، 12). فهو لا يجهل الشر، والدعوة تأتي أمامه، وأنه يتدخل في عدلٍ. وعندما يتألم الأبرار ويصرخون إلى الله ولا ينالون فرحًا، فذلك لأنهم لا يطلبون الطلبة الصحيحة، يكونون مثل الحيوانات يصرخون لمجرد كونهم يتألمون، ينقصهم شعور الثقة والإيمان بحكم الله البار. لهذا لا يحصلون على جواب، لأنهم متكبرون، والله لا يسمع للباطل والمتكبر.

نظرة أليهو اللاهوتية

بعدما صحح أليهو ما ظنه خطأ في آراء أيوب، يبدي ما يظهر له أنه إدراك أصح لله، ويمكن أن يقسم إلى ثلاثة أقسام:

(1) **عظمة الله بإظهار عنايته في معاملة الناس** (أي 1:36–25)، مثل قوله إن الأشرار لا يثبتون، وأن الله لا يحول نظره عن الأبرار، وإنهم إذا كانوا يصابون فلأجل خيرهم لكي يكونوا مستعدين لقبول التعليم.

(2) **تُظهر ظواهر الأفلاك العجيبة عظمة الله** : وهي فقرة مليئة بجمال التعبير الأدبي (أي 26:36– أي 37: 13). وذلك مثل تكوين المطر، والرعد، والثلج، والجليد والغيوم.

(3) **دعوة أيوب إلى التأمل جيدًا في كلمات الله العجيب** (أي 14:37–24)، وأن ما يظهر ظلمًا من الله إنما نراه كذلك بسبب قصر نظرنا، ويمكن إصلاحه بالتقوى الحقيقية. ثم يعلن أليهو لأيوب الموقف الذي يجب أن يتخذه. "ادعُ الرب، فيستقبلك الرب. قل:

أخطأت، وما أتبعت الوصية، ولكن الله لم يجازني حسب أعمالي، بل افتدى نفسي من الهبوط إلى الموت، فبقيت حيًا أبصر النور".

وحدة أحاديثه

مع ما اتسمت به أحاديث أليهو من وقفات كثيرة (34: 1؛ 35: 1؛ 36: 1)، لكنها تمثل وحدة واحدة متكاملة [1].

1. اعتذاره بالحديث في مجلس للشيوخ (32: 6–22).
2. إجابات لاهوتية عن شكوى أيوب (33: 8–11؛ 34: 5–9؛ 35: 2–3؛ 36: 17 الخ).
3. استعرض في إجاباته نعمة الله (33: 12–33).
4. استعرض أيضًا برّ الله (34: 10–36: 25).
5. أبرز أيضًا سلطان الله وقوته (36: 26–37: 14).

ملاحظة

يتطلع البابا غريغوريوس (الكبير) إلى أليهو الشاب بكونه يمثل المعلمين أو الكارزين الذين لهم معرفة صادقة وإيمان مستقيم، لكنهم متكبرون. لهذا كثيرًا ما يفسر كلمات أليهو وتصرفاته من هذا المنظار. وهي وجهة نظر يرفضها بعض الآباء، وحرصًا على عدم تشتيت فكر القارئ آثرت عدم عرضها.

[1] *Wycliffe Bible Commentary.*

اَلأَصْحَاحُ الثَّانِي وَالثَّلاَثُونَ

ليتحدث أيضًا الشاب!

لم يُذكر أليهو قبل ذلك ربما لأنه واحد من بين جمهورٍ كثيرٍ ممن أحاطوا بأيوب، لا عمل لهم سوى الاستماع للحوار الذي دار بين أيوب وأصحابه. أما ما شجعه على الحديث فهو سماعه أن الحكمة نازلة من عند الله، توهب للفتيان كما للشيوخ [٦-١٠]. يرى كثير من الدارسين أن أليهو، وإن كان لم يقدم نقاطًا جديدة جديرة بالاستحقاق، لكنه تكلم بدافع جديد ورغبة في التمتع بالحق [٢١-٢٢].

1. ظهور أليهو 1- 5.

2. التزامه بالتدخل 6 – 10.

3. بصبرٍ احتمل ما سبق فقالوه 11 – 13.

4. أعماقه تدفعه للتدخل 14 – 21.

1. ظهور أليهو

فَكَفَّ هَؤُلاَءِ الرِّجَالُ الثَّلاَثَةُ عَنْ مُجَاوَبَةِ أَيُّوبَ،

لِكَوْنِهِ بَارًّا فِي عَيْنَيْ نَفْسِهِ [1].

توقف الأصدقاء الثلاثة عن الحديث، إما لأنهم رأوا الله نفسه يدافع عنه بكونه بارًا، أو لأن أيوب يحسب نفسه بارًا، فلا نفع من الحوار معه. والواقع الحقيقي أنهم فشلوا في تأكيد اتهاماتهم ضد أيوب لأنهم حملوا في قلوبهم وأفكارهم نية غير صادقة، فجاءت اتهاماتهم لا وزن لها.

"**لكونه بارًا في عيني نفسه**" جاء هذا النص في الترجمة السبعينية والسريانية والعربية القديمة والكلدانية "لكونه بارًا في **أعينهم**". فقد اقتنعوا أنه بار، وأن اتهاماتهم لا أساس لها.

جاء النص في ترجمة سيماخوس *Symmachus* "لكونه ظهر بارًا أكثر منهم"[أ].

في الأصحاحات السابقة رأينا أيوب لا ينكر أن له خطايا، وأنه كان يعترف بها،

---

[1] *Adam Clarke Commentary,*

لكنه كان متألمًا لما حلّ به مما شوَّه صورته وأعثر أصدقاءه فيه.

❖ لم يكن لديهم إجابة على هذا (أي على قول أيوب)، فصمت أيوب ليعطيهم الكلمة. ولما كان قد نال الشهادة من الله (أنه بلا لوم) أغلقوا أفواههم.

"**لأن أيوب كان بارًا أمامهم** "... لقد غيروا رأيهم السابق، إذ بحديثهم ضد أيوب يدينون الله. لاحظوا أنه في كلا الحالتين يوجد عدم تناسب. لقد دانوا أيوب كما الله أيضًا، وشهدوا ضد الاثنين. **أما الله فلم يدافع عن نفسه ، وإنما دافع عن أيوب، متجاهلاً الدفاع عن نفسه.** فقد جذب الأنظار إليه (1: 8)، كما قال أيضًا عن أيوب: "لم تقولوا الصواب عن عبدي" (راجع 42: 8). ففي هذا كله احتمل الله أقصى درجات الظلم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الله في محبته لمؤمنيه يدافع عن هم، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي. فيقول المرتل: "أصرخ إلى الله المحامي عني" (مز 57: 2). "الرب يحامي عني. يا رب رحمتك إلى الأبد، عن أعمال يديك لا تتخلَ" (مز 138: 8) أما عن الجماعة فقيل: "وأحامي عن هذه المدينة، لأخلصها من أجل نفسي، ومن أجل داود عبدي" (إش 37: 35؛ 38: 6؛ زك 9: 15).

في وسط اتهامات أقرب من لنا ترتفع أنظارنا إلى ربنا يسوع بكونه الحصن الذي نلجأ إليه، ملجأ خلاصنا، والمدافع عنا.

❖ "صرت رجائي، وبرجًا في وجه العدو" (مز 61: 3). يقول: قلبي ثائر، فقد اتحدوا معًا من أقصى الأرض، وصرت أعاني وسط التجارب والهجوم... **داخل الكنيسة تعاني الحنطة من عنف القش** . وسط كل هذه الأمور، إذ يضطرب قلبي أصرخ من أقاصي الأرض.. المسيح نفسه هو البرج. يجعل نفسه برجًا من وجه العدو، وهو أيضًا الصخرة التي تُبني عليها الكنيسة. أتريدون ألا تُضربوا من الشيطان؟ اهربوا إلى البرج. لن يمكن لسهام الشيطان أن تتعبكم في ذلك البرج. هناك ت حتمون وتثبتو ن... البرج أمامكم . استدعوا المسيح في أذهانكم، وادخلوا البرج! [1]

القديس أغسطينوس

---

[1] *On Ps. 61:4.*

فَحَمِيَ غَضَبُ أَلِيهُوَ بْنِ بَرَخْئِيلَ الْبُوزِيِّ مِنْ عَشِيرَةِ رَامٍ.
عَلَى أَيُّوبَ حَمِيَ غَضَبُهُ،
لأَنَّهُ حَسَبَ نَفْسَهُ أَبَرَّ مِنَ اللهِ [2].

"**أليهو**" اسم عبري معناه "إلهي هو"،

يشير بالغضب هنا إلى انفعاله الداخلي وغيرته العظيمة للدفاع عن عدل الله وبرَّه ورعايته.

❖ "**على أيوب حمي غضبه، لأنه حسب نفسه بارًا أمام الله** " [2]. غضب أليهو، ليس لأن أيوب أعلن أنه بار، وإنما لأنه **فعل هذا أمام الرب**، حيث حسب الله شاهدًا، أو ظن بأن أيوب أراد أن يدين الله. فتبريره لنفسه لم يكن بذي أهمية، وإنما أن يفعل ذلك بقصد إدانة الهو، فهذا خطأ. يقول الكتاب:**لا تبرر نفسك أمام الرب**" (سيراخ 7: 5)...

هل هذا حدث؟ لم يكن فكر أيوب هكذا. أليهو هو الذي فهمه بهذه الطريقة، أما أيوب فلم يقل إنه أبرّ من الله، بل بالحري كانت فكرته أن الله هو المسئول عن نكباته. مع هذا لم يسئ إلى الله متهمًا إياه بالظلم، إنما هذا ما فهمه أليهو.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"**أَلِيهُوَ**" أو "الله هو يهوه". جاء اسمه وشخصيته يعلنان عن دوره كرسولٍ بين الله وأيوب، يهيئ الأخير ليتمتع برؤية الله القادم في الزوبعة. حمل ظلاً للوسيط الحقيقي ربنا يسوع (أي 33: 23–26).

برخئيل: تعني "الله يبارك"، وقد أشار اسم أليهو واسم والده أن هذه العائلة اتسمت بالتقوى، ولم تمارس العبادة الوثنية.

البوزي: كان بوز الابن الثاني لناحور، أخ إبراهيم (تك 22: 21)، وقد دُعيت هذه المنطقة في الصحراء العربية على اسمه، ورد اسم مدينة بوز في إر 25: 23؛ ربما أخذت اسمها عن العائلة. ويرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن كلمة "**بوزي**" تُترجم "خسيس".

يرى بعض الربيين **والقديس جيروم** أن أليهو هو بلعام بن بعور. ويرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن أليهو كممثل للكارزين المتكبرين يقدم لنا تفسيرًا لاسمه واسم والده واسم عشيرته، فإنهم وإن كانوا لا يعيشو ن حسب وصايا الرب، إلا أنهم يعرفون الله أنه ربهم. وإذ يتمتعون ببركة النعمة الإلهية في بلاغة حديثهم، لكن في سلوكهم المتكبر يظهرون أنهم محتقرون

ويرى *Dr. Hodges* **أن أليهو هو إحدى ظهورات الأقنوم الثاني، وأن غاية السفر كله التركيز على شخص أليهو، وإبراز دوره في إقناع أيوب أن تبريره لا يقوم على اعتداده بأعماله الصالحة وتمسكه ببرِّه الذاتي، وإنما بالإيمان بالقادر أن يبرر.**

ليس من بين آباء الكنيسة من نادى بهذا الرأي، لكن يمكن القول أنه كان رمزًا للسيد المسيح القادم لتحقيق الوساطة والمصالحة، فيبرر المؤمنين السالكين فيه بالروح والحق.

رام: رام – آرام هو ابن أخ بوز، ولعل أيوب كان من جيل سابق لأليهو، إذ كان يكبره في السن. ويرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن كلمة أن "**رام**" معناها "مرتفع". المؤمنون الحقيقيون مرتفعون، إذ يمكنهم أن يقولوا مع الرسول بولس: "فإن محادثتنا نحن هي في السماوات" (في 3: 20).

"**لأنه حسب نفسه أبرّ من الله** "، لعله يقصد "لأنه حسب نفسه بارًا أمام الله". جاءت الترجمة الحرفية: "**برّر نفسه** *his soul* **أمام الله**". لقد دافع لا عن سلوكه فحسب، وإنما أيضًا عن أفكاره ودوافعه الداخلية.

اختلف أليهو عن الأصدقاء الثلاثة من جهة نية الطرفين، إذ لم يحمل أليهو حقدًا أو حسدًا من جهة أيوب مثل هؤلاء الأصدقاء. ومن جانب آخر لم يتهمه بأنه مرتكب شرور خفية خطيرة أو أنه مرائي، إنما ما انتقده فيه، أنه في حديثه لم يبرر الله، بل ما كان يشغله هو تبرير نفسه أمام الله كما أمام الناس حتى وإن كان خشيه أن يتعثروا فيه كرجل الله.

وَعَلَى أَصْحَابِهِ الثَّلاَثَةِ حَمِيَ غَضَبُهُ،
لأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا جَوَابًا،
وَاسْتَذْنَبُوا أَيُّوبَ [3].

لقد أدانوا أيوب، لكنهم عجزوا عن الإجابة على حججه بصفة عامة، وفي تبريره لنفسه. حقًا لقد جلسوا صامتين، لكنهم لم يغيروا أفكارهم من جهته، وفي نفس الوقت فشلوا في الرد عليه.

ما أخطأ فيه أصدقاء أيوب هو عدم تمتعهم بروح الحنو مع إنسانٍ مُجرب متألم مثل أيوب. لقد اتهموه بالرياء وأنه شرير، ومع عجزهم عن إثبات ذلك لم يريدوا أن يتراجعوا. لقد بلغوا إلى النتيجة والحكم على إنسان مقدمًا قبل محاورته، ولم يكن في حوارهم هدف سوى تحطيمه تمامًا.

لعل من سمات أليهو الرائعة، أنه وقد امتلأ قلبه حنوًا على أيوب، لكنه كوسيطٍ بين الطرفين، **لم يأخذ موقف المحاباة لأيوب على حساب أصدقائه، بل برقةٍ وتعقلٍ أبرز خطأ الطرفين**. لقد بدأ بأيوب حتى يعطي للأصدقاء الفرصة أن يقبلوا كلماته بجديةٍ، ويعيدوا تقييم حوارهم مع أيوب.

وَكَانَ أَلِيهُو قَدْ صَبِرَ عَلَى أَيُّوبَ بِالْكَلاَمِ،
لأَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْهُ أَيَّامًا [4].

انتظر أليهو حتى صمت الشيوخ وتوقفوا عن الكلام. بانتظاره أظهر حكمة الشيوخ وهو شاب؛ فقد صمت حين تكلموا، ليس لأنهم كانوا أحكم منه، وإنما لأنهم كانوا أكبر منه سنًا. التزم بالترتيب الحسن والتدبير اللائق، وعندما صمتوا عن فشلٍ مع إصرار على ما في فكرهم تكلم بروح الحق في جرأة مع تعقل. وقد أوصى الكتاب المقدس بتكريم الشيوخ، ولكن في الرب:

"لا تهن أحدًا في شيخوخته، فإن الذين يشيخون هم منا" (سيراخ 8: 7).

"لا تزجر شيخًا، بل عظه كأبٍ، والأحداث كإخوة" (1 تي 5: 1).

لا تقبل شكاية على شيخٍ، إلا على شاهدين أو ثلاثة شهود" (1 تي 5: 19).

فَلَمَّا رَأَى أَلِيهُو أَنَّهُ لاَ جَوَابَ فِي أَفْوَاهِ الرِّجَالِ الثَّلاَثَةِ،
حَمِيَ غَضَبُهُ [5].

غار أليهو على الرب، فقد أخطأ أيوب بعدم تسليمه الأمر لله، حاسبًا أن ظلمًا قد وقع عليه. واعتبر أليهو صمت الشيوخ الثلاثة نوعًا من الرضًا والموافقة على رأي أيوب لذا غار على مجد الرب وحكمته.

2. التزامه بالتدخل

فَقَالَ أَلِيهُو بْنُ بَرَخْئِيلَ الْبُوزِيُّ:
أَنَا صَغِيرٌ فِي الأَيَّامِ، وَأَنْتُمْ شُيُوخٌ،
لأَجْلِ ذَلِكَ خِفْتُ، وَخَشِيتُ أَنْ أُبْدِيَ لَكُمْ رَأْيِي [6].

في العصور القديمة، خاصة في منطقة أسيا، لم يكن يُسمح للصغار الدخول في الحوار مع من هم أكبر سنًا، بل وأحيانًا يلتزم الصغير بالصمت قدر المستطاع في أي موضوع.

قوله: "**أنا صغير في الأيام**"، هو اصطلاح يشير إلى وجود فارق في السن، أيا كان قدره، كما قد يشير إلى أنه أقل منهم خبرة عبر الأيام لصغر سنه، لكنه لا يعني أقل منهم في الحكمة.

قُلْتُ: الأَيَّامُ تَتَكَلَّمُ،
وَكَثْرَةُ السِّنِينَ تُظْهِرُ حِكْمَةً [7].

يرى أليهو أن الحكمة لا تتوقف على خبرة السنوات المجردة. يمكننا أن نميز بين ثلاثة أنواع من الحكمة:

الحكمة **المكتسبة خلال خبرة الحياة**، هذه تنمو مع السنوات، يعتز بها الشيوخ.

والحكمة **كهبة طبيعية** قدمها الله للإنسان بوجه عام، إذ وهبهم العقل بالطبيعة (ع 8). وكثيرًا ما يكون بعض أبنائنا أكثر منا حكمة وذكاءً، وإن كانوا لا يتمتعون بذات خبرتنا.

وأخيرًا الحكمة **عطية روح الله**، يقدمها لأتقيائه.

مع اعتزازنا بالنوعين الأولين من الحكمة وتقديرنا لهما، لكن تبقى حكمة الله الفائقة هي موضوع طلبنا المستمر من الله. "هب لي الحكمة الجالسة معك إلى عرشك، ولا تنبذني من بين أبنائك" (حك 9: 4).

❖ كل هذه الحكمة والتعقل يوجدان في المسيح، وبالمسيح نفهم الله (الآب) ونراه، فما يتبقى من حكمة في العالم، وأية حكمة من هذا النوع خارج المسيح وبدونه تُحسب أمرًا فارغًا بلا قيمة ودنيئًا [1].

الأب ماريوس فيكتورينوس

❖ يقول سليمان في الجامعة إن عيني الحكيم في الرأس (جا 2: 14). أدرك بولس أهمية الرئاسة. لقد عرف لماذا توجد العينان في الرأس. إن كان المسيح هو رأس المؤمن، وعينا الحكيم في الرأس، فستكون كل حواسنا وعقلنا وفكرنا وحديثنا ومشورتنا (إن كان حكماء) هي في المسيح .

القديس جيروم

وَلَكِنَّ فِي النَّاسِ رُوحًا،

---

[1] *Maruis Victorinus: Epistle to Ephesians 1:1:8.*
[2] *Epistle to Ephesians, 3:6:17.*

وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ تُعَقِّلُهُمْ [8].

يُترجم النص العبري حرفيًا " **الروح نفسه**" ، فيعني أن الإنسان يوهب له الروح واهب الحكمة، أو روح الإلهام. سبق فكّرم أليهو الشيوخ من أجل خبرتهم، الآن يبرز أن **الحكمة هي عطية الله** ، يُمكن أن يتمتع بها الشيخ كما الشاب. الحكمة الحقيقية وإن لم تتجاهل الخبرة عبر الحياة، لكنها أساسًا هي إلهام من القدير، أو نسمة من القدير "نشمة شاداي *nishmat Shaday*".

يرى البعض أن كلمة "**روح**" هنا تشير إلى النسمة التي وهبها الله للإنسان (تك 2: 7)، فتعطيه فهمًا.

لَيْسَ الْكَثِيرُو الأَيَّامِ حُكَمَاءَ،
وَلاَ الشُّيُوخُ يَفْهَمُونَ الْحَقَّ [9].

مع كثرة الأيام قد ينال الإنسان خبرات نافعة سواء في حياته أو في حياة الآخرين يلتقي بهم ويتعامل معهم، وأيضًا قد يجمع الكثير من الأمثال المملوءة حكمة، ويحفظ بعضها عن ظهر قلب، ومع هذا قد لا يمارس الحكمة، ولا يتمتع بروح التمييز والفهم.

هذه هي الحجة التي يبرر بها أليهو موقفه أنه اقتحم الموقف ليتحدث بين شيوخ، ويشير إليهم ببعض الأحكام والنصائح، بل ويوبخهم.

يرى البعض أنه يتحدث عن الحكمة الموهوبة من الله، إذ قدم للإنسان نسمة حياة عاقلة. "يرجع التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها" (جا 12: 7). "يقول الرب باسط السماوات ومؤسس الأرض، وجابل روح الإنسان في داخله" (زك 12: 1).

لِذَلِكَ قُلْتُ اسْمَعُونِي.
أَنَا أَيْضًا أُبْدِي رَأْيِي [10].

يطلب أليهو من الشيوخ ألاَّ يحتقروه بسبب صغر سنه، إنما عليهم أن يسمعوه أولاً وعندئذ يفحصوا كلماته.

يليق بنا ألاَّ نستخف بمن هم أصغر منا سنًا، بل ننصت إليهم، يقول الحكيم: "ولد فقير وحكيم، خير من ملك شيخ وجاهل" (جا 4: 13).

3. بصبرٍ احتمل ما سبق فقالوه

هأَنَذَا قَدْ صَبِرْتُ لِكَلاَمِكُم.

أَصْغَيْتُ إِلَى حُجَجِكُمْ،

حَتَّى فَحَصْتُمُ الأَقْوَالَ [11].

كأنه يقول لهم: "كنت أنصت إلى كلامكم، وأصغي إلى حججكم، فوجدتكم محبين للجدال، تبحثون عن كلمات مجردة من هنا وهناك، ولم يشغلكم في الأمر سوى وجود كلمات أيا كانت لتحقيق ما في داخلكم من نحو أيوب، لا أن تتلامسوا مع الحق، وتقدموا حبًا. وهو بهذا يتهمكم على أسلوبكم في الحوار. فهو أسلوب من يريد أن يغلب ويتفوق بالكلمات، لا من يبني نفسه والآخرين. ما كان يشغلهم في كل حوارهم أن ينازعوا أيوب، وها هم قد فشلوا في نزاعهم العقيم.

❖ عندما تلتقي بإنسان محب للمجادلات، ويبدأ يجادل معك فيما هو بديهي وحق، اقطع الحديث وانسحب سريعًا، إذ تَحوَّل ذهنه إلى حجر.

فكما أن الماء يفسد أجود أنواع الخمور، هكذا المناقشات الغبية تفسد الفضلاء في السيرة وفي طباعهم [آ].

القديس أنطونيوس الكبير

❖ اهرب دائمًا من كل إنسان لا يكفّ عن المجادلة في حديثه.

❖ إذا ابتعدَت النفس من كل مناقشةٍ وتشويشٍ واضطرابٍ؛ فإنّ روح الله يدخل فيها وتلك التي كانت عاقرًا تصير مثمرة.

الأب بيمين

فَتَأَمَّلْتُ فِيكُمْ، وَإِذْ لَيْسَ مَنْ حَجَّ أَيُّوبَ،

وَلاَ جَوَابَ مِنْكُمْ لِكَلاَمِهِ [12].

أوضح فشلهم في الحوار، فقد عجزوا عن إقناع فكر أيوب وتغييره، كما فشلوا في تقديم إجابات مقنعة على أسئلته. لقد نطقوا بكمٍ هائل من الكلمات، عجزت عن إزالة ما في فكر أيوب.

[آ] الفيلوكاليا: 170 نصًا عن حياة القداسة، 44.

فَلاَ تَقُولُوا: قَدْ وَجَدْنَا حِكْمَةً.

اللهُ يَغْلِبُهُ لاَ الإِنْسَانُ [13].

هنا يبرز أليهو ما وراء حوارهم ومناقشاتهم، فقد ظنوا في أنفسهم أنهم قادرون على إقناعه بحكمتهم الخاصة، مع أن الإنسان يحتاج إلى إقناع داخلي صادر عن الله، الذي وحده يغلب الفكر ويُخضعه، الأمر الذي يعجز عنه الإنسان مهما كانت قدراته اللغوية والفلسفية.

لم يسمح الله لهم بالنصرة في حوارهم حتى لا يعتدوا بحكمتهم الذاتية.

4. أعماقه تدفعه للتدخل

فَإِنَّهُ لَمْ يُوَجِّهْ إِلَيَّ كَلاَمَهُ،

وَلاَ أَرُدُّ عَلَيْهِ أَنَا بِكَلاَمِكُمْ [14].

يقول أليهو: "إنني لست طرفًا في الحوار، فإن أيوب لم ينطق بكلمة واحدة ضدي، لهذا فإن حديثي لا يحمل انفعالات، أو يصدر عن إثارة داخلية، إنما ينبع عن الرغبة في الحق. وفي نفس الوقت سوف لا أتحدث معه بأسلوبكم المملوء عنفًا وجفاءً، فحمل غباوة خرجت من أفواهكم. هكذا دون محاباة، وفي غير تحيز أتكلم معه وأيضًا معكم".

تَحَيَّرُوا.

لَمْ يُجِيبُوا بَعْدُ.

انْتَزَعَ عَنْهُمُ الْكَلاَمُ [15].

يبدو أنه تحول بنظره إلى الحاضرين، وبدأ يتحدث معهم عن موقف الأصدقاء الثلاثة، حيث صاروا في حيرة، لم يستطيعوا أن يجيبوا بكلمة، فقد شعروا بأن كلماتهم لغو لا قيمة لها.

يرى *Good* أن الحديث هنا لا عن الأصدقاء، بل عن كلماتهم التي لم تعد تحمل أية فاعلية، تخرج من أفواههم لتتبدد في الهواء، لا تحمل أي معني؛ لا تقدم شيئًا جديدًا.

فَانْتَظَرْتُ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَتَكَلَّمُوا.

لأَنَّهُمْ وَقَفُوا لَمْ يُجِيبُوا بَعْدُ [16].

يقول أليهو أنه ينتظر من الأصدقاء أن ينطقوا بكلمة، ويجيبوا على أيوب، وإذ صاروا بُكم، تقدم هو ليتكلم.

يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** في أصدقاء أيوب رمزًا للهراطقة الذين يثيرون مجادلات كثيرة، يتهمون الكنيسة ويقاومونها، لكنهم في النهاية يسند الرب كنيسته ويُبكم الهراطقة.

فَأُجِيبُ أَنَا أَيْضًا حِصَّتِي،
وَأُبْدِي أَنَا أَيْضًا رَأْيِي [17].

قد حان الوقت ليأتي دور أليهو. الآن صار كمن ينال نصيبه، بأن يكشف عن المعرفة التي كتمها طوال الحوار الذي دار بين أيوب والأصدقاء. حسب هذا نصيبه الذي صار له كعطية لطيفة مقدمة له.

يرى البعض أن قوله: "**وأبدي أنا أيضًا رأيي**" في الأصل العبري يحمل مسحة من الرقةٍ والتواضعٍ، لا تظهر بوضوح في الترجمات إلى اللغات الأخرى. كأنه يقول: "حتى أنا الصغير، إنسان متواضع مثلي، يُسمح له أن يعبر عن آرائه، بينما لم يعد لدى الشيوخ والعظماء ما ينطقون به"[1].

لأَنِّي مَلآنٌ أَقْوَالاً.
رُوحُ بَاطِنِي تُضَايِقُنِي [18].

يحمل المؤمن الحقيقي روحًا نارية، متشبهًا بالله النار الآكلة، أو نار حب لا تُطفأ (خر 24: 7؛ تث 4: 24؛ عب 12: 29)، فيصير كأحد خدام الله الذين قيل عنهم: "خدامه لهيب نار" (عب 1: 7).

يحمل المؤمن كلمة الله – نار الحب المتقد – فيصير كمعلمنا بولس الرسول إذ كان "منحصرًا بالروح" (أع 18: 5)، مملوء غيرة روحية متقدة، يقول: " فإني أغار عليكم **غيرة اللَّه**، لأني خطبتكم لرجلٍ واحدٍ، لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" (2 كو 11: 1). ويصرخ مع إرميا النبي: "أحشائي، أحشائي، توجعني جدران قلبي، لا أستطيع السكوت" (إر 4: 19)، "فقلت لا أذكره، ولا أنطق بعد باسمه، فكان في قلبي كنارٍ محرقة، محصورة في عظامي، فمللت من الإمساك ولم أستطع" (إر 20: 9).

هكذا شعر أليهو كمن يحصره روح الله، ويلهب نيران حبه نحو أيوب كما نحو أصدقائه وجميع الحاضرين، يطلب في غيرة متقدة من أعماقه ما هو لبنيانهم ومجدهم

---

[1] *Cf. Barnes' Notes on Job 32: 17.*

الأبدي.

لقد صمت الأصدقاء الثلاثة ولم يجدوا كلمة ينطقون بها، لأنهم افرغوا الكلمات الصادرة عن حسدهم لأيوب، وصاروا كمن قاموا بتفريغ ما في جعبتهم، أما أليهو الذي صمت إلى حين، ففي داخله كلمات حب لا تفرغ، يود أن يتكلم لا كمن يشتهي التعليم، ولا من كرسي السلطة، ولكن من موقع الحب والحنو على الجميع، تفيض كلماته من أحشائه، أو كما يقول: "**روح باطني**".

- يستخدم بولس هنا كلمة أقوى بكثير من "الحب" المجرد. فالنفوس **الغيورة** تلتهب بحماس من جهة المحبوبين لها. الغيرة تفترض عاطفة قوية. لذلك فلكي لا يظنوا أن بولس يطلب سلطة أو ثروة أو كرامة يضيف أن **غيرته إلهية**. فقد قيل عن الله إنه غيور، ليس بطريقٍ بشريٍ، وإنما لكي يعرف كل واحدٍ حقه في السيادة علي من يحبهم، وأن ما يفعله هو من أجل نفعهم المتزايد.

تقوم **الغيرة البشرية** أساسًا على الأنانية، أما **الغيرة الإلهية** فهي قوية ونقية. لاحظ الفارق بين العروس البشرية والكنيسة. ففي العالم المرأة العذراء قبل الزواج تفقد بتوليتها بزواجها. أما في الكنيسة فإن الذين كانوا بتوليين إلي حدٍ ما قبل رجوعهم إلى المسيح يتمتعون بالبتولية فيه. لذلك فإن الكنيسة كلها عذراء[1].

- يقال أيضًا عن الله أنه غيور، فلا يظن أحد أن (اللاهوت) به هوى، وإنما لكي يعرف الكل أنه يفعل كل شيء ليس إلا من أجلهم هؤلاء الذين يغير عليهم، لا ليقتني شيئًا بل لكي يخلصهم .

القديس يوحنا الذهبي الفم

هُوَذَا بَطْنِي كَخَمْرٍ لَمْ تُفْتَحْ.
كَالزِّقَاقِ الْجَدِيدَةِ يَكَادُ يَنْشَقُّ [19].

إذ قدم أليهو عذرًا أنه يتكلم في حضرة الشيوخ دخل في مناجاة مع نفسه، بأنه قد امتلأ داخله بغيرةٍ متقدةٍ، حتى كادت نفسه تنفجر كالزقاق الجديد المملوء خمرًا، أو كمنفاخٍ حدٍّاد مملوء هواءً. في مناجاته يعلن أنه لا يحابي أحدًا، ولا يتملق إنسانًا!

جاءت أحاديث أليهو ليس كمن يطلب إجابة على تساؤلات أو على اتهامات،

---

[1] *In 2 Cor. hom 23:1.*
[2] *In 2Cor. hom 23. PG 61: 595.*

وإنما كمن ينظر إلى المشكلة بنظرة عامة، ليهيئ الطريق للحوار بين الله وأيوب.

يمكننا تفسير كلمات أليهو رمزيًا، فالبطن تشير إلى أعماق القلب، والخمر الجديدة إلى الروح، كقول السيد المسيح أن تُوضع خمر جديدة في زقاقٍ جديدٍ (مت 17:9). فإذ امتلأ التلاميذ بالروح القدس الذي حلّ عليهم في يوم الخمسين، صاروا كزقاقٍ جديدٍ مملوءة خمرًا جديدة، فانطلقت ألسنتهم تنطق حسب الروح. وإذ لم يدرك اليهود الحق الإلهي اتهموا التلاميذ أنهم مملوئون سلافة كسكرى (أع 4:2).

أَتَكَلَّمُ فَأُفْرَجُ.

أَفْتَحُ شَفَتَيَّ وَأُجِيبُ [20].

لم يستطع أليهو أن يحتفظ بالصمت، فانفجر بالحديث حتى تستريح نفسه. هذا ما جدث مع إرميا النبي المملوء بالحنو الشديد نحو شعب الله، كيف اشتهى أن يصمت لكن نيران حبه ولهيب كلمة الله التي في أعماقه، ألزماه بالكلام.

لست أظن أننا نلوم أليهو على موقفه، بل نتعلم منه متى نصمت ومتى نتكلم، وكما يقول الحكيم: "للسكوت وقت، وللتكلم وقت" (جا 3: 7).

- العاقل هو من يسعى في إرضاء الله ويُكثر من الصمت، وإن تكلم يتكلم قليلاً، ينطق بما هو ضروري ومرضى لله[آ].
- في الصمت ترى عقلك، ولكن عندما تستخدم عقلك فإنك تتكلم في داخل نفسك. لأنه أثناء الصمت يلد العقل الكلمة، وكلمة الشكر التي تُقدم لله هي خلاص الإنسان .
- من يتكلم بغباءٍ ليس له عقل، إذ يتكلم دون أن يفكر في كل الأمور. لذلك امتحن ما هو مفيد لك، لأجل خلاص نفسك، لكي تفعله[Ñ].

القديس أنبا أنطونيوس الكبير

لاَ أُحَابِيَنَّ وَجْهَ رَجُلٍ،

وَلاَ أَتَمَلَّقُ إِنْسَانًا [21].

[آ] 170 نصًا عن حياة القداسة، 33 (الفيلوكاليا).

170 نصًا عن حياة القداسة، 107 (الفيلوكاليا).

[Ñ] 170 نصًا عن حياة القداسة، 108 (الفيلوكاليا).

كأنه يقول: "أتوسل إليكم، دعوني ألاَّ أحابي إنسانًا من أجل شخصه، ولا أداهن الناس من أجل ألقابهم". هذا ليس حديثًا موجه إلى الحاضرين، ولا صلاة يقدمها لله، لكنه تعبير يكشف عن تصميم قلبه أن يتكلم بروح الحق، دون محاباة للوجوه، ولا مداهنة لأحدٍ أيا كان مركزه أو إمكانياته. يود أن ينطق بالحق دون خوف أو مجاملة أو نفع شخصي له.

"هذه أيضًا **للحكماء محاباة الوجوه في الحكم ليست صالحة**" (أم 24: 23).

"**محاباة الوجوه ليست صالحة**، فيذنب الإنسان لأجل كسرة خبز" (أم 28: 21).

"وأنتم أيها السادة افعلوا لهم هذه الأمور، تاركين التهديد عالمين أن سيدكم أنتم أيضًا في السماوات **وليس عنده محاباة**" (أف 6 : 9).

"وأما الظالم فسينال ما ظلم به **وليس محاباة**" (كو 3: 25).

"أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة المختارين أن تحفظ هذا بدون غرض **ولا تعمل شيئًا بمحاباة** (1 تي 5: 21).

"يا إخوتي لا يكن لكم إيمان ربنا يسوع المسيح رب المجد **في المحاباة**" (يع 2: 1).

"وإن كنتم تدعون آبا الذي **يحكم بغير محاباة** حسب عمل كل واحد، فسيروا زمان غربتكم بخوف" (1 بط 1: 17).

"لأن **ليس عند الله محاباة**" (رو 2: 11).

"**ليس عند الرب إلهنا ظلم ولا محاباة** ولا ارتشاء" (2 أي 19: 7).

إذ أرسل الله ابنه الوحيد من أجل محبته للعالم كله **بلا محاباة**، وبذله لأجلنا أجمعين، نتلمس عدم محاباة الله. هذا وبكوننا أعضاء في جسد المسيح محب البشر يليق بنا ألا يكون لنا محاباة. فمن جهة عدم محاباة الله قيل:

❖ **الله ليس عنده محاباة من جهة الأشخاص**، انه يحكم بالأعمال[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن كان أحد يشك في هذا يكفيه أن يقرأ ما قاله بطرس عند زيارته للأممي كرينيلوس: "بالحق أنا أجد أن الله **لا يقبل الوجوه**، بل في كل أمةٍ الذي يتقيه ويصنع البرّ مقبول عنده" (أع 1: 34-35). نذهب إلى أبعد من هذا ونقتبس ما يقوله ربنا في الإنجيل:

---

[1] *Homilies on Romans 2:11.*

"الذي لا يؤمن به قد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد" (يو 3: 18)[1].

العلامة أوريجينوس

❖ جميعًا وُلدنا متساوين، أباطرة ومعدمين، ونموت متساوين. **بشريتنا متساوية** .

القديس جيروم

يقدم لنا سليمان الحكيم نفسه مثلاً حيًا في عدم المحاباة، حيث يتطلع إلى نفسه كملكٍ ذي غني عظيم وكرامةٍ لا يختلف في شيءٍ عن أي إنسان معدم.

"إني أنا أيضًا إنسان قابل للموت، مساوٍ لجميع الناس، مُتَّحَدِّرٌ من أولِ من جُبِلَ من الأرض، وقد صُوِّرتُ جسدًا في بطن أمٍّ، وفي مُدة عشرةِ أشهرٍ تكوَّنتُ في الدم، من زرع رجلٍ. ومن اللذة التي تصاحب النوم" (الحكمة 7: 1-2).

لأَنِّي لاَ أَعْرِفُ التَّمَلُّقَ.

لأَنَّهُ عَنْ قَلِيلٍ يَأْخُذُنِي صَانِعِي [22].

دفاعه عن أيوب ليس صادرًا عن محاباة أو مداهنة، ولا لطلب نفعٍ خاصٍ به، فإنه لم يعد لدى أيوب من سلطةٍ أو إمكانيات حتى يداهنه أليهو، وإنما يدافع عمن هو في وسط المزبلة، وإن كان في دفاعه يشير إلى خطأ أيوب الذي مع برِّه حين أتهم انشغل تمامًا بالدفاع عن نفسه، حتى على حساب تأكيد رعاية الله له وحنوه عليه.

كان أليهو يتمتع بالشعور بالحضرة الإلهية، فلا يخشى إنسانًا ما، الأمر الذي يسقط في شباكه كثيرون، كقول الحكيم: "خشية الإنسان تضع شركًا، والمتكل على الرب يُرفع" (أم 29: 25). ما كان يشغل قلب أليهو هو شعوره بسرعة مجيء الرب، حيث يُحمل من هذا العالم ويقف أمامه، ويعطي حسابًا عن كل ما في قلبه وفكره كما عن سلوكه، وذلك أمام الخالق العارف بكل أسرار الإنسان، ولا يُخفى عليه شيء.

هذا ما كان يدفعه للصمت ليسمع ويدرس في تأني، وهو ما يدفعه للكلام ليُقدم الحق في بساطةٍ وبدون تنميقٍ.

هنا يدعو الله: " **صانعي**"، فهو الله الخالق المُهتم به شخصيًا، والعارف بأعماقه. هو إله الحق، وهو الحب، يقدم الحق لمؤمنيه، ويكشف لهم عنه أكثر فأكثر، ويسندهم لينطقوا بالحق، ويسلكوا فيه.

---

[1] *Commentary on Romans 2:11.*
[2] *Homilies on the Psalms,14.*

هكذا يختم أليهو مقدمة حديثة الطويلة بتأكيد أنه لا يتملق أحدًا، ولا يحابي أصحاب الألقاب، إنما يقدم الحق في بساطة من أجل صانعه الذي يقف أمامه في يوم الرب العظيم.

من وحي أيوب 32

ليلتهب قلبي بنار كلمتك، فأنطق بحقك!

❖ إلهي، يا من وهبني فكرًا ولسانًا!
قدس أعماقي وكلماتي وتصرفاتي.
أعرف كيف أصمت بلساني،
فيتكلم قلبي بالحب لك، ولكل البشرية.
تئن نفسي مع أنات كل قلبٍ.
وتصرخ أعماقي مع صرخات كل مظلومٍ.
تسمع صرخات نفسي الصاعدة إلى عرشك!

❖ هب ليّ أن أتكلم في حين حسن،
أنطق بما تهبني من كلمات،
فلا أخاف إنسانًا،
ولا أتملق غنيًا أو صاحب سلطان.
هب ليّ الحكمة الجالسة إلى عرشك،
فأنطق بكلمتك، محفوظًا بحكمتك.

❖ وهبتني نسمة من عندك،
لكي تتقبل حكمتك، وتسلك بروحك القدوس.
أغير على خلاص كل نفسٍ،
وأشتهي أن تتمجد في كل إنسانٍ،
لكنني في غيرتي لا أتكل على خبرتي المجردة،
ولا تشغلني سنين عمري مهما طالت أو قصرت.
إنما أحملك في داخلي،

لتتكلم أنت بي، وتعمل بروحك فيّ وفي إخوتي!
من يقدر أن يجدد حياتي سواك؟
من يقدر أن يُصلح فكر إخوتي إلاَّ روحك؟

❖ أعماقي تئن من أجل كل نفسٍ تائهةٍ،
أحشائي توجعني،
ذاب قلبي كالشمع من أجل كل البشرية!
لأتكلم، بل تتكلم أنت فيّ وبي.
أنطق بكلمتك، فتستريح نفسي، وتتعزى بك!
لأتكلم، منتظرًا انطلاقي إليك!
أدخل إلى الأحضان الإلهية،
وتُسر نفسي من أجل كل الذين يتمتعون بالأمجاد!
نعم، تعال أيها الرب يسوع!
تعال، لتحمل كل مؤمنٍ إلى أمجادك!
قلوبنا لن تتوقف عن شهوة مجيئك!

المحتويات

الباب الرابع
خطب شعرية يلقيها أليهو
أيوب 32-37

خدمة أليهو **1128**

تدخل أليهو، سبب تدخل أليهو، خصائص خطب اليهود، تفنيد شكاوى أيوب، نظرة أليهو اللاهوتية، وحدة أحاديثه.

الأصحاح الثَّانِي وَالثَّلاَثُون: ليتحدث أيضًا الشاب! **1132**

1. ظهور أليهو، 2. التزامه بالتدخل، 3. بصبرٍ احتمل ما سبق فقالوه، 4. أعماقه تدفعه للتدخل.

اَلأَصْحَاحُ الثَّالِثُ وَالثَّلاَثُونَ: الوسيط الواحد! **1148**

1. باسم الله يدعو أيوب للحوار معه، 2. عتابه لأيوب على استخدام عبارات عنيفة.

اَلأَصْحَاحُ الرَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ: الحديث الثاني لأليهو **1177**

1. دعوة الحاضرين للاستماع، 2. الرد على تبرير أيوب نفسه، 3. قدرة الله وأحكامه، 4. كيف نتحدث مع الله؟

اَلأَصْحَاحُ الْخَامِسُ وَالثَّلاَثُونَ: حديث أليهو الثالث "الصلاة غير المستجابة" **1210**

1. أيوب يظن أنه أبرّ من الله، 2. هل البِّر لا ينفع والشر لا يضر؟، 3. الله في غير حاجة إلى بِّرنا، 4. لنصرخ إلى الله وسط الضيق، 5. لنصرخ في تواضعٍ بلا تذمر.

اَلأَصْحَاحُ السَّادِسُ وَالثَّلاَثُون : حديث أليهو الرابع "أليهو يمجد برّ الله، ويهيئ الطريق لظهور الله" **1227**

1. مقدمة، 2. طرق معاملة الله مع أولاده، 3. مشورة صالحة لأيوب، 4. الله يعَّلم ولا يلزم بقبول تعليمه، 5. عظمة أعمال الله، 6. العاصفة والمطر وكالتا الله، 7. نشيد للحكمة القديرة.

اَلأَصْحَاحُ السَّابِعُ وَالثَّلاَثُون: الله في العاصفة **1251**

1. الرعد والبرق، 2. الأمطار الغزيرة والثلج، 3. أيوب قاض غير مؤهل للحكم على عناية الله، 4. الله كامل وعظيم ومهوب.

الباب الخامس

حوار الله مع أيوب

أيوب 38-42

صوت الله **1278**

حوار شعري بين الرب وأيوب، كلام الرب الثاني ص 6:40 إلى ص 34:41.

اَلأَصْحَاحُ الثَّامِنُ وَالثَّلاَثُونَ: الخليقة الجامدة **1274**

1. الله يتحدى أيوب ليجيب على أسئلته، 2. جهل أيوب لكيفية خلقة الأرض، 3. جهله لوضع حدود للبحار، 4. جهله كيف يبرز نور الفجر، 5. جهله لإدراك ظل الموت والظلمة، 6. جهله للسحب والبَرَدْ والرعد...، 7. جهله للكواكب وأثرها على الأرض، 8. جهله قوة الله في الجو والظواهر الطبيعية، 9. عناية الله بالحيوانات غير العاقلة.

اَلأَصْحَاحُ التَّاسِعُ وَالثَّلاَثُونَ: حيوانات البرية والطيور الجارحة تدعونا للاقتراب من الله **1304**

1. الوعول والأيائل، 2. الحمار الوحشي، 3. الثور الوحشي، 4. النعامة، 5. الفرس، 6. العقاب والنسر.

اَلأَصْحَاحُ الأَرْبَعُون: هزيمة إبليس "بهيموث" المتشامخ **1323**

1. الإجابة الأولى لأيوب، 2. الحديث الثاني لله.

اَلأَصْحَاحُ الْحَادِي وَالأَرْبَعُونَ: التنين الذي لا يُروض **1343**

١. من يقف أمام لوياثان، 2. وصف لوياثان.

الباب السادس

أيوب يستعيد ضِعْف ما فقده

إش 42

اَلأَصْحَاحُ الثَّانِي وَالأَرْبَعُونَ: عودة أيوب إلى المجد! "المشهد الأخير" **1378**

نهاية مفرحة، 1- تواضع أيوب، 2- رؤيته للرب، 3- إدانة الأصدقاء، 4- أيوب الشفيع، 5- إزالة سبي أيوب، 6- بنين أيوب وبناته، 7- مات أيوب شيخًا.

المحتويات **1397**

اَلأَصْحَاحُ الثَّالِثُ وَالثَّلاَثُونَ

الوسيط الواحد!

يُعتبر هذا الأصحاح من أروع ما كُتب في العهد القديم، حيث يكشف بعمقٍ عن نظرة رجال العهد القديم، في عصر الآباء، نحو الحاجة إلى الوسيط الإلهي، الشفيع، الذي يصالح الآب مع الناس، ويدخل بالخطاة إلى الحياة الجديدة المقدسة البارة عوض الانحدار إلى جهنم الأبدية. إنه عرض رائع لطريق الخلاص كما أُعلن للآباء والأنبياء.

كان موقف أليهو لا يُحسد عليه، فهو أصغرهم سنًا، وفي نفس الوقت يحترق قلبه في داخله، إذ يرى الشيخ البار في ضيقةٍ شديدةٍ من كل جانب، حتى من أصدقائه، وفي نفس الوقت لم يحتمل عتاب أيوب لله بأسلوب شديد اللهجة. يود أليهو أن ينطق بالحق الذي قد يجرح مشاعر الطرفين: أيوب وأصدقائه.

الآن يقترب أليهو من أيوب ويوجه حديثه إليه، أما غاية حديثه معه، فهي أن ينطق بما هو لبنيان أيوب. فهو يحبه جدًا ومقتنع ببرِّه، لكنه كان يود أن يراه في وسط محنته في ذات الصورة البهية التي رآها فيه قبل التجربة، لا ينطق بكلمة واحدة ينسب فيها لله القسوة.

ومن جانب آخر، يتكلم على لسان الله، فيعاتبه على كلماته التي وجهها لاتهام الله بالقسوة أثناء الحوار الساخن بينه وبين أصدقائه.

وأخيرًا كان يسعى لإقناعه بأخطائه.

1. باسم الله يدعو أيوب للحوار معه 1 – 7.

2. عتابه لأيوب على استخدام عبارات عنيفة 8 – 11.

1. باسم الله يدعو أيوب للحوار معه

وَلَكِنِ اسْمَعِ الآنَ يَا أَيُّوبُ أَقْوَالِي،

وَأَصْغَ إِلَى كُلِّ كَلاَمِي [1].

لم يجسر أحد الشيوخ أن يوجه حديثه لأيوب، ذاكرًا اسمه، أما هذا الشاب فمع فارق السن يقول: "اسمع الآن يا **أيوب** أقوالي، وأصغِ إلى كلامي" (أي 1:33). يوجد فارق في السن، لكن كليهما مخلوقان، ويليق بكل منهما أن ينصت للآخر.

إن كان يليق بالصغار سنًا أن يطيعوا الكبار، فإنه يلزم أن ينصت الكل لبعضهم البعض. فلا نعجب أن يبدأ أليهو الشاب حديثه مع الشيخ التقي أيوب قائلاً: " **اسمع الآن يا أيوب أقوالي، وأصغِ إلى كلامي** " (أي 1:33). كما يقول بشجاعةٍ وأدبٍ: "ها إنك في هذا لم تُصب" (12:33). يعود فيكرر: "فأصغِ يا أيوب، واستمع لي. أنصت، فأنا أتكلم، فإني أريد تبريرك" (31:33-32).

صورة رائعة من الجانبين، رجل الله التقي الشيخ ينصت لشابٍ دون تشامخٍ من جانبه أو استخفافٍ بصغر السن. ومن جانب الشاب الصغير فمع حواره مع الشيخ بصراحةٍ وانفتاح قلبٍ وشجاعةٍ، كان في غاية الأدب والرقة. إنه يريد أن يبرر من هو في سن والده!

إذ يقدم أليهو التماسه لأيوب يسأله أن يصغي إليه كصديقٍ مخلصٍ يحبه، ولا يتكلم لينتقده أو يرعبه.

اقتبس أليهو بعض عبارات من أيوب، وأوضح له أن الله أعظم من الإنسان، وليس من حق الأخير أن يطلب تفسيرًا من الله على تصرفاته. ما يليق بأيوب أن يدركه هو أن الله يطلب خلاص الإنسان لا هلاكه.

يبدأ أليهو بتوجيه حديثه إلى أيوب، وفي الأصحاح التالي يوجه الحديث إلى أصحاب أيوب.

يعتبر هذا الأصحاح مقدمة ليهيئ قلوب هؤلاء الأصدقاء الثلاثة للاستماع إليه. وهو في هذا لم يفترِ على أيوب، إنما وجه إليه اللوم من واقع كلماته في الحوارات السابقة.

يسأله أن يصغي إلى كلماته، أو أحاديثه، ليس فقط ما يوجهه إليه، بل وإلى "**كل كلماته**"، فإنه ينطق بالحق الإلهي لمنفعة الجميع. يطلب منه أن يطيل أناته، فيسمع الحديث حتى آخره، وأن يضع في ذهنه أن ما يُقال ليس غايته نقده وإلقاء اللوم عليه وإنما نفعه.

هأَنَذَا قَدْ فَتَحْتُ فَمِي.

لِسَانِي نَطَقَ فِي حَنَكِي [2].

جاء في ملاحظات *Barnes* على هذه العبارة، أن أليهو يتحدث بالكلمات التي في فمه والناطق بها بلسانه الذي يتحرك نحو سقف حلقه، لأن النطق باللغة العبرية يستخدم بالأكثر الحنجرة والحلق واللسان، أما اللغات الأوربية (اللاتينية والإنجليزية) فيستخدم فيها بالأكثر الأسنان والشفاه.

إنه يتحدث معه من حلقه، كمن يخرج الكلمات تحمل طعمًا خاصًا وتذوقًا مملوء حبًا.

كل البشر يتكلمون بأفواههم، لكن قليلين من يتذوقون كلماتهم ويفحصونها أولاً، فينطقون بما هو صالح للبنيان.

لقد صمت أليهو طوال فترة الحوار، وكان يتفاعل في الداخل مع الحوار. لم يتسرع بالنقد أو الإجابة على بعض التساؤلات، لكن بحكمةٍ وفي روية اختبر ما في فكره من كلمات، لينطق بما هو يليق.

في حديث رائع يوجهنا **القديس مار يعقوب السروجي** لنتدرب على الصمت المقدس والكلام المقدس. حيثما انشغلنا بالكلمة الإلهي يقودنا روحه القدوس للصمت البنَّا ء كما للحديث البنّاء.

❖ أنت هو الكلمة التي تعطى كلمة للمتكلمين،

بك يتكلم جميع المتكلمين من أجلك.

شعاعًا وإشراقًا ونورًا عظيما أشرق فيّ، فأنظر إليك.

فبنظري لك، تستضيء النفس فنقتني الصلاح.

وحين تبتعد منك النفس تمتلئ ظلامًا، وإذا ما تفرست فيك لبست النور لتنطق بكلام خبرك...

الصمت والكلام قائمان عليّ يطالبانني.

يا رب دبر حياتي لإرادتك.

إن صمت أدهش، إذ أشعر بعدم كفايتي (للكلام). أصمت في دهشة، وليس بطغيانٍ باطلٍ.

وإن تكلمت تكون كلمتي حسب مجدك ولأجلك.

عندما تمتلئ النفس بالصمت في دهشٍ بك، يكون هذا الصمت حديثًا مملوءً بكل منفعة. وإذا ما تحركت النفس لتمجدك بمحبة ... فبالحب أتحرك، وأتحرك لأمجدك. وفي دهش أصمت ولا اهدأ من تمجيدك.

هب لي يا رب الدهش (بالصمت) والكلمة فأغتني. وفي كل يوم أدهش، وفي كل يوم أتحرك بالكلام!

القديس مار يعقوب السروجي

اِسْتِقَامَةُ قَلْبِي كَلاَمِي،

وَمَعْرِفَةُ شَفَتَيَّ هُمَا تَنْطِقَانِ بِهَا خَالِصَةً [3].

يقول أليهو إن الله الذي وهبه روحه يعطيه أن ينطق بقلبٍ نقيٍ، ويُقدم معرفة صادقة غير غاشةٍ. وكأنه يطلب من أيوب أن يتطلع لا إلى الكلمات مجردة، بل إلى ما في قلب أليهو من نقاوة من نحوه، واستقامة في هدفه في الحوار. كلماته تصدر عن حبٍ خالص، بلا رياء؛ يتكلم في إخلاصٍ من قلبه، ولا يستعرض كلمات جوفاء. ما ينطق به يعبر بصدقٍ عما في قلبه.

أراد منه ألاَّ يضمه مع الأصدقاء الثلاثة حتى وإن تشابهت الكلمات، لأن النيات مختلفة تمامًا.

❖ يريد أن يقول: ليس عن حسدٍ أو غيرةٍ أستخدم هذه الوسيلة. وإن كان الثلاثة يقولون نفس الأمور كما يقولها هو، لكن يبدو أنهم لم يتكلموا بذات الروح، ولا فعلوا هذا دفاعًا عن الله. فيهوذا والاثنا عشر عبروا جميعًا بنفس الطريقة بخصوص قارورة الطيب (يو 12:5-6)، ولكن ليس بذات الروح. لذا يليق بنا لا أن نفحص الكلمات، بل النية التي بها عبَّر كل منهم عن نفسه: كيف أراد البعض تحطيم أيوب بينما الآخر أراد العكس.

القديس يوحنا الذهبي الفم

رُوحُ اللهِ صَنَعَنِي،
وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ أَحْيَتْنِي [4].

استخدم كثير من آباء الكنيسة هذه العبارة لتأكيد لاهوت الروح القدس بكونه الخالق واهب الحياة. فإن كان الآب هو الخالق وواهب الحياة، فإن الأقانيم الثلاثة يشتركون معًا في كل عمل إلهي. هنا يتحدث مع أيوب بروح الأخوة الصادقة، فيوضح له أنه من صنع روح الله، الذي وهبه الحياة. فهو أداة في يد الله الذي خلق أيضًا أيوب ووهبه الحياة. فلا يليق بأيوب أن يخشى الحوار مع زميله في الخلقة والحياة، إذ الاثنان مدينان لروح الله بوجودهما وحياتهما. يؤكد له أن الاثنين خليقة الله، لهما ذات الطبيعة، ولها ضعفاتها التي تسللت إلى الطبيعة البشرية.

❖ كيف أظهر (سفر) أيوب بوضوح أن الروح خالق، قائلاً: " **روح الله خلقني** "؟ في عبارة قصيرة أظهر أنه إلهي وخا لق. إن كان الروح هو الخالق، فبالتأكيد ليس مخلوقًا، لأن

الرسول يفصل الخالق عن المخلوق، قائلاً: "عبدوا المخلوق لا الخالق" (رو 1:25)[1].

القديس أمبروسيوس

❖ اشترك الروح القدس مع الابن في العمل، سواء في الخلقة أو القيامة، كما يُظهر هذا الكتاب المقدس: "بكلمة الرب صُنعت السماوات ، وكل قواتها بنسمة فمه" (مز 33:6). وأيضًا: "روح الله صنعني، ونسمة القدير تعلمني" (أي 33:4). وأيضًا: "ترسل روحك فَتُخلق وتجدد وجه الأرض" (مز 14:30) .

القديس غريغوريوس النزينزي

❖ عندما تمتزج كلمات الجهالة مع الأقوال الحكيمة، فإنه حتى الحكمة لا تُحفظ في الذهن، لأن جهالتهم تكون موضع احتقار السامع... إنه يتكلم هنا بترتيبٍ لائقٍ بخصوص خلقته وقبوله الحياة. يقول إنه قد خُلق بواسطة الروح، وتقبل الحياة بنسمة الله. مكتوب عن آدم عند خلقته: "نفخ في وجهه نسمة حياة، وصار الإنسان نفسًا حية".

البابا غريغوريوس (الكبير)

إِنِ اسْتَطَعْتَ فَأَجِبْنِي.
أَحْسِنِ الدَّعْوَى أَمَامِي.
انْتَصِبْ [5].

يؤكد له أليهو أنه إن أراد أن يدخل معه في حوار، فليعلم أنه لم يدخل كمن ينتهر ويعلّم، وإنما كشخصين متعادلين من صنع روح الله. يتكلم لا لينتصر أو يتسلط، وإنما بروح الأخوة. كأنه يقول له: أنا إنسان مثلك، أود لك ما أوده لنفسي. اقبل كلماتي بروح المودة.

هأَنَذَا حَسَبَ قَوْلِكَ عِوَضًا عَنِ اللهِ.
أَنَا أَيْضًا مِنَ الطِّينِ جُبِلْتُ [6].

يترجمها *Umbreit*: "أنا مثلك من عند الله"، و *Noyes*: "أنا مثلك خليقة الله"، و*Wemyss*: "أنا مساوٍ لك في عيني الله" و*Coverdale*: "انظر، فإنني أمام الله كما أنت، فقد تشكلت من ذات الطين". وجاء ترجمة الفولجاتا: "انظر، فإن الله خلقني كما خلقك، ومن ذات الطين أنا تشكَّلت". والترجمة السبعينية: "من الطين تشكَّلت كما أنت، تشكلنا نحن من ذات

---

[1] *Of the Holy Spirit, book 2, 5:44.*
[2] *Oration 41 on Pentecost, 14.*

الطين" [1].

يرى البعض أن معنى العبارة في العبرية: "أنا بحسب فمك إنسان الله"، أي إنني أتكلم باسمه كممثلٍ له، سفير عنه.

إذ كان أيوب يتوسل إلى الله أن يدعوه للمحاكمة حتى يجد فرصته للدفاع عن نفسه، فقد جاءه أليهو يسأله أن يتكلم بكل صراحة كما في محكمة أمام الله.

يعود فيطمئن أليهو أيوب، بأنه وإن تحدث باسم الرب؛ ألاَّ أنه مخلوق من طين هش مثله، من تراب الأرض. إن كان الله يتكلم من خلاله، إلاَّ أنه ليس في ذاته ما يخيف أو يُرعب.

❖ يلزمنا حينما نُحث على ممارسة فضيلة ما ألاَّ نقول إن هؤلاء كانوا شركاء لطبيعة غير طبيعتنا، أو إنهم ليسوا بشرًا. لهذا قيل عن العظيم إيليا: "كان إيليا إنسانًا تحت الآلام مثلنا" (يع 5: 17). هل تدركون أن إيليا قد أظهر من ذات شركته للآلام أنه إنسان مثلنا؟ مرة أخرى قيل: "إني أنا أيضًا إنسان لي ذات الآلام مثلكم" (راجع حك 7: 1). هذا يعطي طمأنينة من جهة شركة الطبيعة .

❖ لم تكن طبيعة بولس الرسول تختلف عن طبيعتنا ؛ ولا نفسه مختلفة عن نفوسنا ، ولا عاش في عالمٍ آخرٍ، بل سكن في نفس العالم وخضع لنفس القوانين والعادات، لكنه فاق في الفضيلة كل البشر في الماضي والحاضر.

الآن، أين هؤلاء المعترضون على صعوبة الفضيلة وسهولة الخطية؟

فهذا الرجل يدينهم بكلماته: "**لأن خفة ضيقتنا الوقتية تُنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجدٍ أبدي**" **(2 كو4:17)**.

فإن كانت ضيقاته مُحتملة وخفيفة ، فكم بالأحرى ضيقاتنا التي إن قارناها بضيقاته صارت كلا شيء أو مجرد لذّات؟[2]

القديس يوحنا الذهبي الفم

هُوَذَا هَيْبَتِي لاَ تُرْهِبُكَ،
وَجَلاَلِي لاَ يَثْقُلُ عَلَيْكَ [7].

في شغف شديد كان أيوب يود أن يعرض قضيته أمام الله مباشرة، لكنه كان يشعر

---

[1] *Barnes' Notes.*
[2] *Concerning the Statues, 1:21.*
[3] *In Praise of St. Paul, Homily 2.*

بمهابة الله، مما يجعله عاجزًا عن الحديث في صراحة معه. يقول: "أبعد يديك عني، ولا تدع هيبتك ترعبني" (أي 13: 21)، كما يقول: "ليرفع عني عصاه، ولا يبغتني رعبه" (أي 9: 34).

يقول أليهو: "إننا متساويان، ليس من خوفٍ يحل عليك، وليس من رهبةٍ ليّ تباغتك، حتى تعجز عن أن تأخذ موقف الدفاع معي. لن تثقل يدي عليك، لأني ضعيف مثلك، لا سلطان لي عليك".

كلمة "**يثقل**" هنا تستخدم للإنسان وهو يسحب حيوانًا يحمل أثقالاً، كما تشير إلى شخصٍ مثقل جدًا، فينحني بسبب ثقل الحمل.

لعله بسبب هذا المعنى شعر **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن أليهو تعدى حدود اللياقة. فمع اعترافه أنه يحمل ذات طبيعة أيوب، وأنه مساوٍ له، لكنه يتكلم بجسارة فائقة، مطالبًا أيوب أن يجاوب ويحاور بلا خوف ولا رعدة.

2. عتابه لأيوب على استخدام عبارات عنيفة

إِنَّكَ قد قُلْتَ في مَسَامِعِي،

وَصَوْتَ أَقْوَالِكَ سَمِعْتُ [8].

واضح أن أليهو قد حضر كل الحوارات، وكانت أذناه مصغيتين لكل كلمة بكل انتباه. الآن يبدأ بالتعليق على ما يظن أن أيوب قد أخطأ فيه في محاولته لتبرير نفسه. لقد اقتبس العبارات الثلاث القادمة من كلمات أيوب في أحاديثه.

قُلْتَ: أَنَا بَرِيءٌ بِلاَ ذَنْبٍ.

زَكِيٌّ أَنَا، وَلاَ إِثْمَ لِي [9].

أول خطأ أثار أليهو هو تبرير أيوب نفسه. حقًا لقد قال أيوب لله إنه يعرف أنه ليس بشريرٍ، وإنه متمسك بالبرّ وغير ذلك من العبارات المشابهة، لكنه في نفس الوقت اعترف انه خاطئ، وأنه لن يتبرر أمام الله (أي 7: 21؛ 9: 29، 30؛ 13: 23، 26).

لم يقتبس أليهو كلمات أيوب كما هي، كما لم تحمل كلماته تبرير نفسه، إنما مواجهة الاتهامات التي ضده أنه مرائي، وأنه شرير.

"**زكي أنا**": الكلمة العبرية هنا *chap*، مشتقة من *Chopap*، وتعني يغطى، يحمي، كما تعني يغسل أو ينقي.

هُوَذَا يَطْلُبُ عَلَيَّ عِلَلَ عَدَاوَةٍ.

يَحْسِبُنِي عَدُوًّا لَهُ [10].

يتهمه أليهو بأنه قال عن الله غنه يتلقط له الأخطاء، فيتحين كل فرصة ضده كما لو كان عدوًا. لعله استنتج هذا من قول أيوب لله: "أما الآن فتُحصي خطواتي؛ ألاَّ تحافظ على خطيتي؛ معصيتي مختوم عليها في صُرة، وتلفق علي فوق إثمي" (أي 14: 16–17). "لماذا تحجب وجهك، وتحسبني عدوًا لك؟" (أي 13: 24). "وأضرم علي غضبه، وحسبني كأعدائه" (أي 19: 21).

وَضَعَ رِجْلَيَّ فِي الْمِقْطَرَةِ.

يُرَاقِبُ كُلَّ طُرُقِي [11].

هذا الاتهام نقله عن قول أيوب: "فجعلت رجليَّ في المقطرة، ولاحظت جميع مسالكي، وعلى أصول رجليَّ نبشت" (أي 13: 27).

هكذا يصور أيوب الله كمن ينشغل بخطيته ويدقق فيها ويختم عليها، لتقف شاهدة عليه، وأنه يتعامل معه كعدوٍ، يحمل غضبًا عليه؛ يربطه في المقطرة حتى لا يهرب من الدينونة العتيدة والحكم الإلهي ضده.

3. أليهو يحاول إقناع أيوب بعناية الله

أ. الله صاحب السلطان على الإنسان

هَا إِنَّكَ فِي هَذَا لَمْ تُصِبْ.

أَنَا أُجِيبُكَ.

لأَنَّ اللهَ أَعْظَمُ مِنَ الإِنْسَانِ [12].

من لا يعرف أن الله أعظم م ن الإنسان، فإن هذا القول يبدو كما لا حاجة إلى سرده، لكن أليهو قاله لمغزى خاص. فقد وجهه إلى إنسانٍ يعاني من نكبات خطيرة متوالية، دون أن يعرف أيوب ما وراء هذه النكبات. ما عناه أليهو أن أيوب الإنسان الضعيف يلزمه أن يخضع للتأديبات الإلهية، حتى وإن لم يدرك أحكا م الله من جهة هذه التأديبات. كل ما يليق به أن يعرفه أن الله عادل، وليس فيه ظلم، وأن ما حلَّ بأيوب هو ثمرة أخطائه.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن أيوب إذ صرخ نحو الله قائلاً: "لا تجاوبني" (أي 15:9)، أجابه أليهو: "أخبرني، ذاك الذي توبخه بأنه لا يصغِ بأذنه إلى توسلك، ما هو الدليل أنه لا يسمع لك؟ إنه يؤدب ويعاقب! هذا هو قانونه لإصلاح حال البشر".

❖ التزم النبي داود – تحت ثقل الضربات – أن ينطق بكلمات مُبالغ فيها، حيث عاد يتأمل في أصله، قائلاً: "صمت، لا أفتح فمي، لأنك أنت خلقتني" (مز 9:39). فقد تأمل في أية رتبة خُلق، وتعلم عدالة الضربة التي حلت به.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لو لم يكن لنا خصوم لما كانت توجد معركة ولا مكافأة مخصصة للمنتصرين، ولَما قُدم لنا ملكوت السماء. "**خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجدٍ أبديًا** " (2 كو 4: 17). ولَما كان لأحدٍ منّا رجاء في المجد العظيم في الحياة العتيدة نتيجة الصبر في الضيقات المحتملة[1].

❖ لم يكن بالأمر الهيّن **الحزن المؤقت** لكل أحدٍ، إذ لهم المحبة الكاملة لله في المسيح يسوع بالروح القدس منسكبة في قلوبهم[2].

العلامة أوريجينوس

لِمَاذَا تُخَاصِمُهُ؟

لأَنَّ كُلَّ أُمُورِهِ لاَ يُجَاوِبُ عَنْهَا [13].

يعاتب أليهو أيوب لأنه يدخل في خصومه مع الله؛ يسأله وينتظر إجابة سريعة.

الله يحب الإنسان بكونه خليقته التي على صورته، ويفعل ما يسر (الله) حتى وإن لم يدرك الإنسان خطته الإلهية. يفعل الله ما لبنيان الإنسان، وإن كان الإنسان في أحوال كثيرة لا يدرك ما وراء التصرفات الإلهية.

يليق بالإنسان أن يثق في حب الله وأبوته الفائقة وحكمته وقدرته، فيقبل كل شيء من يد الله بفرح وثقة، كما يقبل الطفل من يدي والديه ما يمارسونه معه، حتى يتفهموا يومًا فيومًا خطة الوالدين نحوه.

يليق بنا عوض الدخول في خصومة مع الله، أن نثق أنه لن يخطئ، وأنه صانع خيرات؛ وأننا يومًا ما ننضج روحيًا ونتعرف على خطته من نحونا.

دورنا هو الخضوع والطاعة بفرحٍ وثقةٍ في حكمته، لا الدخول معه في خصومه. فالويل لمن يخاصم جابله، خزف بين أخزاف الأرض. هل يقول الطين لجابله: ماذا تصنع؟ أو

---

[1] *In Num. Hom. 14:2.*
[2] *Comm. On the Song of Songs.*

يقول: عملك ليس له يدان" (إش 45: 9).

ب. باستخدام الأحلام والرؤى

لَكِنَّ اللهَ يَتَكَلَّمُ مَرَّةً،
وَبِاثْنَتَيْنِ لاَ يُلاَحِظُ الإِنْسَانُ [14].

لعل أليهو يقصد أن الله تكلم مع أيوب حين كان في وسع ولديه خيرات كثيرة، وإذ لم يسمع لله تكلم معه بلغة الضيقات المتوالية، ومع هذا لم يدرك أيوب مقاصد الله ولم يفهم كلماته. هكذا يكلمنا الله أحيانًا بلغة الألم والضيق لكي ينقينا، فنسمع صوته، ونراه متجليًا في حياتنا.

"كل ما يأتي بثمرٍ ينقيه ليأتي بثمرٍ أكثر" (يو 15: 2).

"مرة واحدة تكلم الرب، وهاتين الاثنتين سمعت أن العزة لله" (مز 62: 11).

يستخدم كل وسيلة ليتحدث معنا، تارة خلال الخيرات الكثيرة التي يهبنا إياها، وتارة خلال كلمته المقدسة، وأحيانًا خلال الأحلام والرؤى، وإذ لا نسمع له يحدثنا بلغة الضيقات والآلام، كالأمراض أو المتاعب في العمل أو الخسائر المادية أو المعنوية الخ.

ويرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أنه لأمر طبيعي للقلب المتألم، إذ يرى الأمور تسير على خلاف ما يشتهيه، يشتاق أن يسمع إجابة من الله لماذا تسير الأمور في هذا الطريق، وليس في ذاك. يشتاق أن يجد تفسيرًا للأحداث التي تمر به. يجيبه أليهو أن الله لا يجيب الإنسان في حديث خاص منفرد مع قلب الإنسان، إنما يقدم الإجابة خلال الأسفار المقدسة مرة وليس مرتين، أي لا حاجة أن يقدم لنا الله الإجابة مباشرة كأنه يكرر ما سبق فأعلنه خلال الكتاب المقدس، لكن الإنسان لم يلاحظ إجابة الله له. يليق بنا أن ندرك إجابة الله خلال معاملاته مع من سبقونا بكونهم أمثلة للآتين من بعدهم، ولا نتوقع أن يكرر الإجابة للمرة الثانية (أي 14:33)..

يقدم لنا مثالاً لذلك أنه إذ تحل بنا ضيقة نجد تعزيتنا فيما حلّ بالقديس بولس حيث كان يعاني من ضعف الجسد، وقد سمع الصوت الإلهي: "تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تكمل" (2 كو 9:12). لقد قيل هذا للقديس بولس حين عانى من الألم، لكي لا يُقال هذا لكل واحدٍ بمفرده، بل يُحسب هذا القول مُقدمًا لكل متألمٍ.

لقد تكلم الآب مرة، حيث وُلد الكلمة الإلهي أزليًا، وليس من كلمة أخرى يلدها تشاركه الجوهر الإلهي وتساويه في ذات الجوهر.

فِي حُلْمٍ فِي رُؤْيَا اللَّيْلِ،
عِنْدَ سُقُوطِ سُبَاتٍ عَلَى النَّاسِ،
فِي النُّعَاسِ عَلَى الْمَضْجَعِ [15].

يقصد بالنعاس *slumbering* النوم الخفيف، فيكون الإنسان في حالة ما بين النوم واليقظة.

سبق فقال أيوب: "تريعني بالأحلام، وترهبني برؤى" (أي 7: 14). وكان يليق به أن يدرك أن الله يود أن يقدم له رسالة معينة خلال هذه الأحلام المريعة والرؤى المرهبة. جاء في النسخة السريانية: "ليس بالشفاه يُعلم، وإنما بالأحلام والرؤى في الليل".

حينما يكون الإنسان في هدوء، بعيدًا عن ارتباكات الحياة والمشاغل اليومية، كمن هو في غفوة نومٍ، يمكنه أن ينصت إلى الصوت الإلهي وسط هدوء أفكاره وانفعالاته الداخلية.

❖ ماذا يُقصد بكلمة الله أنه يُعرف لنا في حلمٍ إلا أننا لا نتعلم أمور الله السرية مادمنا في يقظةٍ في الشهوات العالمية. ففي الحلم تستريح الحواس الخارجية، ويمكن تمييز الأمور الداخلية. إذن، إن أردنا التأمل في الأمور الداخلية، فلنسترح من الانشغالات الخارجية. بالحقيقة يُسمع صوت الله كما في حلمٍ، عندما تكون الأذهان في راحة، نستريح من ضجيج هذا العالم، فنفكر في الوصايا الإلهية في أعماقها، في السرائر العميق للذهن.

هكذا إذ يُلزم القديسون خلال ضرورة الالتزامات أن ينشغلوا في أمور خارجية، يعودون دومًا في شغفٍ لدراسة أسرار قلوبهم. بهذا يصعدون إلى علو الفكر الخفي، ويتعلمون كما لو إلى الناموس الذي على الجبل، عندما يضعون جانبًا قلاقل الأعمال الزمنية، ويت أملون في أحكام الإرادة الإلهية. هكذا موسى نفسه كثيرًا ما انسحب إلى خيمة الاجتماع في أمورٍ متشكك فيها، يسأل الله خفية، ويتعلم القرارات التي يلزم أن يتخذها... هكذا في نشيد الأناشيد، العروس القائلة: "أنا نائمة، وقلبي مستيقظ" (نش 2:5) سمعت صوت العريس في أحلامٍ...

ولما كان جميع القديسين – ماداموا في هذه الحياة – ينظرون أسرار الطبيعة الإلهية فقط خلال تشبيهات (إذ لم يقتنوا بعد نظرة أكثر وضوحًا عنها ليروها كما هي)، لذلك بعدما قال أليهو إن الله يتكلم معنا في حلمٍ، بحقٍ أضاف: " **في رؤيا الليل**". لأن الليل هو الحياة الحاضرة، ومادمنا نحن فيها، نتغطى بضبابٍ خفيفٍ من التصورات غير الأكيدة قدر ما نهتم بالأمور الداخلية. أضاف بطريقة لائقة: " **ينعسون في مضاجعهم** ". لأنه

بالنسبة للقديسين النعاس في مضاجعهم هو أن يستريحوا في حجال العقل. هكذا مكتوب: "ليبتهج القديسون بمجدٍ، ليفرحوا على مضاجعهم" (مز 5:149).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يأمر الرب أن يترك (الإنسان) حياته المرتبكة ويلتصق بالواحد، يقترب من نعمة ذاك الذي يقدِّم الحياة الأبديَّة[1].

القدِّيس إكليمنضس السكندري

❖ كانت مرثا تهتم أن تُطعم الرب، وأما مريم فاهتمت أن يُطعمها الرب. بواسطة مرثا أُعدَّت الوليمة للرب، هذه الوليمة التي ابتهجت فيها مريم .

❖ أقول إنه في هاتين المرأتين مُثِّلت الحياتين: الحياة الحاضرة والحياة العتيدة؛ حياة الجهاد وحياة الراحة؛ حياة الحزن وحياة الطوباويَّة؛ الحياة الزمنيَّة والحياة الأبديَّة...

ماذا تحمل هذه الحياة؟ لست أتكلَّم عن حياة شرِّيرة، رديئة، خبيثة، مترَفة جاحدة، بل هي حياة جهاد مملوءة آلامًا، ومخاوف، تُفقدها التجارب سلامها... وأقول إن الحياتين غير ضارِّتين، بل ومستحقَّتان المديح، لكن واحدة مملوءة تعبًا والأخرى سهلة...

في مرثا نجد صورة للأمور الحاضرة، وفي مريم الأمور العتيدة.

ما تفعله مرثا نفعله نحن الآن، ما تفعله مريم نترجَّاه لنفعل العمل الأول حسنًا فننال الثاني كاملاً[2].

القدِّيس أغسطينوس

❖ الخير الأعظم لا يكمن في الأعمال في ذاتها مهما بلغ شأنها، وإنما في التأمُّل في الرب، الذي هو بالحقيقة هو "الأمر الواحد"... أما قوله : "لا ينزع عنها"، فقد كشف أن نصيب الأخرى يمكن أن يُنزع عنها، لأن الخدمات الجسديَّة لا يمكن أن تبقى مع الإنسان أبديًا، أمَّا اشتياق مريم فلن يكون له نهاية[3].

الأب موسى

---

[1] *Who is the rich man….. 10*
[2] *Ser. on N.T. 54:1.*
[3] *Ser. on N.T. 54:4.*
[4] *Cassian : Conf. 1:8.*

ج. بالإلهامات الخفية

حِينَئِذٍ يَكْشِفُ آذَانَ النَّاسِ،
وَيَخْتِمُ عَلَى تَأْدِيبِهِمْ [16].

في وسط هدوء النفس، بعيدًا عن ارتباكات الحياة يفتح الله أذني الإنسان ليسمع مع صموئيل النبي الصوت الإلهي الذي لم يسمعه عالي الكاهن. في هدوء الليل يرفع صموئيل قلبه، قائلاً: "تكلم يا رب فإن عبدك سامع".

يفتح الله أذني الإنسان ليسمع ما لا يسمعه من هم حوله. يُعلن له الله بعض أسراره الإلهية، ويكشف له عن الحق، ويُظهر له إرادته الإلهية. "**ويختم على تأديبهم**"، أي يضع ختمًا على تحذيراته وتأديباته لهم، بمعنى أنها ثمينة في عيني الله من أجل نفعها، يعتز بها لأجل بنيان أولاده فيختم عليها كمن يثبتها.

كانت العقود قديمًا يُختم عليها حتى تكون كما في الصون، ليس من يد تمد إليها لتغييرها. هكذا يحسب الله التأديب أشبه بميثاق حب بين الله وأولاده، يختم عليها بختمه السماوي، كما لو ختم على وصية قدمهما لهم للتمتع بميراثٍ أو نصيب منه.

يختم الله على تأديبهم، أي يعد بأن وراءها الكثير من البركات التي لا رجوع فيها. وراء الضيقات وعود إلهية مختومة لا تتغير.

❖ "**حينئذ يكشف آذان الناس وتعليمهم، ويدربهم بالتأديب** " [16]. توجد أربع طرق بها يتأثر الإنسان بقوة لممارسة الندامة:

عندما **يتذكر خطاياه**، ويتطلع أين هو.

أو عندما **يخشى أحكام دينونة الله**، ويفحص نفسه، فيعرف أين سيكون.

أو عندما يلاحظ بدقة **شرور الحياة الحاضرة**، فيأسف على أين هو قائم.

أو عندما يتأمل **بركات وطنه السماوي**، إذ لم يتمتع بعد بها، فيتأسف أنه لم يبلغ بعد إليها.

تذكر بولس خطاياه وحزن على ما كان عليه، إذ قال: "أنا الذي لست أهلاً لأن أدعى رسولاً، لأني اضطهدت كنيسة الله" (1 كو 19:15).

مرة أخرى إذ **قيَّم بدقة الحكم الإلهي**، خشي لئلا يكون موقفه سيئًا في هذا الأمر، إذ يقول: "حتى بعدما كرزت للآخرين، لا أصير أنا نفسي مرفوضًا" (1 كو 27:9) .

مرة أخرى **كان يتأمل شرور الحياة الحاضرة**، إذ قال: "ونحن مستوطنون في الجسد، فنحن متغربون عن الرب" (2 كو 6:5). و"أرى ناموسًا آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني، ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي، ويحي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت؟" (رو 7:23-24).

أيضًا كان **يتأمل في بركات وطنه السماوي**، إذ يقول: "فإننا ننظر الآن في مرآة، في لغز، لكن حينئذٍ وجهًا لوجهٍ. الآن أعرف بعض المعرفة، لكن حينئذٍ سأعرف كما عُرفت" (1 كو 12:13)، "لأننا نعلم أنه إن نُقض بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السماوات بناء من الله بيت غير مصنوعٍ بيدٍ أبدي" (2 كو 1:5). بالتطلع إلى بركات هذا البيت يقول لأهل أفسس: "لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا المؤمنين حسب عمل شدة قوته" (أف 1:15-16).

البابا غريغوريوس (الكبير)

لِيُحَوِّلَ الإِنْسَانَ عَنْ عَمَلِهِ،
وَيَكْتُمَ الْكِبْرِيَاءَ عَنِ الرَّجُلِ [17].

إذ فسدت طبيعة الإنسان صار ما يشغله هو الخطية، وما يسيطر عليه هو الكبرياء. فإن الله يسمح بالتأديبات ويختم عليها لكي يسحب المؤمن من خطيته ويتمتع ببرّ الله، ويخفى عنه الكبرياء كي لا يتسلل إلى قلبه وفكره، وإنما يحيا بروح التواضع.

"الكبرياء" حفرة خطيرة كثيرًا ما يسقط فيها حتى المتدينون كالفريسيين، لذلك فإن الله يغطي الحفرة ويردمها، حتى لا يسقط المؤمنون فيها.

❖ ما هو عمل الإنسان بنفسه سوى الخطية؟ بحق يُقال إذن أنه إذ يِّحول الإنسان مما يعمله، سيتحرر من الكبرياء. أن نعصى وصايا خالقنا بالخطية، إنما نتعالى عليه. وكأن الإنسان ينزع نير سلطان الله متى استنكف من الخضوع له بالطاعة. من الجانب الآخر، من يرغب في تجنب ما يفعله، يستدعي في عقله مما قد خُلق بواسطة الله، وفي تواضع يعود إلى نظام خلقته عندما يطير من أعماله الذاتية، ويحب نفسه كما خلقه الله في البداية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لِيَمْنَعَ نَفْسَهُ عَنِ الْحُفْرَةِ،
وَحَيَاتَهُ مِنَ الزَّوَالِ،

بِحَرْبَةِ الْمَوْتِ [18].

بينما يبذل الأشرار كل الجهد لتحقيق أهدافهم الشريرة وإشباع كبريائهم، إذا بنفوسهم تسقط في حفرة الكبرياء فتهلك في هذا العالم الحاضر وفي الدهر الآتي. لكن الله يتدخل بكل وسيلة، خاصته بالسماح بالتأديبات لإنقاذهم من هذا الموت الأبدي.

كلمة "**نفس** *soul*" تشير الإنسان بكليته، فالموت يلحق بالجسد كما بالنفس، بكيان الإنسان كله.

كلمة "**حفرة** *shaachat*[1]" ربما تعني فخًا يقيمه الصيادون لتسقط فيه الحيوانات المفترسة (مز 7: 15؛ 9: 15)، أو جوفًا مملوء بالوحل (أي 9: 31)؛ أو سجنًا (إش 51: 14)، أو قبرًا على شكل كهفٍ كبيرٍ (أي 17: 13؛ مز 30: 9). واضح أنه يُقصد به هنا القبر حيث تنتهي حياة الإنسان على الأرض.

❖ "**منقذًا نفسه من الفساد، وحياته من الزوال بالسيف**" [18]. فإن كل خاطي، بسبب فساده هنا بالخطية، يلتزم أن يعبر إلى سيف العقوبة، فبعدلٍ يُعاقب في ذاك العالم بذات الخطايا التي ابتهج بها في هذا العالم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

د. بالأحزان

أَيْضًا يُؤَدَّبُ بِالْوَجَعِ عَلَى مَضْجَعِهِ،
وَمُخَاصَمَةُ عِظَامِهِ دَائِمَةٌ [19].

يسمح الله بالآلام تحل ببعض مؤمنيه حتى يلزموا الفراشَ وهو في هذا لا يطلب آلامهم، إنما لكي يكبح رغبتهم نحو الخطية. في لحظات الضيق يعيد الإنسان التفكير في حياته، وتُقدم له الفرصة للتفكير في المصير الأبدي.

أليهو يوضح هنا أن الضيق هو عمل تأديبي للبنيان، يستخدمه الله بروح الأبوة الحانية، من أجل توبة أولاده، ورجوعهم إليه، وتمتعهم بشركة الأمجاد.

يشير السرير أو الفراش أو المضطجع إما إلى الملذات الجسدية أو الراحة بممارسة الأعمال الصالحة أو الراحة المؤقتة. عندما شفى ال سيد المسيح المفلوج سأله أن يحمل سريره ويمشي (مت 6:9)، أي لا يعود ينام في ملذات الجسد، بل بكلمة الرب يحمل سرير مرضه،

---

[1] *Barnes' Notes on Job 33: 18.*

ويتخلص من خطاياه.

هنا يعلن أن الله يؤدب الإنسان الساقط في ملذات الجسد على سريره، فتصير الملذات نفسها مصدر آلامه وتأديبه. ما يظنه سرٌ بهجته يصير بالنسبة له علة حزنه.

أما **العظام التي تنبري**، فتشير في الكتاب المقدس إلى الفضائل، حيث كُتب: "الرب يحفظ كل عظامهم، وواحدة منها لا تنكسر" (مز 34:20). لا تشير هنا إلى عظام الجسد بل إلى قوى العقل. فإن الكثير من عظام الشهداء انكسرت وذلك بالمفهوم الجسدي، كما كُسرت ساقا اللص الذي قيل له: "اليوم تكون معي في الفردوس" (يو 19:32، لو 23: 43). فإنه إذ يؤدبنا خلال شهواتنا الجسدية ، يتبدد فينا الافتخار بفضائلنا، ونعترف بضعفنا. خلال التأديب ندرك ضعفنا، وبدونه نحسب أنفسنا أقوياء في حياة الفضيلة بقدراتنا الذاتية.

فَتَكْرَهُ حَيَاتُهُ خُبْزًا،

وَنَفْسُهُ الطَّعَامَ الشَّهِيَّ [20].

من التأديبات التي يستخدمها الله السماح بالمرض الذي يُفقد الإنسان شهيته حتى عن أكل الخبز، إذ تمقته نفسه، وهو تأديب نافع للمتألمين، إذ لا يعودوا يستطيبون الملذات والترف. يشمئز الإنسان من الأطعمة الفاخرة التي كان يشتهيها ويعافها.

يقول المرتل عن الجهال الذين تذلهم آثامهم: " **كرهت أنفسهم كل طعامٍ**، واقتربوا إلى أبواب الموت" (مز 107: 18). ويصف الحكيم حال الميت: " **والشهوة تبطل**، لأن الإنسان ذاهب إلى بيته الأبدي، والنادبون يطوفون في السوق" (جا 12: 5).

بعد أن تحدث عن قوة التأديب الإلهي، الذي يرفع الإنسان عن سرير الملذات الجسدية، ويبدد افتخاره بالحياة الفاضلة كأنها من عمل يديه، يقول هنا إنه يجعل خبزه دنسًا في شفتيه، فتكره حياته الخبز، وتُعاف نفسه الطعام الشهي. ماذا يعني بالخبز والطعام الشهي سوى الملذات التي كان يجد فيها لذة خاصة لا يقدر أن يستغنى عنها ؟ خلال التأديب يتحول خبزه بالنسبة له إلى دنسٍ كريهٍ، حيث يدرك بطلان الملذات الج دسية، وتتحول العذوبة من الطعام الشهي إلى مرارة لا يطيقها.

فَيَبْلَى لَحْمُهُ عَنِ الْعَيَانِ،

وَتَنْبَرِي عِظَامُهُ فَلاَ تُرَى [21].

الجسم الذي كان يعتز به الإنسان ويفخر بجماله وقوته يبلى كأنه قد اختفى، ويصير

كأنه غير موجود، والعظام التي كانت مختفية حيث يكسوها اللحم برزت من شده النحافة والمرض، وكأنها صارت عارية.

يعلق **البابا غريغوريوس (الكبير)** على هذه العبارة التي جاءت ترجمته لها في كتاباته: "**يبلي جسده، وعظامه التي كانت مغطاة تتعرى**" بأن الجسد هنا يشير إلى شهوات الجسد، والعظام إلى فضائل النفس. فخلال عصا التأديب تبلى شهوات الجسد، ولا يكون لها سلطان علينا وتنكشف الفضائل التي كانت مستترة، فتتجلى وسط التأديب الإلهي.

❖ لا يتعلم أحد عن مدى التقدم الذي صار له إلا وسط الضيق لأنه في الرخاء لا يمكن تمييز الشهوات عن القوة الروحية. عندما تأدب الرسل طُلب منهم ألا ينطقوا بعد باسم يسوع. أما هم ففرحوا فرحًا عظيمًا، أنهم حُسبوا أهلاً أن يهانوا من أجل اسم يسوع. وبثقة أجابوا خصومهم قائلين: "ينبغي أن نطيع الله أكثر من الناس" (راجع أع 29:5). ها أنتم ترون قوة الإيمان تشرق بأكثر حيوية في وسط الضيق. ها أنتم ترون سلامة (شهوات) الجسد تقطع، وعظام فضائلهم تُكشف. قيل عنهم بواسطة الحكمة: "الله زكّاهم، ووجدهم أهلاً له" (حكمة 5:3). فإنهم إذ يُمتحنون بواسطة نفخات الخصم يَجدون أهلاً بتعرية عظامهم". فإن قوة كل إنسان تُعرف فقط بالضيق.

البابا غريغوريوس (الكبير)

وَتَقْرُبُ نَفْسُهُ إِلَى الْقَبْرِ،
وَحَيَاتُهُ إِلَى الْمُمِيتِينَ [22].

هنا يعني الإنسان الساقط في ضيقة يصير كمن يعاني من الآم مبرحة تكاد تنهي حياته، فينقاد إلى المميتين، أي ملائكة الموت، أي الملائكة المنوطين من قبل الله ليأخذوا أرواح الناس.

❖ "**تقرب نفسه إلى الفساد، وحياته إلى المخربين** " [22]. بقدر ما يُقاد بالضيق ويدرك أن قوته تقترب من الموت، يعمل ليجد حلاً، يجد الأساس الحقيقي للحياة، بالطيران إلى الحمائق القادمة من الثقة بالله.

البابا غريغوريوس (الكبير)

هـ. يرسل البرّ

إِنْ وُجِدَ عِنْدَهُ مُرْسَلٌ وَسِيطٌ وَاحِدٌ مِنْ أَلْفٍ،

لِيُعْلِنَ لِلإِنْسَانِ اسْتِقَامَتَهُ [23].

اختلفت الآراء في تفسير هذه العبارة. وقد جاءت في الترجمة السبعينية: "إن وجد ألف ملاك للموت لا يقدر واحد منهم أن يجرحه بطريقة مميتة. إن صمم في قلبه أن يرجع إلى الرب عندما يظهر للإنسان اتهامه ضده، ويظهر غباوته، فسيعينه حتى لا يسقط في الموت، ويجدد جسده مثل لصق أملس على حائط، وسيملأ عظامه بالنخاع، ويجعل جسمه غصن مثل طفل". وجاءت الترجمة الفولجاتا: "إن وُجد له ملاك يتحدث عنه، واحد من ألف، يعلن برّ الإنسان فسيشق عليه ويقول: خلص ذاك الذي يسقط في الفساد، وجدته هذا الذي أنا مناسب له". وجاء في النسخة الكلدانية: "إن وُجد استحقاق فيه يُعد ملاك، معزي، واحد بين ألف من المتهمين، يعلن للإنسان استقامته؛ لقد وجدت فدية".

1. الرأي الأول: هو أن هذا الملاك هو إنسان يرى *Munster* واسيدورس أنه معلم ممتاز مُرسل إلى المرضى يعلم إرادة الله. ويرى *Junius* و *Termillius* أنه نبي. يرى *Codurcus* أنه يشير هنا إلى حالة أبيمالك الذي أصيب بمرضٍ بسبب سارة وأن الملاك هو نبي أرسل ليُعلن له أن الله بار (تك 20). ويرى *Umbreit* ان الملاك هنا هو أليهو نفسه، أرسله الله إلى أيوب ليعلن الحق الخاص بالتدبير الإلهي وسرّ السماح بالأحزان أن تحل بالناس. وآخرون يرون أن الحديث هنا يخص خادم الله الأمين الذي يفتقد المرضى والمتألمين ويعلن لهم خطة الله، دون تحديد اسم معين.

2. الرأي الثاني : إن الحديث خاص بإرسال الله ملائكته لاعلان إرادته للبشر، خاصته للمتألمين، وأن يؤكد لهم أن الله يريد أن يعلن رحمته لهم إن رجعوا إليه بالتوبة يرى **القديس جيروم** على سبيل المثال أن الحديث هنا يشير إلى ملاك واقف في حضرة الله، عمله إرشاد البشرية وإصلاح أمرها.

3. الرأي الثالث: وهو أن الحديث هنا هو نبوة عن شخص السيد المسيح، من بين الذين نادوا بهذا الرأي **القديس أغسطينوس** [1].

❖ من هو هذا المُرسل (الملاك)، إلا ذاك الذي دعاه النبي: "ملاك المشورة القدير"؟

❖ طبيبنا من فوق، إذ وجدنا تحت ثقل أمراض كثيرة كهذه... جاء إلينا كإنسانٍ، ولكن بكونه بارًا للذين هم في الخطية. اتفق معنا في حقيقة طبيعته (ناسوته)، واختلف عنا من جهة قوة

[1] *Cf. Barnes' Notes on Job 33: 23; Jamieson, Fausset and Brown Commentary, on Job33: 23.*

برّ َه.

لا يمكن إصلاح إنسانٍ خاطئ إلا بواسطة الله. ولكن كان من الضروري أن ذاك (المسيح) الذي يقوم بشفائه أن يكون منظورًا مدركًا بالحواس، لكي ما يصلح حياتنا السابقة الشريرة بوضع نموذجٍ لنا نقتدي به. لم يكن ممكنًا لله أن يُرى بواسطة إنسان. لذلك صار إنسانًا لكي ما يُرى. ظهر الله القدوس غير المنظور ك إنسانٍ منظورٍ مثلنا، حتى إذ يبدو كمن هو مثلنا يعلمنا بقداسته، ويضع نهاية لمرضنا بقدرة مهارته...

إذ ليس فيه أي مزيج من الخطية لم يخضع لأية عقوبةٍ كأمرٍ حتميٍ. لقد اخضع معصيتنا بغلبة عليها . لقد خضع لعقوبتنا من أجل حنوه علينا، وكما يقول بنفسه: "لي سلطان أن أضع حياتي، ولي سلطان أن آخذها" (راجع يو 18:10). مرة أخرى لم يقم مثل سائر الناس فإن قيامتنا تتحقق في نهاية العالم، أما قيامته فلحتفل بها في اليوم الثالث. نحن بالحق نقوم بواسطته، أما هو فيقوم بنفسه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

و. بالفداء

يَتَرَأَّفُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: أَطْلِقْهُ عَنِ الْهُبُوطِ إِلَى الْحُفْرَةِ، قَدْ وَجَدْتُ فِدْيَةً [24].

إذ يشير أليهو إلى الوسيط، ربنا يسوع المسيح، يتحدث عن دوره في خلاص الإنسان وتمتعه بالفداء، منقذًا إياه من الانحدار إلى هاوية مملكة الظلمة، ويهبه الحياة الأبدية عوض الهلاك الأبدي.

❖ سيتراءف عليه، ويقول: " **خَلصه من الهبوط إلى الفساد، وجدت طريقًا لفديته** " [24]. الوسيط بين الله والإنسان، الإنسان يسوع المسيح، إذ أخذ شكل إنسان. بحنوه يقول أبيه لحساب الإنسان المُخلص: "**خلصه من الهبوط إلى الفساد**".

نتحرر ببرّ المخلص القدير، إذ يقول بنفسه: "فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارًا" (يو 8: 36). حسنًا يُقال لحساب هذا الإنسان المفدي: "تقترب نفسه من الفساد" (راجع أي 33: 22)، والآن يعلن أنه لا يهبط إلى الفساد. وكأنه يقول: إذ هو مدرك خلال إحساسه بضعفه أنه ليس ببعيدٍ عن الفساد، لهذا ليته لا يهبط إلى موت الفساد ، فإنه بحقٍ يهبط إلى الفساد إن حسب نفسه أن بقوته ابتعد بعيدًا عنه. لكنه إذ يقترب في تواضعٍ يلزم

قبوله بالرحمة. فكما اعترف بضعفه بالطبيعة يتقوى ضد الخطايا التي تصارعه. فمن يفتخر بنفسه فوق ما هو عليه يهبط بثقل كبريائه، يغطس إلى أعماق أكثر...

إذ أخذ الرب لنفسه الضعف، واحتمل عقوبتنا بموته، ردّ فسادنا بقيامته.

البابا غريغوريوس (الكبير)

"**أطلقه**"، الترجمة الحرفية للكلمة العبرية "خلّصه"، بأن ينقذ الشخص بفدية أو دفع ثمن عنه، والكلمة اليونانية تعني دفع ثمن أو فدية، استخدمت في (مت 20: 28). "ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين".

الحديث هنا نبوة واضحة عن الفداء الأبدي الذي دفع السيد المسيح ثمنه بدمه الثمين. وكما يقول الرسول بولس: "وليس بدم تيوسٍ وعجولٍ، بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبديًا" (عب 9: 12).

"**وجدت فدية**"، فقد أوجد ربنا يسوع هذا الفداء. تعبير " **أوجد**" يشير إلى غيرته المتقدة على خلاص العالم، وأمانته، وفرحه، وسعيه نحو خلاص الإنسان. إنه يعمل كمن يبحث حتى يجد فيفرح!

"يذهب لأجل الضال حتى **يجده**، وإذا **وجده** يضعه على منكبيه فرحًا" (لو 15: 4-5).

"افرحوا معي لأني وجدت خروفي الضال" (لو 15: 6).

"أية امرأة... إن أضاعت درهمًا واحدًا... تفتش باجتهاد حتى **تجده**" (لو 15: 8).

"افرحي معي لأني وجدت الدرهم الذي أضعته" (15: 9).

"وجدت داود عبدي، بدُهن قدسي مسحته" (مز 89: 20).

❖ الوسيط بين الله والإنسان، الإنسان يسوع المسيح، يظهر رحمة على الإنسان إذ أخذ شكل إنسانٍ. خلال حنوه، يقول لأبيه لحساب الإنسان المُخلص: "أطلقه عن الهبوط إلى الفساد"...

4. عذوبة التمتع بخلاص الله

يَصِيرُ لَحْمُهُ أَنْضَرَ مِنْ لَحْمِ الصَّبِيِّ،

وَيَعُودُ إِلَى أَيَّامِ شَبَابِهِ [25].

إذ تحدث أليهو عن المسيح الفادي، رفع نظرنا من الضيقات والأحزان والأمراض إلى

ما ننعم به خلال هذا الفداء العجيب. عوض الحديث عن الأمراض يدهش أليهو إذ يرى بروح النبوة الإنسان الذي كان منحدرًا نحو الهلاك الأبدي لا يتمتعٍ بالصحة فحسب، بل يصير جسمه أغض من جسم صبي، يتحول من حالة الشيخوخة العاجزة إلى الشباب القوي المملوء حيوية ونشاطًا.

خلال الفداء يتمتع بميلاد جديد، ويصير المؤمن خليقة جديدة على صورة خالقه. يصير ابنًا لله في مياه المعمودية، باتحاده بالابن الوحيد الجنس. يصير نعمان الجديد، الذي قيل عنه: "فنزل وغطس في الأردن سبع مرات حسب قول رجل الله، فرجع لحمه كلحم صبي صغير وطهر" (2 مل 5: 14). يتحقق فيه قول السيد المسيح لنيقوديموس: "الحق الحق أقول لك، إن كان أحد لا يُولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح روح هو" (يو 3: 5-6).

- "**جسده أُستهلك بالعقوبات، ليعود إلى أيام صباه** " [25]. عندما سقط الإنسان الأول من الله، طُردنا من مباهج الفردوس، وارتبطنا بمآسي هذه الحياة الفانية. ونشعر بألم عقوبتنا مدى خطورة خطأنا الذي ارتكبناه بغواية الحية. فإننا إذ سقطنا إلى هذه الحال، لا نجد شيئًا خارج الله سوى الحزن... فإننا نعاني يوميًا من الحزن في الجسد، وفيه العذاب والموت، لذلك فإن الرب بتدبيره العجيب يغير ما حلّ بنا بارتكابنا الخطية وذلك بوسائط العقوبة.... "**جسده أُستهلك بالعقوبات، ليعود إلى أيام صباه**". كأنه يقول: خلال عقوبة موت (موت الإنسان) هبط بعمره المسن، فليرتد إلى أيام صباه، أي ليتجدد إلى كمال حياته السابقة، ولا يبقى في الحال الذي سقط إليه، بل بخلاصه يرجع إلى مباهج حالته التي خُلق عليها أصلاً... إذ أُحضرنا إلى هذه القوة للحياة الجديدة، ليس بقوتنا، وإنما بواسطة المخلص، ليت الرسول (السيد المسيح) يقول في وساطته لهذا الإنسان الذي تحت العقوبة: "ليعود أيام صباه".

البابا غريغوريوس (الكبير)

يُصَلِّي إِلَى اللهِ فَيَرْضَى عَنْهُ،
وَيُعَايِنُ وَجْهَهُ بِهُتَافٍ،
فَيَرُدُّ عَلَى الإِنْسَانِ بِرَّهُ [26].

بهذا الميلاد الجديد يدخل المؤمن في علاقة مع الله، كابن له دالة لدى ابيه؛ يصلي

ويعترف ويسبح ويشكر، مقدمًا بخورًا طيبًا يشمته الله رائحة سرور ورضا في استحقاق ذبيحة المسيح. يتطلع الله أبيه ببهجة قلب، معانيًا وجهه بهتافٍ وتهليلٍ. لا يخشى اللقاء معه، إذ يدرك حقيقة المصالحة التي تمت بالصليب.

يسكب الله على مؤمنيه من ثمار الروح بفيض فيحمل أيقونة المسيح وبرَّه.

هكذا ينقلنا أليهو من الصراخ بسبب الأحزان، إلى الهتاف كأبناء للآب السماوي، نحمل الطبيعة الجديدة المكللة بالمجد، ونتمتع برؤية وجه الله، ونشارك السمائيين تسابيحهم وهتافهم، ونستتر في برّ المسيح الذي نرتديه ثوبًا بهيًا سماويًا.

❖ "**سيصلي إلى الله، فيرضي عنه**" يقول بأن الرسول (الشفيع الكفاري) يتوسط أولاً وبعد ذلك الإنسان، فلو لم يتوسط الرب لدى أبيه خلال تجسده، وصلي لأجل حياتنا، ما كان لجمودنا الحي أن يتحرك، فنطلب الأبديات... لكن لأن نور الحق ينفجر بالفرح السري في قلوبنا بعد التجارب، غالبًا بعد أحزانٍ عظيمة ، بحق أضيف عن هذا الإنسان المُجرب والمتوسل لدي الله: "**ويعاين وجهه بهتاف**" [25]. لقد قيل سابقًا كيف يعمل الله بإعلان ذاته لنا، أما هنا فيُظهر كيف أنه يبهجنا عندما يجعل نفسه معروفًا.

هكذا فإن يعقوب بعد صراعه مع الملاك قال: "نظرت الله وجهًا لوجه" (تك 32: 3)، كمن يقول: "أعرف الرب لأنه هو نفسه يتنازل ليعرفني". لكن بولس يعلن أن هذه المعرفة ستتم بأقصى الكمال في النهاية، حيث يقول: "سأعرف كما عُرفت" (1 كو13: 12). بعد النضال في الأتعاب وأمواج التجارب غالبًا في تُسب ى النفس متهللة حيث تتأمل معرفة الحضرة الإلهية (التي يمكنها أن تشعر بها لكنها لا تقدر أن تتمتع بكمالها). لذلك حسنًا قيل عن هذا الإنسان المُجرب بعد أتعاب كثيرة: "يعاين وجهه بهتافٍ" [26]. كلما تأمل الإنسان في الإلهيات يستعيض أفعاله الأرضية بنعمة التأمل، لذلك لاق به أن يضيف بُر لأعماله: "**فيردّ على الإنسان برُ َه**" [26].

يُدعى "**برنّا**" ليس كما لو كان ذلك من أنفسنا، إنما صار لنا بالهبة الإلهية، كما نقول في الصلاة الربانية: "خبزنا اليومي أعطنا اليوم". انظروا إننا ندعوه "**خبزنا**" مع أننا نصلي لكي ننالة. إذ يصير لنا عندما نتقبله، ولكن هو خاص بالله، لأنه هو الذي يعطيه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يُغَنِّي بَيْنَ النَّاسِ فَيَقُولُ:

قَدْ أَخْطَأْتُ، وَعَوَّجْتُ الْمُسْتَقِيمَ،
وَلَمْ أُجَازَ عَلَيْهِ [27].

جاءت العبارة في العبرية: " **يغني بين الناس**"، وقد اختلفت الترجمات للكلمة العبرية *Shiyr* وتعني "يغني". يتحول الإنسان من صراخه من شده التجارب والآلام التي حلت به إلى التهليل والتسبيح متغنيًا بنعمة هذا الوسيط الذي فداه وجدد طبيعته بروحه القدوس ووهبه الحياة الأبدية. إنه أخطأ وعوج الطريق المستقيم لكن النعمة غطته فنال المغفرة ولم يجاز على ماضيه.

رأى البعض أن الكلمة العبرية مشتقة من *Shuwr* وتعني "يتطلع حوله" أو "يهتم بـ"، أو "يلاحظ". لذلك جاءت الترجمة الانجليزية (*KJV*): "تطلع إلى البشر، وإن قال أحد إني أخطأت وأفسدت ما هو حق ولم أنتفع شيئًا. وكأن هذا العبارة تشير إلى الوسيط الإلهي، مخلص العالم يتطلع إلى البشرية التي فسدت، فإن اعترف أحد أنه أخطأ وأفسد ما هو صالح من طاقات وإمكانيات ومن مراحم وبركات قُدمت له من قبل المخلص وان هذا لا ينفعه شيء، فسيعمل المخلص فيه [1].

تحت ضغط التجارب أو تحت التمتع برؤية الوسيط إن اعترف أحد بخطايا واعوجاج سلوكه يتمتع بالمراحم الإلهية.

بهذا يقدم لنا أليهو نظرته إلى التجارب بكونها تأديبًا من الرب غايته أن يرجع الإنسان إلى نفسه ويكتشف أخطاءه ويشعر باحتياجه إلى الفادي فينعم بالمراحم الإلهية.

بقوله: "**عوجت المستقيم**" قد يعني أخطأت النظر إلى خطة الله من نحوي، فلأجل استقامة حياتي يُسمح ليّ بالتجارب، لكنني بفساد قلبي أتطلع إليها كظلمٍ حلّ عليّ. ولهذا " **لم أجازَ عليه**" أو "**لم أنتفع منه**". فالخطأ ليس في حلول التجارب وإنما في عدم انتفاعي منها بسبب تذمري على الرب، وحسبت أنني لا استحق كل هذه الآلام القاسية.

❖ "**يتطلع إلى الناس ويقول: وأخطأت** " [27]. ما كان يمكنه أن يعرف أنه خاطى ولو لم يكن قد صار له البرّ. فإنه لا يكتشف أحد عيوبه ما لم يكن قد بدأ أن يكون مستقيمًا. فمن هو مشوه تمامًا لا يقدر أن يدرك حقيقة نفسه. أما الذي يشعر أنه خاط ئ، فقد بدأ إلى حد ما أن يصير مستقيمًا. بكونه مستقيمًا يلوم سلوكه حيث لا يزال بعد غير بار. وباتهامه

[1] *Cf. Adam Clarke's Commentary on Job 33: 27.*

لنفسه يبدأ يلتصق بالله. وإذ يعبر إلى اتهام نفسه بحق، يدين نفسه فيما يدرك أنه لا يسر الله.

أما إذا تطلع خاطي إلى نفسه دون أن يتعلم سمة البار، فإنه لا يستطيع بأية وسيلة أن يدرك أنه خاطي...

البابا غريغوريوس (الكبير)

يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن المؤمن إذ يتطلع إلى الناس (القديسين) يقرأ في حياتهم كما في كتاب مفتوح فيدرك أنه خاطي، ويقدم توبة ليحيا في برّ المسيح. ففي تعليقه على هذه العبارة يقول: [حياة الصالحين هي دراسة حية، لهذا ليس عن غير استحقاق دعي الأبرار "كتبًا" في لغة الكتاب المقدس، كما هو مكتوب: "وانفتحت أسفار، وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة، ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار حسب أعمالهم" (رؤ 2: 12)... لكي نقتني معرفة السماويات ندرس الأمثلة التي للقديسين الذين سبقونا. لقد قيل إنهم يرعون بين السوسن (راجع نش 4: 5–6). فإنه ماذا يُقصد بالسوسن سوى سلوك أولئك الذين يقولون بكل صدقٍ: "لأننا رائحة المسيح الذكية لله" (2 كو 2: 15)... فإننا مادمنا نعبر في ظلال هذه الحياة الفانية حتى نبلغ فجر اليوم الأبدي، نحتاج أن نشبع بأمثلة الأبرار.]

❖ "**يتطلع إلى الناس ويقول: أخطأت، وعوجت المستقيم، ولم أجاز عليه كما أستحق**" [27]. حتى الذين لا يعتقدون أنهم يخطئون يعترفون بطريقة عامة أنهم خطاة. فالأمر هكذا بالنسبة للبشر . غالبًا ما يعترفون علانية أنهم خطاة، ولكن متى سمعوا من يذكر بالصدق عن خطاياهم عندما يهاجمونهم، يدافعون عن أنفسهم بجسارة ويسعون نحو اظهار أنفسهم أبرياء. من كانت له هذه السمة، فإنه إذ يقول إنه يخطئ فهو لا ينطق بالحق، إذ يعلن عن نفسه أنه خاطي، لكنه ليس من عمق قلبه، إنما مجرد ينطق بكلمات، لأنه مكتوب: "الصديق من البداية يتهم نفسه" (راجع أم 18: 17). وإنه يود أن ينال سمعة طيبة، لا أن يتواضع باعترافه بخطيته. إنه يرغب باتهامه لنفسه أن يظهر متواضعًا بينما هو ليس كذلك... أما الصديق فإذ يتهم نفسه على سلوكه يعرف عمق قلبه، خلال أمثلة القديسين أنه بالحق هكذا كما يعترف. وفي ألم يكمل أنه لم يجازَ كما يستحق.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَدَى نَفْسِي مِنَ الْعُبُورِ إِلَى الْحُفْرَةِ،
فَتَرَى حَيَاتِيَ النُّورَ [28].

هذه هي أغنية القادمين من الضيقة العظيمة (رؤ 7: 14)، إذ يسبحون الله على مراحمه الفائقة الذي رفعهم من حفرة جهنم إلى أورشليم العليا؛ وعبر بهم من مملكة الظلمة ليستقروا في أحضانه أبديًا في النور إلهي. وكما قيل عن أورشليم العليا: "والمدينة لا تحتاج إلى الشمس، ولا إلى القمر ليضيئا فيها، لأن مجد الله قد أنارها، والحمل سراجها" (رؤ 21: 23).

❖ "**فدى نفسي من العبور إلى الدمار** " [28]. إذ تتقدمنا النعمة الإلهية في أعمال صالحة، تتبعها إرادتنا الحرة، وإذ نُخضع م وافقتنا لله الذي يخلصنا يُقال عنا إننا نفدي أنفسنا. يقول بولس: "أنا تعبت أكثر منهم جميعهم" (1 كو 15: 10). وإذ يخشى أن ينسب أتعابه لنفسه للحال أضاف: "ولكن لا أنا ، بل نعمة الله التي معي" . فإنه إذ تبع بإرادته الحرة نعمة الله السابقة والواقية فيه، بصدق أضاف: "التي معي"، حتى لا يكون جاحدًا للنعمة الإلهية، ولا يبقى متغربًا عن التأهل للإرادة الحرة...

"فترى حياتي النور" [28]، بمعنى نور الحق الذي لم يكن قادرًا أن يراه حين كان ميتًا في قلبه، أو يعني الرب القائل: "أنا هو نور العالم " (يو 8: 12)...

البابا غريغوريوس (الكبير)

هُوَذَا كُلُّ هَذِهِ يَفْعَلُهَا اللهُ مَرَّتَيْنِ وَثَلاَثًا بِالإِنْسَانِ [29].

يترجم البعض "مرتين وثلاثًا" "مرات كثيرة"، إذ تعني لا يتوقف الله عن أن يعمل من أجل خلاص مرة ومرتين وثلاثًا وبكل الوسائل حتى يجتذب الأشرار إلى الخلاص، يتمتعون بالنبوة له، وينعمون ببره وقداسته وسماواته.

يرى البعض أن أليهو يذكر "ثلاثًا" اشارة إلى عمل الله مع الخطاة، حيث يستخدم ثلاثة طرق:

أولاً يفيض بالخيرات لعل الإنسان يتلامس مع حب العاطي، فإن لم يرجع إلى الله يستخدم الإلهامات الإلهية سواء خلال الأحلام أو الرؤى أو الوحي الإلهي، فإن لم يرجع يستخدم الأحزان والضيقات لكي يعيد النظر في حياته ويدرك حقيقة موقفه.

❖ "**هوذا كل هذه يفعلها الله ثلاثًا بكل إنسانٍ** " [29]... إن لاحظنا بعناية، فسنجد أنه توجد ثلاث مراحل للحزن والفرح الواحدة تتبع الأخرى، في هدايته، وفي تجربته، وفي موته.

ففي المناسبة الأولى لهدايته ... يكون حزن الإنسان عظيمًا ، وذلك لأنه يضع في حسبانه خطاياه، ويرغب في نزع قيود الاهتمامات العالمية بقوة ، والسير في طريق الله طول فترة هدايته. يود أن يزيل ثقل الاضطرابات الزمنية الثقيلة ، ليحمل نير الرب الهين. في عبودية تحمل حرية... ولكن يأتي عند ذلك **ألم القلب واضطرابه**، إذ يدعو الروح من جانب، ويدعوه الجسد من الجانب المخالف... بحق ويقال عن هذا الإنسان المتمرر: "فتكره حياته خبزه وتقترب نفسه من الفساد، وحياته إلى الممـ ـيتين"(راجع 2، 22) لكن النعمة الإلهية لا تسمح لنا أن نتعرض لهذه المصاعب لمدة طويلة. فإنها تحل قيود خطايانا وتقودنا بسرعة إلى تعزيات حرية حياتنا الجديدة. الفرح الذي يتبعها ينزع الحزن السابق. وهكذا فإن عقل الذي يهتدي بفرح كثيرًا جدًا أكثر مما يشتهي...

ولئلا يظن الإنسان أنه قديس، فإنه في الحال عند اهتدائه... يسمح له بتدبير الله أن يعاني من هجمات التجارب باهتدائه يعبر البحر الأحمر، لكن الأعداء يستمرون في مقاومته في برية هذه الحياة الحاضرة. لقد تركنا خطايانا الماضية خلفنا، إذ مات المصريون على الشاطئ، لكن الرذائل المدمرة لا تزال تهاجمنا ك أعداء جدد لتعوق طريقنا الذي به ندخل أرض الموعد... عدونا أكثر غيرة على غلبتنا مادمنا نحن في هذه الحياة، كلما أدرك أننا متمردون عليه. لا يهتم أنه يلطم الذين يدرك أنهم في ملكيته. إنما هو في حالة هياج أشد ضدنا، إذ أُستبعد من قلوبنا كما من حقه أن يمتلكنا مسكنًا له... بالحق توجد ثلاث مراحل للمهتدين: البداية، المنتصف، النهاية. في البداية يختبرون سحر العذوبة، وفي منتصف الوقت مقاومة التجارب، وأما في النهاية ففيض الكمال...

بعد عبور هاتين المرحلتين من الاهتداء والامتحان في حزن وفرح تبقى المرحلة الثالثة، التي لا يزال يخشى أحزانها، لكنه ينال مسراتها... يقول داود: "لا تدخل في المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يتبرر إنسان أمامك" (مز 143: 2). ويقول بولس بعد ذلك: "فإني لست أشعر بشيءٍ في ذاتي، لكنني لست بذلك مبررًا" (1 كو 4: 4). يقول يعقوب: "لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعًا" (يع 3: 2) ويقول يوحنا: "إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا، وليس الحق فينا" (1يو 1: 8)

البابا غريغوريوس (الكبير)

لِيَرُدَّ نَفْسَهُ مِنَ الْحُفْرَةِ،
لِيَسْتَنِيرَ بِنُورِ الأَحْيَاءِ [30].

يؤكد أليهو هنا ما سبق أن أشار إليه كأغنية يترنم بها الإنسان التمتع بخلاص الله (أي 33: 28)، أنها عطية مقدمة لكل إنسان بغير محاباة، فإن الله "لا يشاء أن يهلك الناس، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة" (2 بط 3: 9)، فيتغنى كل مؤمن: "لأنك نجيت نفسي من الموت، نعم ورجلي من الزلق، لكي أسير قدام الله في نور الأحياء" (مز 56: 13).

- لأن عقل كل مختار يعاني في كل مرحلة من هذه المراحل الثلاث، أي من ألم الاهتداء، أو تجارب الامتحان، أو رعب الانحلال، فيتطهر ويتحرر بذات الأم، قيل: "ليرد نفسه من الفساد، ليستنير بنور الأحياء" [30].

فإن هذا هو نور الأموات التي نعاينه بأعيننا الجسدية... أما الذين يستنيرون بنور الأحياء. فيحتقرون نور العالم ويعودون إلى سمو البهاء الداخلي. حتى يعيشوا في ذلك الموضع الذي يرون فيه النور الحقي قي ويشعرون به، حيث لا يكون اختلاف بين الحياة والنور، فحيث يوجد النور توجد الحياة أيضًا...

البابا غريغوريوس (الكبير)

5. توسل إلى أيوب للاستماع إليه

فَلْصُغْ يَا أَيُّوبُ وَاسْتَمِعْ لِي.
أَنْصُتْ فَأَنَا أَتَكَلَّمُ [31].

يسأل أليهو أيوب أن يفحص بعمق ما قاله، وينصت بانتباه شديد إلى ما سيقوله. فإن لديه الكثير ليقوله، وهو أمر يمس حياته، يستحق أن يطيل أناته ويصبر في حدية ليستمع إلى ما سيقوله له.

إِنْ كَانَ عِنْدَكَ كَلاَمٌ فَأَجِبْنِي.
تَكَلَّمْ. فَإِنِّي أُرِيدُ تَبْرِيرَكَ [32].

قبل أن يكمل أليهو حديثه الوارد في الأصحاح التالي أراد أن يتوقف متأنياً، سائلاً أيوب أن يجيبه أو يقدم تعليقاته عما قاله.

هنا يبرز هدوء أليهو، فإنه وإن بالغ في اتهام أيوب لكنه يتوقف ليسمع تعليقاته بروح طيبة. فإن غايته لا أن يوبخ ولا أن يكيل الاتهامات بل يفتح باب الخلاص والبرّ ليتبرر أيوب أمام الله. هكذا يليق بنا في كرازتنا أن ندرك حقيقة رسالتنا، لا النقد والتوبيخ بل المساندة والحنو مع الصراحة وعدم المداهنة. لقد سبق فقال أليهو لأيوب إنه مثله خُلق من ذات الطين، فكلاهما

يحتاجان إلى المخلص المعين. ويقول الرسول بطرس في كرازته لأول أممي: "أنا أيضًا إنسان" (أع 10: 26).

لا يحتاج الإنسان إلى من يرعبه، بل إلى من يحنو عليه ويترفق، ويُشعر أنه رفيق معه في الضعف البشري، ومحتاج معه إلى العون الإلهي.

في تواضع وحب وحنو يسأل أليهو أيوب إن كان لديه اعتراض أو يطلب استيضاح أن يتكلم بحرية، فإنه يود أن يوضح بمحبة كل ما في ذهنه، لأجل تبريره.

كما طلب أليهو من أيوب أن يسمع بطول أناة وصبر لما قاله أليهو وما سيقوله، فإنه يعلن استعداده هو أيضًا أن يسمع بصدرٍ رحب وبطول أناة.

بقوله "**أريد تبريرك**" خشي أليهو أن يكون قد أساء فهم عبارات أيوب أو نسب إليه أقوالاً بمعانٍ لم يقصدها أيوب، لهذا يعطيه الفرصة ليتكلم في صراحة.

وَإِلاَّ فَاسْتَمِعْ أَنْتَ لِي.
أنْصُتْ فَأُعَلِّمَكَ الْحِكْمَةَ [33].

إن لم يكن لدي أيوب ما يعترض به على كلمات أليهو، يطالبه الأخير أن يستمع إليه ويصغي بانتباه، فيعّلمه الحكمة.

إذ التزم أيوب الصمت، ولم يتدخل أحد من الأصدقاء الثلاثة، أراد أليهو ان يكمل حديثه (كما ورد في الأصحاح التالي).

من وحي أيوب 33

لتهتف نفسي لك،

يا من عبرت بيّ من الجحيم إلى السماء!

❖ تهتف أعماقي بروح التهليل قائلة لك:

خلقتني من تراب، لكنك وهبتني نسمة من عندك.

أعرف ضعف طبيعتي، وأدرك قوة عملك فيّ.

هب ليّ ألاَّ انتقد إخوتي فأوجه إليهم اتهامات مُرّة.

فأنيّ شريك معهم في الضعف.

أطلب خلاصهم لينعموا معيّ بغنى نعمتك.

تئن نفسي لسقطاتهم،
ويحترق قلبي لعثراتهم!

❖ لتتكلم أنت يا رب معهم،
تكلم معهم بلغة الخيرات والعطايا الكثيرة.
تكلم معهم خلال كلمتك القديرة،
وإن لم يقبلوا نعمتك تكلم معهم بلغة الآلام.
فأنت تطلب خلاص الكل بكل وسيلة!
في آلامهم تئن أنت معهم كأب مترفق يؤدب.
وتئن نفسيّ معهم، أشاركهم أحزانهم.
لتعمل فيهم وفيّ حسبما تشاء يا مخلص الجميع!

❖ من يحملني وإياهم إلى الأحضان الإلهية،
سواك يا أيها الشفيع العجيب.
بدمك تطهرنا وبروحك تقدسنا.
تطلقنا من ظلمة الخطية إلى نور برك.
تعبر بنا من هوة الجحيم إلى أورشليم العليا.
تحول صراخنا المُرَّ إلى هتاف.
تحول مراثينًا إلى أغانٍ وتسابيح.
تغذي نفوسنا بدمك،
وتقدمنا لله أبيك أبناء له!
لك المجد يا أيها المخلص محب البشر!

اَلأَصْحَاحُ الرَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ

الحديث الثاني لأليهو

يرى البعض أن أيوب لم يجب على تساؤل أليهو استخفافًا به كشابٍ صغيرٍ، خاصة وأنه سبق فأجاب على أسئلة الأصدقاء الشيوخ علانية. ولعل أيوب لم يجبه خشية أن تنهال عليه الأسئلة من كل الحاضرين. وإذ صمت أيوب، تحول أليهو بوجهه إلى جمهور الحاضرين، من بينهم الأصدقاء الثلاثة، وربما في شيءٍ من التهكم، أو لكسبهم دعاهم رجال تمييز وحكماء وفاهمين [٢-٤، ٣٤-٣٧].

عالج أليهو مشكلة تبرير أيوب نفسه أمام الله، موضحًا له أنه لا يتكلم مع ملكٍ أو أميرٍ بل مع الله العارف بكل شيءٍ، الذي لن يخطئ الحكم. اقترح على أيوب ممارسة التوبة في تواضعٍ وندامةٍ [٣١-٣٢].

أراد أليهو أن يرد على أخطائه من جهة نظرته نحو الله أنه قد سمح له بالآلام ظلمًا، بتأكيد أن عدل الله لا جدال فيه (10-12، 17، 19، 23)؛ وإنه صاحب السلطان المطلق (13-15)؛ والقدير في قوته (20، 24)؛ والعالم بكل شيء (21، 22، 25)؛ والحازم مع الخطاة العاصين لأجل توبتهم (26-28)، أما عنايته الإلهية ففائقة (29-30).

أخيرًا خُتم الأصحاح باستعراض كيف يليق بأيوب الحديث مع الله (31-32)، تاركًا الأمر لضميره (33-37).

1. دعوة الحاضرين للاستماع	**1-4.**
2. الرد على تبرير أيوب نفسه	**5-12.**
3. قدرة الله وأحكامه	**13-30.**
4. كيف نتحدث مع الله؟	**31-37.**

1. دعوة الحاضرين للاستماع

فأجاب أَلِيهو وَقَالَ: [1]

"**فأجاب**"، هذا لا يعني أن أحدًا ما سأل وقام أليهو بالإجابة عليه، فقد اعتاد الكتاب المقدس أن يبدأ الأحاديث بهذه الكلمة: "أجاب"، حتى وإن لم يسبقه أحد في الكلام، وذلك كما

جاء في (أيوب 3: 2؛ إش 14: 10؛ زك 1: 10؛ 3: 4؛ 4: 11–12). أحيانًا تُستخدم هذه الكلمة لتعبر عن إجابة لسؤال خفي في ذهن شخصٍ آخر معارضٍ لم يفصح عنه علانية [1].

اسْمَعُوا أَقْوَالِي أَيُّهَا الْحُكَمَاءُ،
وَأَصْغُوا لِي أَيُّهَا الْعَارِفُونَ [2].

في الأصحاح السابق وجه أليهو حديثه إلى أيوب، حيث أجاب على أسئلته بخصوص الأحزان والضيقات، موضحًا أنها بسماح الله لأجل نفع المؤمنين، حيث تُعطى الفرصة للمؤمن أن ينسحب إلى داخله، ويكتشف أخطاءه، ويطلب الوسيط الواحد الإلهي. لم يجبه أيوب، ولا علق على كلماته. الآن يوجه حديثه بصفة خاصة إلى أصدقائه الثلاثة، وقد دعاهم حكماء، وُهبت لهم المعرفة. وهو في هذا أراد أن يهيئهم للاستماع إليه باهتمام دون تحفزٍ. ولعله تطلع إليهم أنهم بالفعل هم حكماء، قادرون على تتبع أقواله وشرحه لبعض الأمور الصعبة.

لأَنَّ الأُذُنَ تَمْتَحِنُ الأَقْوَالَ،
كَمَا أَنَّ الْحَنَكَ يَذُوقُ طَعَامًا [3].

يدعونا أليهو أن يكون لنا روح الإفراز، فكما يقوم الفم بتذوق الطعام، وتمييز ما هو صالح وما هو فاسد، هكذا يليق بآذاننا أن تفرز الكلمات الصالحة من الشريرة. هنا يتحدث مع الحاضرين خاصة الأصدقاء الثلاثة، وهو لا يتحدث عن الآذان الداخلية فحسب، بل والآذان الجسمية أيضًا، فلا يترك المؤمنون أبواب آذانهم تستقبل كل الكلمات بلا تمييز.

كما نُدان عن كلمة بطالة تفسد وقتنا، يلزمنا أن نحتاط من كل كلمة نسمعها، فنهرب ما استطعنا من الاستماع ليس فقط لما هو شرير، بل وما هو باطل وبلا نفع.

يرى كثير من الآباء أن التهاون بالاستماع إلى المنحلين أو الهراطقة قد يفسد نقاوة النفس واستقامة الإيمان، لذا يليق بالمؤمن أن يمتحن ما يُقال فلا يسمح لأذنيه أن تنصتا بلا تمييز.

"جربوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان. امتحنوا أنفسكم، أم لستم تعرفون أنفسكم أن يسوع المسيح هو فيكم إن لم تكونوا مرفوضين" (2 كو 13: 5).

"**امتحنوا كل شيءٍ**، تمسكوا بالحسن" (1 تس 5: 21).

"أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح، بل **امتحنوا الأرواح** هل هي من الله، لأن أنبياء

---

[1] *Barnes' Notes on Job 43: 1.*

كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم" (1 يو 4: 1).

"لا تصنع شيئًا بغير تمييز" (سيراخ 33: 30).

"ولآخر عمل قوات، ولآخر نبوة، **ولآخر تمييز الأرواح** ، ولآخر أنواع السنة، ولآخر ترجمة ألسنة" (1 كو 12: 10).

"وأما الطعام القوي فللبالغين، الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس **مدربة على التمييز بين الخير والشر**" (عب 5: 14).

❖ "لا تُساقوا بتعاليم متنوعة وغريبة" (عب 13: 9). هذا هو معنى **التمييز بين الصلاح والشر**. "الفم يذوق طعامًا، لكن النفس تمتحن الكلمات" (راجع أي 34: 3) [1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الإفراز هو أفضل من كل الفضائل .

القديس الشيخ الروحاني

❖ "يا رب برضاك ثبت لجمالي قوة" (30: 8)... يتساءل البعض عن نتائج الفضيلة... يقول البعض: إن لكل فضيلة علة (سبب)، بينما يرفض البعض الآخر هذا التفسير... فمثلاً هدف الحكمة أو علتها هو **التمييز** بين الخير والشر... وبالتمييز نستطيع أن نختار وأن نرفض، وبالعدل ندرك ما يجب أن نعطيه وما لا يجب أن نعطيه... بالشجاعة ندرك ما يجب أن نخشاه وما لا يجب أن نخشاه... أما فضيلتي الجمال والقوة فليس لهما سبب... بل تأتي قيمتهما من فضائل أخرى لها علة... فالحكماء يدركون ماهية الجمال من خلال التوافق والتناسق الموجود في داخل نفوسهم... ويدركون القوة من خلال التنفيذ العملي للفضيلة النظرية[Ñ].

القديس باسيليوس الكبير

❖ يا بُنيَّ، لا تتكلم بغضب ، بل ليكن كلامك بحكمةٍ ومعرفةٍ، وكذلك سكوتك أيضًا ، لأن آباءنا الحكماء كان كلامهم مملوءًا من الحكمة والتمييز، وكذلك سكوتهم.

القديس أنبا أنطونيوس الكبير

---

[1] *Homilies on Hebrews, homily 8:7.*

من تعاليم الشيخ الروحاني للمبتدئين.

[Ñ] عظات عن المزامير.

لِنَمْتَحِنْ لأَنْفُسِنَا الْحَقّ،

وَنَعْرِفْ بَيْنَ أَنْفُسِنَا مَا هُوَ طَيِّبٌ [4].

لنمتحن الأمور بأنفسنا، فلا نهتم بمديح الآخرين؛ إنما ما يشغلنا هو أن نبلغ إلى الحق، ونتعرف على الحقائق، ونسعى لكي نجد ما هو صالح.

يليق بالمؤمن أن يسعى لكي يكتشف ما هو حق وما هو عادل وما هو للبنين وسط الآراء والمفاهيم المتضاربة، ممتحنًا كل شيء في جديةٍ وإخلاصٍ، دون تحيز لآرائه أو آراء محبيه.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أنه يليق بنا أن نمتحن أنفسنا ، فننصت إلى صوت السيد المسيح الذي فينا، كما لصوته في الكنيسة المقدسة خلال معلمينا الكنسيين.

❖ انظروا إلى داخلكم، فتجدون المسيح فيكم. ولكن إن كان المسيح فيكم، كم بالأكثر يكون في معلمكم[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن كنا لا نعرف كيف يمتحن الواحد الآخر، فإننا لا نعرف إن كان المسيح فينا أم لا. الفشل في ممارسة الامتحان هو عدم معرفة الإيمان الموروث في إعلان إيماننا. **من له حاسة الإيمان** في قلبه يعرف أن يسوع المسيح فيه .

الأب أمبروسياستر

❖ كما في إسرائيل القديم وُجد بعض أنبياء نطقوا بكلمة الله، وآخرون لم يفعلوا هكذا، فإنه ما أن ظهر الرسل ينطقون في المسيح ولهم الروح القدس الذي أرسله إليهم الرب، حتى أرسل الشيطان رسلاً كثيرين كذبة يزيفون تعليم الإنجيل. إنه لأمر حيوي أن يكون لكم عطية الروح القدس التي تُدعى **تمييز الأرواح** حتى يمكنكم **امتحان الأرواح**، وتروا ما يلزم أن تؤمنوا به وما يلزم أن تنبذوه[2].

القديس ديديموس الضرير

❖ يلزمنا أن نراعى بكل حرص هذا الأمر المثلث الجوانب، فلنختبر الأفكار التي تهاجمنا

---

[1] *Homilies on Cor, Homily 29:4.*
[2] *Commentary on Paul's Epistles (2 Cor.13: 5).*
[3] *Catena.*

ببصيرة وحكمة، لندرك ما هو مصدر الفكر وأسبابه منذ بدايته. وبهذا يمكننا أن نأخذ في اعتبارنا هل نخضع له وذلك حسب نوع م ن يقترحه، **فنكون كالصيارفة الحكماء** كما يعلمنا بذلك الرب. إذ هم بمهارتهم وخبرتهم يميزون الذهب النقي الخالص الذي تنقى بالنار كما ينبغي، وبمهارتهم لا ينخدعون بقِطع النحاس المغشاة بطبقةٍ خفيفةٍ من الذهب والتي تبدو ذات قيمة عظيمة... إنهم بذكائهم ومهارتهم يدركون تمامًا العملات المزيفة التي يصكها كبار المخادعين...

هكذا يلزمنا أولاً أن **نختبر بكل حرص كل فكر** يدخل إلى قلوبنا وكل تعليم نتلقنه، لنرى ما إذا كان قد تنقى بنار الروح القدس الإلهي السماوي، أو ينتمي إلى ضلال الهراطقة، أو هو ثمرة كبرياء الفلسفة البشرية التي ليس لها إلا سطحيات التديّن.

نستطيع أن نعمل هذا إن سلكنا بنصيحة الرسول القائل : "أيها الأحباءُ لا تصدّقوا كلَّ روحٍ، بل **امتحنوا الأرواح هل هي من الله ...**" (1 يو4:1). **ينخدع البعض بهذا النوع، فيغويهم حُسن التنسيق، والتعاليم الفلسفية التي تخدع لأول وهلة بما فيها من بعض المعاني الورعة التي تتفق مع الدين، وذلك كما يخدع بريق الذهب ناظريه. هؤلاء تجذبهم المظاهر، لكن سرعان ما يشعرون أنهم في الواقع قد خرجوا فارغي اليد، ويسقطون في اليأس، ويكونون كمن قد انخدعوا بالنقود النحاسية المغشوشة**[1].

الأب موسى

2. الرد على تبرير أيوب نفسه

لأَنَّ أَيُّوبَ قَالَ:

تَبَرَّرْتُ، وَاللهُ نَزَعَ حَقِّي [5].

جاءت هذه الكلمات في أيوب (13: 18؛ 27: 2) لكنه قالها ليبرئ نفسه، لأن أصدقاءه طعنوه في شخصه، فأراد تأكيد براءته من الاتهامات الباطلة، دون أن يقصد أنه يتبرر أمام الله، وأنه معصوم من الخطأ. لم يلمح قط أنه دومًا طاهر القلب، وأنه لم يخطئ قط ضد ناموس خالقه. حقًا قال إن الله نزع عنه حُكمه، لكنه لم يكن يعني قط أنه يود أن يقاضي الله متهمًا إياه بالظلم، وإنما ما عناه أن الله يتعامل معه بطريقة سرية غامضة، وليس كما اعتاد أن يلمسه في علاقته به من قبل، من جهة عنايته الإلهية الفائقة. ما كان غامضًا بالنسبة له ليس

[1] *Cassian: Conferences, 1:20..*

ما حلّ به من تجارب، إنما كيف سمح لأصدقائه أن يتعثروا فيه.

لقد اعترف أيوب بخطاياه، لكنه يحمل برّا نسبيًا إن قورن بإخوته في البشرية، لا إن قورن بالله. فقد قيل: "لأنه لا إنسان صديق في الأرض يعمل صلاحًا ولا يخطئ" (جا 7: 20).

❖ لا أعرف إنسانًا كاملاً في شيء... وهو بعد إنسان، إلا ذاك الذي وحده من أجلنا لبس ناسوتيتنا [1].

القديس إكليمنضس السكندري

❖ الله صالح، **كامل الصلاح وحده**، وإذ أنت صورته يليق بك أن تكون صالحًا. إنه سخي مع الجميع، فينبغي عليك أن تكون كريمًا، تتجنب الجشع، ولا تبخل على قريبك بأ ي شيء مادي زائل، فإن هذا أخطر كارثة وجهالة.

الأب يوحنا من كرونستادت

❖ أولاً عُد إلى نفسك مما هو خارج عنك، عندئذ قدم نفسك ثانية لذاك الذي خلقك. فهو مصدر كل سعادتنا وصلاحنا الكامل .

القديس أغسطينوس

عِنْدَ مُحَاكَمَتِي أُكَذَّبُ.

جُرْحِي عَدِيمُ الشِّفَاءِ مِنْ دُونِ ذَنْبٍ [6].

لعل أيوب يتساءل: هل يكذب ويتهم نفسه بالشر حسبما جاء في فكر أصدقائه، فيكون قد صار كاذبًا ضد إعلان براءته مما نسبوه إليه.

إنه يصرخ، فقد صار جرحه عديم الشفاء بدون إثم ارتكبه. لقد اتهموه بأنه أشر مجرمٍ، وتعاملوا معه بأبشع صورة، مع أن الله نفسه شهد بكماله، وأن الشيطان هيَّجه عليه بلا سبب (أي 1: 1؛ 2: 3).

يقصد بجرحه هنا النكبات التي حلت به، وقد بدت عديمة الشفاء، ليس من علاجٍ لها، ولا من إمكانيةٍ لإصلاح الموقف.

جاء التصوير هنا أن أيوب يشبه حيوانًا ضُرب بسهمٍ قاتلٍ دون ذنب ارتكبه. ما

---

[1] *Strom. 4:130.*

[2] *Robert Llewelyn, The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year, Springfield, Illinois, 1989, p. 54.*

يشتكي منه أيوب ليس أنه بلا خطية، ولكن ما حلّ به من نكبات، شوهت صورته تمامًا، خاصة في أذهان أصدقائه.

فَأَيُّ إِنْسَانٍ كَأَيُّوبَ، يَشْرَبُ الْهُزْءَ كَالْمَاءِ [7].

يرى البعض أن هذا المثل يناسب البيئة الصحراوية قديمًا، إذ يشبّه الإنسان بالجمل الذي يشرب كمية ضخمة من الماء تمكنه من عدم الشعور بالعطش لمدة طويلة أثناء رحلته في البرية الجافة. هكذا شرب أيوب كميات ضخمة من التجارب، يستمر أثرها أثناء كل رحلته هنا في برية هذا العالم[1].

أورد أليفاز عبارة مشابهة عند اتهامه لأيوب (أي 15: 16).

وَيَسِيرُ مُتَّحِدًا مَعَ فَاعِلِي الإِثْمِ،
وَذَاهِبًا مَعَ أَهْلِ الشَّرِّ؟ [8]

حسب أليهو أيوب أنه مرافق للأشرار، لأنه حمل أفكارًا مثلهم في عتابه مع الله (أي 9: 22-23؛ 30؛ 21: 7-15)، على الأقل بقوله إن الذين يفعلون الشر لا يُعاقبون. يبدو كأنه أنكر عدل الله بسبب عدم معرفته لما وراء الضيقات التي حلت به، بينما لم تحل بالأشرار، فحسبه أليهو كمن صادق بأفكاره الأشرار.

لأَنَّهُ قَالَ: لاَ يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ بِكَوْنِهِ مَرْضِيًّا عِنْدَ اللهِ [9].

إذ تبنى أيوب هذا الفكر وسط مرارة نفسه، فقال بأنه لا منفعة من خدمة الله، وأن سلوك الإنسان بالبرّ لا ينفعه شيئًا، لأن الله لا يدافع عن الأبرار ضد مقاوميه، بهذا حسب أليهو أن أيوب في صداقة مع الأشرار.

لأَجْلِ ذَلِكَ اسْمَعُوا لِي يَا ذَوِي الأَلْبَابِ.
حَاشَا للهِ مِنَ الشَّرِّ،
وَلِلْقَدِيرِ مِنَ الظُّلْمِ [10].

يدعو أليهو الحاضرين للاستماع إلى إجابته على ما ظنه مفاهيم خاطئة لدى أيوب، مظهرًا أن أيوب استخدم تعبيرات غير لائقة في عتابه مع الله بخصوص أحكامه.

"**يا ذوي الألباب (الفهم)**"؛ الكلمة العبرية تعني "القلوب"، إذ كان اليهود يحسبون القلب

---

[1] *Cf. Adam Clarke's Commentary.*

هو مركز كل العمليات العقلية وعرشها. لا يتحدثون عن العقل أو الرأس كعرشٍ للعمليات العقلية. هكذا يحسب أليهو الحاضرين حكماء، وأنهم قادرون على إدراك الفكر الذي يعرضه بخصوص برّ الله وعدله في أحكامه.

يود أن يؤكد أليهو أنه حاشا لله أن يخطئ أو يصنع شرًا.

يقول أليهو: يلزمنا ألاَّ نضع تصرفات الله في موازين بشرية، فنتهمه أحيانًا بالظلم. إنما يليق بنا أن نثق بأن كل طرق الله حق هي وعادلة، لأنها طرقه وهو قدوس، وليس لأننا نراها هكذا.

"فماذا نقول: ألعل عند الله ظلمًا؟ حاشا" (رو 9: 14).

"حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر! أن تميت البار مع الأثيم، فيكون البار كالأثيم. حاشا لك! أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً؟" (تك 18: 25)

"هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل، إله أمانة، لا جور فيه، صديق وعادل هو" (تث 32: 4).

"عادل أنت أيها الرب، وجميع أحكامك مستقيمة وطرقك كلها رحمة وحق وحكم" (طوبيا 3: 2).

"الله قاض عادل، وإله يسخط في كل يومٍ" (مز 7: 11).

"لأن الرب عادل ويحب العدل، المستقيم يبصر وجهه" (مز 11: 7).

"خوف الرب نقي، ثابت إلى الأبد، أحكام الرب حق عادلة كلها" (مز 19: 9).

"عادلة شهاداتك إلى الدهر، فهمني فأحيا" (مز 119: 144).

"وإذ أنت عادل تدبر الجميع بالعدل، وتحسب القضاء على من لا يستوجب العقاب منافيًا لقدرتك" (الحكمة 12: 15).

"فسهر الرب على الشر وجلبه الرب علينا، لأن الرب عادل في جميع أعماله التي أوصانا بها" (با 2: 9).

"لأنك عادل في جميع ما صنعت، وأعمالك كلها صدق، وطرقك استقامة، وجميع أحكامك حق" (دا 3: 27).

"الرب عادل في وسطها لا يفعل ظلمًا. غداةً غداةً يبرز حكمه إلى النور لا يتعذر، أما الظالم فلا يعرف الخزي" (صف 3: 5).

"وهذا ما صلى به نحميا: أيها الرب، الرب الإله خالق الكل المرهوب، القوي العادل

الرحيم، يا من هو وحده الملك والبار" (2مكابين 1: 24).

"يا من هو وحده المتفضل العادل القدير الأزلي، مخلص إسرائيل من كل شرٍ، الذي اصطفى آباءنا وقدسهم" (2مكابين 1: 25).

"وسمعت ملاك المياه يقول: عادل أنت أيها الكائن والذي كان والذي يكون، لأنك حكمت هكذا" (رؤ 16: 5).

"وسمعت آخر من المذبح قائلاً: نعم أيها الرب الإله القادر على كل شيء، حق وعادلة هي أحكامك" (رؤ 16: 7).

"لان أحكامه حق وعادلة، إذ قد دان الزانية العظيمة التي أفسدت الأرض بزناها، وانتقم لدم عبيده من يدها" (رؤ 19: 2).

❖ إن كان ذاك الذي تدعوه الآب هو ديانا، وإن كان لا يحابي الوجوه، فلنسرع إذن ونبذ ل كل الجهد خلال رحلتنا هنا على الأرض بكل مخافةٍ وسلوكٍ مقدسٍ... بهذا نعرف **أن هذا الآب بعينه هو الذي يهبنا الوعود، وهو الذي يحفظنا دون أية عقوبة**[1].

القديس ديديموس الضرير

❖ الله قاضٍ عادل وقوي وطويل الأناة. هل لا تفهمون لماذا لا يعاقب مع أنه قادر ومستعد؟ يقول: تعلموا أنه طويل الأناة، ولا يعطي منفذًا لغضبه كل يوم. ها أنتم ترون أنه لكي لا يظن غبي ما أن الله لا يأخذ موقفًا عن ضعف، لذا يظهر أن سبب تأجيله هو طول أناته المتسع جدًا. أعني أنه طويل الأناة بهدف اقتيادكم إلى التوبة، فإن لم تنتفعوا من هذا العلاج فسيأخذ موقفًا أيضًا. تأكدوا أننا مستحقين العقوبة كل يومٍ... هل يعبر يوم دون أن نصلي بعدم مبالاة وتشتيت فكر خطير؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الذين يتركون الله، ويحتقرون وصاياه، ويجلبون الخزي لخالقهم بسبب أفعالهم، وبأفكارهم التي تجدف على من يعولهم، يجمعون قضاءً عادلاً ضدهم[2].

القديس إيريناؤس

---

[1] *Commentary on 1 Peter 1:17.*
[2] *On Ps.7.*
[3] *Adv. Haer.4.33:15.*

لأَنَّهُ يُجَازِي الإِنْسَانَ عَلَى فِعْلِهِ،
وَيُنِيلُ الرَّجُلَ كَطَرِيقِهِ [11].

يعمل الله دائمًا بعدلٍ، فهو لن ينسى الأبرار، ولا يسمح للأشرار أن يزدهروا في النهاية. إنه سيتعامل مع كل إنسانٍ حسب استحقاقه.

لم يكن يعني بهذا أنه يحكم على أيوب بأنه شرير بسبب ما حلّ به، وذلك كما اتهمه أصدقاؤه الثلاثة، وإنما يظن أنه يصحح مفهومًا غامضًا أو خاطئًا لأيوب عبّر عنه في مرارة نفسه.

لننتظر، فإن الله سيكافئ الأبرار وأيضًا يجازي الأشرار إن أصروا على شرورهم، وذلك في الوقت المناسب. لقد قال الرب عن الملك الشرير يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا: "لا يندبونه قائلين: آه يا أخي أو آه يا أخت. لا يندبونه قائلين: آه يا سيد أو آه يا جلاله. يدفن دفن حمار، مسحوبًا ومطروحًا بعيدًا عن أبواب أورشليم (إر 32: 18–19). كما قيل: "لكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضبًا في يوم الغضب، واستعلان دينونة الله العادلة. **الذي سيجازي كل واحدٍ حسب أعماله** (رو 2: 5–6). "وإن كنتم تدعون أبًا الذي **يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحدٍ** ، فسيروا زمان غربتكم بخوف" (1 بط 1: 17). "وها أنا آتي سريعًا وأجرتي معي لأجازي كل واحدٍ كما يكون عمله" (رؤ 22: 12).

❖ لماذا لا يعاقب الله كل البشر بالرحمة بطريقة بها لا يسمح لأحد أن يتقسى ضده؟ (هذا التساؤل يصدر) بسبب الشر الذي تأهل إليه من صاروا قساة، أو بسبب أحكام الله الغامضة التي كثيرًا ما تكون خفية لكنها لن تكون ظالمة[1].

الأب قيصريوس أسقف آرل

فَحَقًّا إِنَّ اللهَ لاَ يَفْعَلُ سُوءًا،
وَالْقَدِيرَ لاَ يُعَوِّجُ الْقَضَاءَ [12].

يكرر أليهو هذا المبدأ مؤكدًا أن الله لا يفعل شرًا، ومسهبًا في الحديث عنه. تحت كل الظروف لا يمكن خرق هذا المبدأ ولا إلى لحظةٍ واحدةٍ. لقد عاب على أيوب أنه وإن كان يعتنق نفس المبدأ، لكنه تحت ضغط الآلام الشديدة، ظن أن الله يمكن أن يخطئ في حكمه، فيحل الظلم عوض العدالة (أي 34: 5؛ 8: 3).

---

[1] *Sermons, 101:5.*

قال الرب للشيطان: "قد هيجتني عليه لابتلعه بلا سبب" (أي 2: 3). وكما يقول **البابا غريغوريوس (الكبير)** قد يسمح الله بالأحزان بلا سبب (يستحقه الإنسان)، ولكن لن يدينه بلا سبب.

يسمح الله لصديقيه بالأحزان لأجل تنقيتهم أو تزكيتهم، لكنه لا يسمح لهم بالأحزان في يوم الدينونة.

❖ تحصل علي عالم النور عوض ألمٍ مريرٍ تتحمله لأجله ليومٍ واحدٍ.

إن صبرت علي الجوع قليلاً من أجل حبه، عندئذٍ تلتهب رغبتك لرؤية وجهه.

إن ظهرت الظلمة علي وجهك من الأعمال لأجله، يجمّلك بمجده إلي الأبد بلا نهاية.

إن تعريت مما هو لك، يُلبسك نوره، ويخفي عنك ما هو لك.

إن تركت ما تملكه، تقتنيه في نفسك أبديًا [1].

الشيخ الروحاني (يوحنا الدّلياتي)

❖ الشرور التي تحل عليكم ستعبر، وذاك الذي تنتظرونه بصبرٍ سيأتي.

إنه سيمسح عَرَقْ التعب. إنه سيجفف كل دمعة، ولا يكون بكاء بعد.

هنا أسفل يلزمنا أن نئن وسط التجارب، إذ يتساءل أيوب: "**ما هي حياة الإنسان على الأرض سوى محنة؟**" (أي 7: 1) .

القدِّيس أغسطينوس

3. قدرة الله وأحكامه

مَنْ وَكَّلَهُ بِالأَرْضِ،

وَمَنْ صَنَعَ الْمَسْكُونَةَ كُلَّهَا؟ [13]

هو خالق السماوات والأرض ومدبر المسكونة كلها؛ لم يتسلم سلطانه من آخر، ولا يخضع لأحدٍ؛ السماء والأرض هما موضع رعايته ومسرته.

لو أن الأرض ليست من صنع يديه، إنما عُهدت إليه من آخر أعظم منه لكان يُمكن أن يفعل سوءً، ويحكم بالظلم، كمن لا يصيبه ضررٌ، لكن إذ هي ملكه، وهو خالقها والمعتني بها، يدبر كل ما يدور على الأرض بعدله الإلهي ورعايته الفائقة للعقل البشري. "هوذا الله

---

[1] رسالة 15:19.

[2] *On Ps. 29, Discourse, 2: 8.*

يتعالى بقدرته، من مثله معلمًا؟ من فرض عليه طريقه؟ أو من يقول له: قد فعلت شرًا؟" (أي 36: 22–23).

❖ لاحظوا كيف أن أليهو يبرهن على عدالة الله: " **صنع الأرض**" والسماء وكل المخلوقات الأخرى. هل أعماله غريبة عنه حتى يكون ظالمًا لنا؟... إنه عادل، ليس فقط لأن هذه هي أعماله، وإنما لأنه هو سيدها. في الواقع هذا يحدث حتى مع الأشرار، فإنهم لا يقبلون أذية (من آخر) تحل بالخاضعين لهم. عادة يهتم كل شخص بمن هم له وما هو له. أما بالنسبة لذاك الذي هو الخالق والسيد، كيف لا يمارس عدلاً في كل تدبيره، إن كان قد سكب عليه بهاءً كهذا؟ لا يمكنكم القول إنه لا يمارس ظلمًا عن ضعفٍ، فإنه يستطيع بسهولة أن يدمر كل البشر.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إنه بالحق يدير العالم بنفسه، هذا الذي خلقه بنفسه. لا يحتاج إلى معونة من الغير في إدارته، هذا الذي لم يحتج إلى معونة في خلقته... إن كان الله القدير لم يستنكف من إدارة العالم الذي خلقه بنفسه، بالأكثر يدير حسنًا ما قد خلقه حسنًا. إنه لا يكون قاسيًا على ما أوجده برحمته. والذي اهتم بهم قبل خلقتهم لا يتركهم بعد خلقتهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

إِنْ جَعَلَ عَلَيْهِ قَلْبَهُ،
إِنْ جَمَعَ إِلَى نَفْسِهِ رُوحَهُ وَنَسَمَتَهُ [14].

يرى البعض أن هذه العبارة والتي تليها تعنيان أنه إن وضع الله قلبه على إنسانٍ، فإنه يضم روحه إليه، لأنه كائن عزيز لديه جدًا. يسمح للجسد أن يعود إلى التراب، لكنه يعتز بالنسمة التي وهبه إياها، ويضمها إليه. إن ما يشفع لنا جميعًا هو حب الله الذي خلقنا ووهبنا نسمة من فيّه. وكما يقول الحكيم: "فيرجع التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها" (جا 12: 7).

الله في حبه للإنسان يضع قلبه إليه، ويركز خطته الإلهية على خلاصه. حقًا في سلطان الله أن يهلك كل جنس البشر، لأن "الجميع زاغوا وفسدوا معًا، ليس من يعمل صلاحًا ولا واحد" (رو 3: 12). لم يعد من حق الإنسان أن يحيا، وليس له وجه أن يطلب شيئًا صالحًا من الله لأنه عصاه. فمهما حلّ بالإنسان حتى الموت، لا يقدر أن يشتكي ويتهم الله بالظلم،

لأنه من يتبرر قدامه. وكما يقول المرتل: "لا تدخل في المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يتبرر قدامك حيّ" (مز 143: 2). مع هذا فقد سمح الله في محبته أن يموت الجسد ويرجع إلى التراب ويضم بحبه روح الإنسان، واهبًا إياها القيامة الأولى معه، حتى في القيامة الثانية يقوم الجسد أيضًا مع الروح، ويرجع الإنسان إلى الأحضان الإلهية.

بهذا يرد أليهو على أيوب فيقول له: لماذا تطلب المحاكمة أمام الله، فإنه إن فحص الله حياة إنسانٍ ما يجده مجرمًا ويستحق القطع من الحياة تمامًا. وكأن أليهو يقول لأيوب: أنا أعلم أنك إن قورنت بالبشر تُحسب بارًا وكاملاً، لكنك كيف تتجاسر وتطلب أن تُحاكم أمام الله، فإنك كسائر البشر مستحق الموت.

❖ "**إن وَّجه قلبه إليه، فسيجمع لنفسه روحه ونسمته** " [14]. عندما يطلب القلب الأمور السفلية يصير ملتويًا. ويصير مستقيمًا عندما يرتفع إلى العلويات. فإنه وَّجه إنسان قلبه إلى الرب، يجتذب الرب روحه ونسمته إليه. يستخدم هنا تعبير "الروح" عن الأفكار الداخلية، والنسمة الخارجة من الجسد عن الأعمال الخارجية. بهذا فإن الله يجتذب الروح، ونسمته إليه، لكي يغير ما بالداخل وما بالخارج، فيجعلنا نتجه نحوه في اشتياقاتنا... يكون للإنسان بكليته رغبات داخلية ملتهبة نحو ذاك الذي أوجده.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يُسَلِّمُ الرُّوحَ كُلُّ بَشَرٍ جَمِيعًا،
وَيَعُودُ الإِنْسَانُ إِلَى التُّرَابِ [15].

إن أراد الله، فمن حقه أن يزيل كل البشرية؛ فلماذا يشكو الناس من فقدان الصحة أو الخيرات الزمنية أو الأقرباء، ويظنون أن الله غير عادل؟[1]

❖ "**كل جسد يسقط جميعًا، ويعود الإنسان إلى التراب** " [15]. لأن كل جسد يسقط تمامًا عندما لا يعود بعد يكون عبدًا لعواطفه... فكلما بدأ الإنسان أن يحيا للعلويات، يموت عن السفليات... جسد بولس هلك تمامًا عندما قال: "أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ" (غل 2: 20).

بحق أضاف أليهو في هذا الموضوع: "**يعود الإنسان إلى التراب**". لأن كل من ينشغل بالخطية ينسى حاله المائت، وبينما ينتفخ بالكبرياء، لا يذكر أنه تراب. ولكن بعدما تلمسه

---

[1] *Cf. Barnes' Notes on Job 34: 15.*

نعمة الاهتداء بروح التواضع عندئذ يستدعي في ذهنه أنه تراب.

عاد داود إلى التراب عندما قال: "أذكر يا رب أننا تراب" (مز 103: 14). وعاد إبراهيم إلى التراب، قائلاً: "قد شرعت أكلم ربي وأنا تراب ورماد" (تك 18: 27). مع أن الموت لم يكن بعد قد حلل الجسد الحي إلى تراب، لكن في رأيهما أنهما كانا هكذا حسبما سبقا فنظراه دون تشكك فيما سيحدث.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَإِنْ كَانَ لَكَ فَهْم،

فَاسْمَعْ هَذَا وَأَصْغِ إِلَى صَوْتِ كَلِمَاتِي [16].

في بدء الأصحاح وجه أليهو حديثه إلى رجال الحكمة والفهم، الآن يوجه حديثه بالأكثر إلى أيوب، إن كان لديه فهم. فقد أراد أن يوبخه على ما صدر منه من عبارات غير لائقة بالنسبة لله وأحكامه.

أَلَعَلَّ مَنْ يُبْغِضُ الْحَقَّ يَتَسَلَّطُ،

أَمِ الْبَارَّ الْكَبِيرَ تَسْتَذْنِبُ؟ [17]

يعجب أليهو من موقف الإنسان نحو الله، فيجسر ذاك الذي يخضع للقانون أنه يُدين الله الكلي العدل والبرّ وواضع الناموس للبشر.

يا للعجب! الذي يحتاج إلى قانون يحكمه، يضع نفسه في مركز القاضي ليدين واضع القانون. أو ذاك الذي يبغض القانون ويحاول التخلص منه يود أن يحكم على مؤسس القانون.

❖ إنه يبغض الشر ويحب البشرية. إنه ليس مثلنا نحن الذين نترك الشر ليس من أجل كراهيتنا للرذيلة، وإنما خوفًا من العقاب القادم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

أَيُقَالُ لِلْمَلِكِ: يَا لَئِيمُ،

وَلِلشُّرَفَاءِ: يَا أَشْرَارُ؟! [18]

إن كان الله قد أقام الرئاسات، إنما لكي يُكرموا في الرب ومن أجل الرب، وليس لكي يحتلوا مركز الرب (سي 32: 1). فإن الحاكم أو صاحب السلطان الذي يتكبر قلبه يسقط في الارتداد كما حدث مع الشيطان. كان الرسول بولس كقائدٍ يخشى لئلا يسقط في الكبرياء، يقول: "ولا طلبنا مجدًا من الناس، لا منكم ولا من غيركم، مع أننا قادرون أن نكون في وقارٍ كرسل

المسيح، بل كنا مترفقين في وسطكم كما تربي المرضعة أولادها" (1تس 2: 6-7). مجد القائد أن يحمل روح الرب الذي يحتضن كل الخاضعين له بالحب، ويتعامل معهم كأبناءٍ له.

إن كان الإنسان لا يجسر أن يتهم الملك الزمني باللؤم والشر، فكيف ينسب لملك الملوك ورب الأرباب ظلمًا وشرًا.

يليق بالإنسان أن يعطي الكرامة لمن له الكرامة، فيصعب على الإنسان أن يحكم على رؤسائه، لأنه لا يدرك ما وراء تصرفاتهم من علل خفية وأسباب سرية، فكيف يدين خطة الله غير المحدودة وخططه الفائقة للعقل.

❖ الآن بالنسبة للعبارات الواردة في الإنجيل التي تبدو أنها تحمل شيئًا من التناقض، من الأفضل لكل أحدٍ أن يوبخ نفسه بأنه لم يبلغ بعد فهم غنى الحكمة (رو 11: 33)، وأن يتذكر بالحقيقة أنه يصعب أن ندرك أحكام الله الغامضة، عن أن نتهمها بوقاحةٍ وتهورٍ، فنسمع الكلمات: "**عاق هو ذاك الذي يقول: أنت تعصى الناموس**" (أي 34: 18 *LXX*)[1].

القديس باسيليوس الكبير

الَّذِي لاَ يُحَابِي بِوُجُوهِ الرُّؤَسَاءِ،
وَلاَ يُعتَبِرُ غَنِيًّا دُونَ فَقِيرٍ (مسكين).
لأَنَّهُمْ جَمِيعَهُمْ عَمَلُ يَدَيْهِ [19].

إن كان لا يليق بنا أن ندين الملوك والرؤساء، الذين كبشرٍ، كثيرًا ما يحابون الوجوه، فكيف ندين الله الذي يتعامل مع الأغنياء والفقراء على نفس المستوى، دون محاباة للوجوه (راجع غل 2: 6؛ أع 10: 34؛ 2 أي 19: 7؛ أم 22: 2؛ رو 2: 11؛ أف 6: 9؛ كو 3: 25). لأن الكل خليقته، والكل يحتاج إلى عنايته الإلهية ومراحمه حتى يتمتعوا بالخلاص. فإن إمكانيات الإنسان أو مركزه لا دخل لها في معاملات الله معه.

❖ يفهم بالرئيس أ و الطاغية هنا كل شخصٍ متعجرف، بينما يشير إلى المتواضعين بالمساكين (فقراء). لهذا فإن الله لا يحابي الطاغية عندما يقاوم المسكين، إذ يعلن أنه لا يعرف في الدينونة المتكبرين الذين يضايقون حياة المساكين، كما هو مكتوب: "لا أعرفكم، من أين أنتم" (لو 13: 25). لو أراد، يستطيع أن يهلكه بقوته، إذ خلقه بقوته عندما أراد. لذلك لاق أن يضيف: "**لأنهم جميعهم عمل يديه**".

---

[1] *Concerning Baptism, Book 2, Q. 4...*

البابا غريغوريوس (الكبير)

بَغْتَةً يَمُوتُون،
وَفِي نِصْفِ اللَّيْلِ يَرْتَجُّ الشَّعْبُ وَيَزُولُونَ،
وَيُنْزَعُ الأَعِزَّاء (أصحاب القدرة) لاَ بِيَدٍ [20].

يتحدث هنا عن ثلاثة فئات ليبرز أليهو عدم محاباة الله.

الفئة الأولى: الملوك والأغنياء الذين يعتمدون على السلطان والمال، فيحسبون أكثر أمانًا من غيرهم. هؤلاء ليس فقط لا يحابيهم الله، وإنما يسمح أحيانًا أن يأخذ نفوسهم فجأة الأمر الذي لا يتعرض له الشعب بذات الصورة.

الفئة الثانية: الشعب الأشرار، فإذ يعتمدون على كثرة عددهم، وحصانة الأسوار، إذا بهم يعانون من المتاعب ويُسحبون من بلادهم، إذ يُسبون في نصف الليل. في نصف الليل ضرب الله أبكار المصريين وهم في طمأنينة يسخّرون بشعب الله.

الفئة الثالثة: أصحاب القدرة كرجال الحرب المعتزين بإمكانياتهم العسكرية ، فإنهم أحيانًا يُنزعون أو يسقطون أسرى من حيث لا يدرون، كما بدون يدٍ. ينهزمون ليس بالذراع البشري، كما ليس به ينجو الأقوياء الأبرار. وكما قيل: "هذه كلمة الرب إلى زربابل، قائلاً: لا بالقدرة، ولا بالقوة، بل بروحي، قال رب الجنود" (زك 4: 6). كما قيل: "لن يخلص الملك بكثرة الجيش، الجبار لا ينقذ بعظم القوة. باطل هو الفرس لأجل الخلاص، وبشدة قوته لا ينجي" (مز 33: 16-17).

❖ ليكن الله هو رجاءكم، قدرتكم على الاحتمال، قوتكم. ليكن كفارتكم، تسبيحكم، غايتكم وموضع راحتكم، وعونكم في جهادكم...

الجبار هو الإنسان المتغطرس الذي يرفع نفسه (متشامخًا) على الله، كما لو كان شيئًا في ذاته وما يخصه. مثل هذا الإنسان لا ينجو بقوته الذاتية. الآن، لديه فرس رشيق وقوي، سليم وسريع الخطى، إذا ما حدث هجوم أما يستطيع أن ينجي راكبه من الخطر الملحق به؟ ليسمع: "خلاص الفرس كاذب"... يلزم ألا يعدك الفرس بالنجاة...

يمكننا أن نأخذ الفرس رمزًا لأية ممتلكات في هذا العالم، أو لأي نوع من الكرامة تتكل عليها في كبرياء، حاسبين خطأً أنكم كلما ارتفعتم يزداد أمانكم وعلوكم. ألا تدركون بأي عنف سوف تُلقَون، كلما ارتقيتم إلى أعلى يكون سقوطكم بأكثر ثقلٍ... فكيف إذن يتحقق

الأمان؟ إنه لا يتحقق بالقوة ولا بالسلطة ولا بالكرامة ولا بالمجد ولا بالفرس.

القديس أغسطينوس

لأَنَّ عَيْنَيْهِ عَلَى طُرُقِ الإِنْسَانِ،
وَهُوَ يَرَى كُلَّ خَطَوَاتِهِ [21].

لا يحتاج الله إلى من يقدم له تقريرًا عن شخصٍ ما كما ظن أيوب حين قال: "أبحر أنا أم تنين، حتى جعلت عليّ حارسًا" (أي 7: 12). إنما يقول عنه إرميا النبي: "الذي عيناك مفتوحتان على كل طرق بني آدم" (إر 32: 19)، وأيضًا قيل عنه: "لأن عيني الرب تجولان في كل الأرض" (2 أي 16: 9).

كل الأمور مكشوفة أمامه، إذ هو حاضر في كل مكان، يعتني بالكل، يمارس البرّ والعدل الإلهي. لا يهرب أحد منه (مز 139: 2-3).

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن أليهو يؤكد عدل الله دون أن يهدف نحو أذية أيوب باتهامات باطلة كما فعل الأصدقاء الثلاثة الآخرون، إذ لم يقل عنه إنه حطم الأرامل واليتامى (22: 9). يعرف أليهو كيف يلوم أيوب، دون تقديم اتهامات ضده.

"من السماوات نظر الرب، رأى جميع بني البشر. من مكان سكناه تطلع إلى جميع سكان الأرض. المصور قلوبهم جميعًا المنتبه إلى كل أعمالهم" (مز 33: 13-15).

"إذا اختبأ إنسان في أماكن مستترة أفما أراه أنا يقول الرب، أما املأ أنا السماوات والأرض يقول الرب" (إر 23: 24).

- **يُحسب الله كمن لا يعرف أعمال الأشرار** ، لأنه يؤجل دينونتهم بعدلٍ، فيظهر عظم طول أناته من نحوهم كما بنوعٍ من تجاهله لهم. والشرير أيضًا في كل مرة يخطئ فيها دون أن يُعاقب يظن أن الله لا يراه، نتيجة عدم معاقبته في الحال حسبما يستحق. يحسب أن سلوكه ليس مكروهًا لدى الله... لكن هناك ستسقط عليه العقوبات فجأة، بضربةٍ أبدية. عندئذ سيعرف أن الله يراقب كل شيءٍ، إذ يجد نفسه معاقبًا بموتٍ غير متوقعٍ كعقابٍ أخروي عن كل إثمه...

- يدعو " **كل خطوات الناس** " إما الأعمال المنفصلة التي ننشغل بها، أو الدوافع المتتالية لأفكارنا العميقة، إذ هي أشبه بخطوات بها ننفصل عن الرب، أو نقترب إليه بالقداسة. فإن العقل يقترب كما بخطوات (درجات) كثيرة من الله متى تقدم في عواطف كثيرة مقدسة. مرة

أخرى تنفصل عنه خلال أفكار شريرة كثيرة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لاَ ظَلاَمَ وَلاَ ظِلَّ مَوْتٍ،
حَيْثُ تَخْتَفِي عُمَّالُ الإِثْمِ [22].

عادة يود المجرم أن يختفي عن الأنظار. يقول أليهو إنه لا يوجد هنا كهف مظلم يختفي فيه الأشرار من عيني الله، وليس في العالم الآخر ظلمة عميقة يهربون إليها من وجهه. يمكن للإنسان أن يختفي من وجهه الإنسان أخيه حتى لا ينفضح أمره، أما بالنسبة لله، فكل شيءٍ مكشوف سواء في هذا العالم أو في يوم الرب العظيم. توجد عين خفية ترى الأشرار، ويد قوية تسحبهم للجزاء.

"**ظل الموت**" يشير إلى الظلمة الكثيفة (عا 9: 2-3؛ مز 139: 12).

❖ ماذا يعني بالظلام إلا الجهل، ويظل الموت إلا النسيان. فيُقال عن جهل أشخاص معينين: "إذ هم مظلمو الفكر" (أف 4: 18). مرة أخرى عن النسيان الذي يحل بنا عند الموت قيل: "في ذلك اليوم تهلك كل أفكاره" (مز 146: 4). فكل ما يفكر فيه أثناء حياته يُسلم إلى النسيان بالموت، النسيان هو نوع من ظل الموت، فكما أن حلول الموت يضع نهاية لأعمال الحياة، هكذا حلول النسيان يحطم ما في الذاكرة...

لا يختفي أحد من دينونة (الله)، لهذا يستحيل بالنسبة له ألا يرى ما نحن نفعله، أو ينسى ما يراه... إنها سمة الطبيعة الإلهية وحدها ألا تعاني من ظلال الجهل أو التغيير... إذ لا يتغير النور الأبدي في إشراقه الذي هو الله نفسه، يرى بنظرةٍ ثاقبةٍ، ولا يجهل ما هو مخفي، إذ يخترق كل الأشياء، ولا ينسى ما يخترقه إذ هو غير متغير...

عندما نظن أننا لا نُرى، نحفظ أعيننا مغلقة أمام نور الشمس، بمعنى نحجبه عنا، ولا نحجب أنفسنا عنه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لأَنَّهُ لاَ يُلاَحِظُ الإِنْسَانَ زَمَانًا،
لِلدُّخُولِ فِي الْمُحَاكَمَةِ مَعَ اللهِ [23].

يرى البعض أن المعنى هنا: الله لا يدعو الإنسان مرة أخرى للمحاكمة، لا ينظر في قضية مرتين، فإن أحكامه عادلة لا تحتاج إلى استئناف؛ يصدر الحكم وليس من يستأنف

للمرافعة من جديد.

ويترجمها البعض: "هوذا، لا يودع إنسان لمجيئه للمحاكمة مع الله". زمن الإنسان ليس في يده، ولا نصيبه يتحقق بحكمته وقوته. عندما يرى الله أن الوقت مناسب يُحاكم الإنسان.

يُحَطِّمُ الأَعِزَّاءَ مِنْ دُونِ فَحْصٍ،
وَيُقِيمُ آخَرِينَ مَكَانَهُمْ [24].

إنه يسحق من يظنون أنهم عظماء ويحطمهم، فهو لا يبالي بثرواتهم الضخمة، ومكانتهم في المجتمع، وكثرة عددهم.

"**من دون فحص**"، أي لا يحتاج الله إلى إجراءات طويلة لفحص الأمور والتأكد منها. إنه يقضي للحال، وبطريقة مباشرة، وينزع الأشرار، ويقيم من يحتل أماكنهم.

في حالات كثيرة يضغط الله على المتكبرين المعتدين بأنفسهم، ويرفع المتواضعين والودعاء.

- "**سيحطم الكثيرين بلا عدد، ويقيم آخرين مكانهم**" [24]. هذا حدث يومي، لكن لأن نهاية الفريقين (الأبرار والأشرار) لم تُنظر بعد، لذلك فإن الرهبة أقل. فإن الأ شرار لن يعرفوا أخطاءهم إلا عندما يسقطون تحت العقوبة... بفحص قلوب البشر فرادى أو وضعها تحت العدالة والرحمة، يطرد البعض إلى الخارج، ويقود آخرين إلى الداخل. هؤلاء الآخرون يوحى إليهم بطلب المباهج الداخلية، ويترك الأولين يرثون الملذات الخارجية.

يرفع عقول البعض نحو السماويات ويهوي بكبرياء الآخرين إلى أسافل الملذات...

إنه يطرد الواحد بحزمٍ، ويجذب الآخر برحمته...

حسنًا قيل بالنبي: "يضع الأشرار إلى الأرض" (مز 147: 6). فإنهم إذ يفقدون السماويات، كل ما يعطشون إليه هو أرضي، وكل ما يسعون إليه ويبدو لهم أعظم، إذ بهم يطلبون ما هو أقل في القيمة.

حسنًا قيل عنهم بإرميا: "الحائدون عنك في التراب يُكتبون" (راجع إر 17: 13). بينما من الجانب الآخر قيل عن المختارين: "افرحوا بالحري أن أسماءكم كُتبت في السماوات" (لو 1: 2)

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَكِنَّهُ يَعْرِفُ أَعْمَالَهُمْ،

وَيُقَلِّبُهُمْ لَيْلاً، فَيَنْسَحِقُونَ [25].

يعرف الله أعمالهم، وما يخططونه دون حاجة إلى فحصٍ؛ فيهبهم الكثير من الفرص لعلهم يرجعون على الشر، وفي ليلةٍ واحدةٍ يحطمهم. من الأمثلة الواضحة في العهد القديم ما حدث مع كل شعبه حيث مات كل الأبكار في ليلة واحدة، وأيضًا بلشاصر ملك بابل (دا 5: 30).

"**يقلبهم ليلاً**": الترجمة الحرفية "**يقلب الليل**". أي يقلبه عليهم، فتحل كارثة خطيرة بهم لا يتوقعونها. كثيرًا ما تُشير كلمة "**ليل**" إلى كارثة غير متوقعة، ويصعب مواجهتها.

- يُفهم على وجه الخصوص أن كل شرير يُسحق بالليل بطريقين: إما عندما يُضرب بعذاب العقوبة من الخارج، أو عندما يُصاب بحُكم عندما يفقد إلى الأبد نور الحياة بالدينونة النهائية. كما هو مكتوب: "اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية" (مت 22: 13). عندئذ يُرسل بالقوة إلى الظلمة الخارجية، إذ بإرادته صار أعمى بالظلمة الداخلية...

لكل خطية لا تُمحى بالندامة سريعًا، إما أنها خطية وعلة لخطية، أو خطية وعقوبة عن خطية.

الخطية التي لا تغسلها الندامة فورًا تقود إلى خطية أخرى بثقلها. فهي ليست فقط خطية، وإنما بالإضافة إلى ذلك هي علة خطية.

هذه الخطية يتبعها إثارة أخطاء، حيث ينقاد العقل الأعمى إلى المعاناة من العبودية من خطية إلى خطية أخرى، أما الخطية التي تقوم من خطية لا تعود بعد خطية فقط، وإنما تصير خطية مُضاف إليها عقوبة خطية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لِكَوْنِهِمْ أَشْرَارًا،

يَصْفَعُهُمْ فِي مَرْأَى النَّاظِرِينَ [26].

غالبًا ما يُريد الأشرار أن يختفوا عن الأنظار كما في الظلمة، لأن أعمالهم ظلمة لا تطيق النور، لهذا يؤدبهم الرب علانية لكي يرتعدوا ويدركوا عجزهم عن الهروب من العدالة الإلهية، ولكي يصيروا درسًا عمليًا للغير فلا يتشبهون بهم.

لعل أليهو كان يركز أنظاره على ما حلّ بأيوب من نكبات علانية.

يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن الناظرين هم الأتقياء الذين يقفون كشهودٍ على الأشرار في يوم الدينونة.

❖ "**لكونهم أشرارً يصفقهم في مرأى الناظرين**" (34: 26)...

يدعو الكتاب المقدس غير المؤمنين علي وجه الخصوص أشرارًا. لأن الخطاة يُميزون عن الأشرار بهذا الفارق: كل شرير هو خاطي، ولكن ليس كل خاطي هو شرير. فإنه حتى الإنسان التقي في الإيمان يمكن أن يكون خاطئًا. يقول يوحنا: "إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا" (1 يو 1: 8). لكن بحق يُقال عن الإنسان إنه شرير إن كان متغربًا عن قداسة الدين... هدوء سلام الكنيسة نفسه يحجب الكثيرين تحت الاسم المسيحي ويكتنفهم وباء شرهم. ولكن متى ضُربوا بنسمة خفيفة من الاضطهاد، يكتسحهم للحال كالقش من الجرن.

يرغب بعض الأشخاص في حمل علامة الدعوة المسيحية، لأن اسم المسيح قد ارتفع عاليًا، فيتطلع الكل تقريبًا في أن يظهروا كمؤمنين. إذ يرون الآخرين يُدعون هكذا يخجلون من أن يظهروا غير مؤمنين، لكنهم يهملون أن يصيروا إلى ما يفتخرون بدعوته...

يحتفظ البعض بالإيمان في داخل قلوبهم، لكنهم لا يبالون بالسلوك في الحياة بأمانة... إذ يتجاهلون الحياة الدقيقة يسقطون في عدم الإيمان دون أن يضطهدهم أحد... هؤلاء مخفيون عن أعين البشر لكنهم مكشوفون في بصيرة الله.

كثيرون يموتون غير مؤمنين وهم مقيمون في الإيمان نفسه. بحق قيل: "**لكونهم أشرارًا يصفقهم في مرأى الناظرين** " (34: 26). إذ يُظهرون أنفسهم أمام الناس في الكنيسة كأشخاصٍ أتقياء، لكن إذ لا يقدرون أن يهربوا من الأحكام الإلهية، يُضربون كأشرارٍ.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لأَنَّهُمُ انْصَرَفُوا مِنْ وَرَائِهِ،
وَكُلُّ طُرُقِهِ لَمْ يَتَأَمَّلُوهَا [27].

يقدم تفسيرًا لتأديبهم علانية، ألاَّ وهو تركهم لله القدوس خفية، في داخل قلوبهم وأفكارهم كما في سلوكهم السري، ولم يقبلوا طريق الرب، أي لم يحفظوا وصاياه ولا وضعوا اعتبارًا لله نفسه في حياتهم.

❖ "**لأنهم انصرفوا من ورائه، وكل طرقه لم يتأملوها** " [27]. ما سيحل بالأشرار في يوم الدينونة سرّه هو رجوعهم عن الله، أو انصرافهم من ورائه، وعدم مبالاتهم بطرقه الإلهية.

❖ "**الذين انصرفوا عنه، كما عن عمدٍ** ". يليق بنا أن نفهم أن الخطية تُرتكب بثلاث طرق: إما بسبب الجهل أو الضعف أو عن عمدٍ.

تصير خطيتنا أخطر إن كانت **عن ضعفٍ** وليس **عن جهلٍ**، لكن الخطر يكون أعظم إن كانت **عن عمدٍ** وليس عن ضعفٍ.

أخطأ بولس **عن جهل** حين قال: "أنا الذي كنت قبلاً مجدفًا ومُضطهدًا ومفتريًا، ولكنني رُحمت لأني **فعلت بجهلٍ** في عدم إيمانٍ" (1 تي 1: 13).

أخطأ بطرس **عن ضعفٍ** عندما هزت كلمة الجارية قوة الإيمان الذي تحدث عنه مع الرب، وعندما أنكر بصوته الرب الذي تمسك به في قلبه (مت 26: 69).

لكنهم أخطأوا **عن عمد** هؤلاء الذين قال عنهم السيد نفسه: "لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم" (يو 15: 22). أن تخطيء عمدًا يعني أنك لا تحب الصلاح ولا تفعله. لذلك أحيانًا يكون الجرم أثقل أن تحب الخطية عن أن تمارسها. وبالمثل فإن الخطية أعظم أن تكره البرّ عن ألا تفعله. لذلك يوجد البعض في الكنيسة من هم بعيدون عن الصلاح بل ويضطهدونه، وأيضًا من يكرهون في الآخرين ما يمارسونه هم في إهمالٍ.

❖ "**ولا يريدون أن يفهموا أي طريق من طرقه**". لا يقول إنهم لا يفهمون عن ضعفٍ، وإنما **لا يريدون أن يفهموا**، لأن الناس غالبًا ما يحتقرون معرفة الأمور التي يفتخرون جدًا أنهم يفعلونها... إذ يحسبون جهلهم لها يهبهم حصانة من جهة خطاياهم...

أن تفهم طرق الرب هو أن تحتمل بتواضعٍ الأمور الزائلة (من ضيقات) وتنتظر بثباتٍ الأمور الباقية (الأبديات).

البابا غريغوريوس (الكبير)

حَتَّى بَلَّغُوا إِلَيْهِ صُرَاخَ الْمِسْكِينِ،
فَسَمِعَ زَعْقَةَ الْبَائِسِينَ [28].

بتركهم طريق الرب ورفضهم وصاياه، فتحوا الطريق لصرخات المساكين الذين ظلموهم أن تصعد إلى الرب، وصرخات البائسين (الحزانى) أن تبلغ إليه. بمعنى آخر، إذ

يرفض الشرير طريق الرب ويسد أذنيه عن سماع الوصية الإلهية في حياته العملية، يسبب خسارة ومرارة لإخوته، فتصعد صرخاتهم إلى السماء وتبلغ أذني الله.

ليس من أمر مرعب في المحكمة السماوية من قسوة قلب الإنسان على أخيه بسبب رفضه وصية الحب الإلهي. فإنه وإن صلى إلى الله يسد أذنيه حتى يفتح الإنسان أذنيه لمن أحزنهم وضايقهم. فإن دموع المتألمين وتنهداتهم تسبق وتشتكي الأشرار الظالمين.

❖ "**حتى يبلغ إليه صراخ المحتاجين، ويسمع صوت الفقراء** " [28]. إذ يفتخر هؤلاء (الأشرار)، يصرخ الذين يضغطون عليهم إلى الله، أو بالتأكيد تعني أنهم يسببون أن يبلغ صراخ المساكين إلى الله... هذا أيضًا يشير إلى قادة الكنيسة، الذين يتوقفون على عمل الكرازة، وينشغلون بالاهتمامات العالمية. يتركون الإلتزامات الخاصة بالكرازة. إنهم بهذا يلزمون القطيع الذي تحتهم أن يندفعوا إلى الشكوى متذمرين. كل من الذين تحثهم يشتكى، كما بعدلٍ، من سلوك الراعي المزيف، متسائلاً: لماذا يحتل مكان المعلم من لا يمارس العمل؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

إِذَا هُوَ سَكَّنَ فَمَنْ يَشْغَبُ؟
وَإِذَا حَجَبَ وَجْهَهُ فَمَنْ يَرَاهُ،
سَوَاءٌ كَانَ عَلَى أُمَّةٍ أَوْ عَلَى إِنْسَانٍ؟ [29]

يقول أليهو: "إذ يسمع الله أنات الشعب وتنهدات الإنسان المتألم، يقدم راحة أو تعزية أو رخاء للمساكين المتألمين المظلومين، عندئذ من يجسر ليسبب لهم شغبًا أو متاعب؟" يريد أليهو أن يؤكد أن كل الأمور تحت سلطانه، يسمع لصوت المتألمين ويعمل، ولا يقدر الأشرار بكل إمكانياتهم وسلطانهم أن يلمسوهم!

"**وإذا حجب وجهه**" تعبير كتابي يشير إلى حلول كارثة، كأنها تعلن عن حجب الله وجهه عن الإنسان، فليس من يقدر أن يراه، أي يهتم به ويرفع عنه الكارثة التي حلت به، ويهبه سلامًا ومسرة.

كأن أليهو يدعو أيوب أن يرجع إلى الله، فهو وحده متى وهبه تعزية إلهية وسلامًا داخليًا لا تقدر التجارب ولا مضايقات الناس أن تؤذيه. أما إذا لم يرجع إلى الله، فسيحجب وجهه عنه، ولا تقدر كل وجوه الناس أن تتطلع إليه وتهبه راحة.

هذا المبدأ، أن سرّ راحة الإنسان في يد الله لا الناس، ينطبق على الشعب ككلٍ، كما على الشخص بمفرده.

إن بررنا الله بحبه لا يقدر أحد أن يديننا، وإن غضب علينا لا يقدر أحد أن يهبنا سلامًا! إذن فلننعم بالسلام الكامل بأن تتركز أعماقنا على الله مصدر السلام ومفرح القلوب (أم 16: 7؛ إش 26: 3).

❖ "**عندما يعطي سلامًا، فمن يدين؟ وإذا حجب وجهه فمن يراه؟** " [29]... هذا أيضًا يقوله عندما يعطي العاملين في الكرم أجرتهم... "أما اتفقت معي على دينار؟... فإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك، أو ما يحلّ لي أن أفعل ما أريد بمالي؟" (راجع مت 20: 13-15)...

"**سواء كان على أمةٍ أو على إنسانٍ** "... تُعرض الأحكام الإلهية بنفس الكيفية بخصوص نفسٍ واحدةٍ أو مدينةٍ واحدةٍ، وأيضًا بخصوص مدينةٍ واحدةٍ أو أمةٍ واحدةٍ، وأيضًا بنفس الكيفية سواء بخصوص الجنس البشري. يهتم الرب بأشخاصٍ معينين بنفس الكيفية كما يهتم بالعالم كله.

مرة أخرى، يوجه اهتمامه نحو الكل في نفس الوقت كما لو كان غير مهتمٍ بالأفراد. فإن ذاك الذي يملأ كل الأشياء بتدبيره يملأ الكل. وعندما يهتم بشيءٍ واحدٍ وحده، فهو في نفس الوقت حاضر في الكل. مرة أخرى وهو يدبر العالم كله، هو حاضر مع كل فردٍ. في الواقع إنه بعمل كل شيءٍ بقوة طبيعته دون أن يتحرك. ما هو عجيب أنه وهو منكب على شيءٍ ما، لا يُحد به، الذي يعمل حتى وهو في الراحة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

حَتَّى لاَ يَمْلِكَ الْفَاجِرُ (المرائي)،
وَلاَ يَكُونَ شَرَكًا لِلشَّعْبِ [30].

كل أمور البشرية في يد الله، تحت رعايته الفائقة، حتى لا يملك الشرير المرائي فيتسلط على إخوته، ويظن أنه صاحب سلطان لا يُقاوم، ليس من يقدر أن يردعه أو يصده عن ظلمه لهم. ولئلا يصير هذا الشرير فخًا يسقط فيه الشعب، حيث يشعرون كأن الله لا يبالي بالظلم الحال بهم.

هكذا يليق بالقادة –على كل المستويات– أن يدركوا أنهم وإن نالوا سلطانًا، فالله فوق

الكل، ضابط الجميع. يقول المرتل: "لأنه لا تستقر عصا الأشرار على نصيب الصديقين، لكيلا يمد الصديقون أيديهم إلى الإثم" (مز 125: 3).

❖ "**الذي يجعل المرائي يملك من أجل خطايا الشعب** " [30]. لم ترد اليهودية أن يملك عليها الملك الحقيقي، لذلك جاءت بمراءٍ يملك عليها كما يليق باستحقاقها. كما يقول الحق نفسه في الإنجيل: "أنا قد أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني. إن أتى آخر باسم نفسه تقبلونه" (يو 5: 43). يقول بولس: "لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا، ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب" (2 تس 2: 10، 11).

بقوله: "**الذي يجعل المرائي يملك من أجل خطايا الشعب** " ربما يعني **ضد المسيح**، رئيس كل المرائين. فإن المخادع يتظاهر بالقداسة لكي يجذب البشر إلى الشر...

يملك ضد المسيح هذا على الأشرار، لا بسبب ظلم الديان، وإنما بسبب خطية من يُلزمون على تحمل العقوبة. بالرغم من أن أغلبهم لا يرون قوته المتسلطة، إلا أنهم يُستعبدون له، بسبب الحال الذي بلغوه بخطاياهم. إنهم بلا شك يكرمونه بحياتهم الشريرة، هؤلاء الذين لا يرون استبداده لهم. أليس هؤلاء هم أعضاءه الذين يطلبون بإظهارهم القداسة ما هم ليسوا عليه؟... إذ مكتوب: "إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية" (يو 8: 34). فإنهم بقدر ما يرتكبون الخطايا بإرادتهم هذه التي يشتهونها، ينحنون لخدمة (ضد المسيح) مُستعبدين له.

ليت من يعاني من حاكمٍ كهذا لا يلوم الحاكم الشرير... إنما يلوم أخطاء أفعاله الشريرة لا ظلم حاكمه. مكتوب: "أنا أعطيتك ملكًا بغضبي" (هو 13: 11).

إذن لماذا نسخر بمن يُقام حاكمًا علينا، هذا الذي تسلم سلطانه من غضب الله؟ إن قبلنا حكامًا حسب استحقاقاتنا من سخط الله، نستدل من سلوكهم على ما عليه حالنا حقيقة!... سمات الحكام تُعيَّن حسب استحقاقات الخاضعين لهم. حتى أولئك الذين يظهرون كأنهم صالحون يتغيرون بالقوة التي يقبلونها. لاحظ الكتاب المقدس! شاول نفسه تغيَّر قلبه مع كرامته مكتوب: "إذ كنت صغيرًا في عينيك صرت رأس أسباط إسرائيل" (1 صم 15: 17).

يتشكل سلوك الحكام حسب سمات الخاضعين لهم، فإن سلوك حتى الراعي الصالح يصير شريرًا بسبب شر قطيعه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يُذرى الأشرار بمرارة كزوانٍ خفيفٍ، أما الأبرار فيخلصون كحنطةٍ ثقيلةٍ. لذلك لاحظوا ما يقوله الرب لبطرس: "هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك" (لو 22: 31). الذين يُذرون مثل زوانٍ يهلكون، أما الذي لا يهلك فهو مثل البذرة التي تسقط وتنمو وتزيد وتأتي بثمرٍ كثيرٍ (لو 8: 8)... يُشبه الشر بالعُصافة التي تحترق سريعًا وتصير ترابًا [1].

القديس أمبروسيوس

❖ هنا دواء مرضكم: "لا تَغِر من الرجل الذي يزدهر في طريقه". نعم إنه مزدهر، لكن في طريقه هو. أما أنت فتتعب، ولكن في طريق الله.

إنه في رحلته يسافر باستهتار، لكن إلى أين يذهب؟

لو أن المسيح وعدك بخيرات هذا العالم، لكان لك أن تغضب، لأن غير المؤمن في فيض في طرقه.

بماذا وعدك؟ بالسعادة الأبدية عندما يقوم الأموات، وأما في هذه الحياة فوعدك بنصيبه. أكرر، نصيبه هو الطريق الذي سلكه. هل تحتقر ما سلكه سيِّدك، وأنت عبد وتلميذ؟ لقد سمعت أنه ليس عبد أفضل من سيِّده، فإنه تألم! الأمر الذي لا يستحقه ذلك البار، فماذا تستحق يا أيها الخاطي؟

❖ لأنه لا تستقر عصا الأشرار علي نصيب الصديقين لكيلا يمد الصديقو ن أيديهم إلى الإثم" (مز 125: 3). في الوقت الحاضر يتألم الأبرار إلى حدٍ ما، وفي الحاضر يطغى الأشرار أحيانا على الأبرار، بأية طرق؟ أحيانًا يبلغ الأشرار إلى الكرامات الزمنية، وإذ يبلغون إليها، ويصيرون قضاة أو ملوكًا، يسمح الله بذلك لتأديب قطيعه، لتأديب شعبه، هنا يلزم إظهار الكرامة التي تليق بهم... وأحيانًا يوجد أصحاب سلطان صالحون ويخشون الله، وبعضهم ليس فيهم مخافة الله.

كان يوليانوس إمبراطورًا كافرًا، مرتدًا وشريرًا وعابد أوثان. وكان الجنود المسيحيون يخدمون إمبراطورًا كافرًا.... متى دعاهم لعبادة الأصنام وتقديم البخور لها كانوا يشيرون إلى الله، ولكن عندما كان يأمرهم أن ينتشروا في خطوط الجنود، ويتحركون ضد هذه الأمة أو تلك كانوا في الحال يطيعون. كانوا يميزون بين سيدهم الأبدي، وسيدهم الزمني، ومن

---

[1] *The Prayer of Job and David, 2: 5: 18.*
[2] *On Ps. 36: 9.*

أجل سيدهم الأبدي كانوا يخضعون للزمني. لكن هل يحمل الأشرار على الدوام سلطانًا على الأبرار؟ إن عصا الأشرار تبقى إلى حين على نصيب الأبرار، لكن لن تدم إلى الأبد. سيأتي وقت حين يظهر المسيح في مجده ويجمع كل الأمم أمامه[1].

القديس أغسطينوس

4. كيف نتحدث مع الله

وَلَكِنْ هَلْ لله قَالَ:

احْتَمَلْتُ، لاَ أَعُودُ أُفْسِدُ [31].

يطالبه أليهو أن يرجع إلى الله ، وبروح التوبة يقول: احتملت التأديب، لا أعود أخطئ بعد!

جاءت الخاتمة تحمل عنفًا أكثر من كل أحاديث الأصدقاء الثلاثة، لكن يبدو أن نية أليهو وغيرته الصادقة هي التي ميَّزته عنهم، إذ لم يحمل معهم حسدهم.

يترجمها البعض: " **بالتأكيد يليق أن يُقال لله: لقد تأدبت، لا أعود أعصى** ". هكذا يطالبه أليهو أن يسلك بروح التواضع أمام الله.

يليق بالإنسان المتألم أن يتعدى حدود الألم ليلتقي بالله بروح التواضع والفهم، في غير تذمرٍ أو شكوىٍ، مدركًا أن وراء الألم خطة إلهية لبنيانه. قدم له حقيقة عامة، أنه يليق بالمتألم أن يتعرف على خطة الله من نحوه.

"**احتملت**": يرى البعض أن الكلمة العبرية هنا تعني "تبت" أو " **تأديب**"، فلا أعود أصنع فسادًا. بهذا تكون الآلام طريقًا لمراجعة النفس وطلب الإصلاح بالعودة إلى الله.

بالفعل قال أيوب هكذا لله (أي 40: 3-5؛ مي 7: 9؛ لا 26: 41).

مَا لَمْ أُبْصِرْهُ فَأَرِنِيهِ أَنْتَ.

إِنْ كُنْتُ قَدْ فَعَلْتُ إِثْمًا،

فَلاَ أَعُودُ أَفْعَلُهُ؟ [32]

يقدم لنا أليهو صورة رائعة للتوبة، وفي نفس الوقت يبرز ما في داخله من جهة أيوب.

لم يكن أيوب كما سبق فقال له أصدقاؤه إنه مرائي يغطي على خطاياه بالشكليات الخادعة، ويخفي شروره الدفينة بمظاهر العطاء والخدمة وإنما يقول له: "توجد في حياتك – كما

---

[1] *On Ps.125.*

في حياة كل مؤمنٍ – خطايا خفية عن عينيك، تمارسها لا إراديًا، لا تقدر أن تراها أو تدركها أطلب من الله فيكشفها لك".

الله يعلم شعبه (أي 10: 2)، مقدمًا لهم معرفة داخلية حتى لأخطائهم التي لم يدركوها أن جاءوا إليه نادمين (مز 32: 8؛ 19: 12؛ 139: 23-24).

يليق بالمؤمن أن يضع في قلبه أنه إن كشف الرب له عن خطاياه لا يعود بعد إليها (أم 28: 13؛ أف 4: 22).

هَلْ كَرَأْيِكَ يُجَازِيهِ قَائِلاً:

لأَنَّكَ رَفَضْتَ، فَأَنْتَ تَخْتَارُ لاَ أَنَا.

وَبِمَا تَعْرِفُهُ تَكَلَّمْ؟ [33]

جاء هذا النص غامضًا، لذا تباينت التفاسير. يرى البعض أن الله سيجازي على العمل سواء قَبِلَ الشخص ذلك أو رفض، وأن الله لا يتصرف حسب وجهة نظر الإنسان، إنما حسبما يرى هو أنه حق ونافع، فلا يتوقع الإنسان أن الله يستشير البشر ويتصرف حسب آرائهم أو مشاعرهم.

كأن الإنسان يقول لله: لتعمل أنت يا الله حسبما ترى؛ أنت الذي تختار وتأخذ وليس أنا، تعمل وتتكلم حسبما تعرف أنت. أما أنا فمن جانبي أثق في قراراتك وأخضع لخطتك.

ذَوُو الأَلْبَابِ يَقُولُونَ لِي،

بَلِ الرَّجُلُ الْحَكِيمُ الَّذِي يَسْمَعُنِي يَقُولُ: [34]

يود أليهو أن يدخل في حوارٍ مع أناسٍ ذي فهمٍ وحكمةٍ، لأنه يود أن يجد من يسمع له ويزن أقواله، ويُقيِّمها.

إِنَّ أَيُّوبَ يَتَكَلَّمُ بِلاَ مَعْرِفَةٍ،

وَكَلاَمُهُ لَيْسَ بِتَعَقُّلٍ [35].

يرى أليهو في أيوب أنه قد التزم الصمت، فحسبه جامد في فكره، يتمسك بإرادته وبذاته، فلا نفع مع الحديث معه. حسبه كمن هو بلا معرفة ولا حكمة.

فَلَيْتَ أَيُّوبَ كَانَ يُمْتَحَنُ إِلَى الْغَايَةِ،

مِنْ أَجْلِ أَجْوِبَتِهِ كَأَهْلِ الإِثْمِ [36].

يود أليهو أن يُقدم أيوب لمحاكمة عادلة، فتُمتحن أقواله ومفاهيمه، فقد قدم إجاباته

على أهل الإثم (أصدقائه)، ويلزمه تصحيح ما قاله.

لَكِنَّهُ أَضَافَ إِلَى خَطِيَّتِهِ مَعْصِيَةً.
يُصَفِّقُ بَيْنَنَا،
وَيُكْثِرُ كَلاَمَهُ عَلَى اللهِ [37].

بجانب خطاياه السابقة، أضاف خطية أخطر أثناء حواره، ألاَّ وهي خطية الشكوى مع التذمر على الله. فإن كان الله سمح له بالتأديب عن خطاياه، كان يلزمه ألا يتذمر حتى وإن أثاره أصدقاؤه باتهامات ظالمة وعنيفة.

"**التصفيق**"، إما علامة على الاستحسان والنصرة أو على السخط والضيق (عد 24: 10) أو للسخرية (أي 27: 23). يبدو أنه يتحدث هنا عن التصفيق كرمزٍ للاستخفاف والسخرية على مفاهيم أصدقائه. كأن أيوب – عوض دراسة الأمور بطريقة موضوعية – بروح هادئة ورغبة في التعرف على الحق والانتفاع منه، كان كل ما يشغله هو الاستخفاف بأصدقائه الذين يتهمونه ظلمًا.

"**ويكثر كلامه على الله**": عوض الالتجاء إلى الله لمساندته نسب لله الظلم، واسترسل في ذلك.

من وحي أيوب 34

هب لي روح التمييز!

- هب لي من عندك روح التمييز، يا حكمة الله.
  فأمتحن بروحك كل فكرٍ وكل كلمةٍ وكل تصرفٍ.
  أمتحن كلماتي، فلا تخرج كلمة بطالة.
  أمتحن ما أنصت إليه، فلا أفسد وقتي بكلمات بطالة.
  أسمع صوتك في كل شيءٍ، في إنجيلك المقدس، وفي الطبيعة الجميلة،
  وفي الأحداث الماضية والحاضرة.

- بك أختبر الفضيلة وأتلذذ بها. بك لا أطيق الشر، ولا أحاوره.
  لا تخدعني حكمة العالم الغاشة،ولا تحركني رياح الفلسفة الباطلة.

لأتذوق حكمتك وحبك ورعايتك طول النهار،
فتتهلل نفسي حتى وسط لهيب التجارب.

❖ هب لي روح التمييز، فلا يخدعني مديح الناس،
ولا يحطمني نقدهم اللاذع.
إنما أتعرف بك على الحق الإلهي وأعيشه!
أسمع صوتك في أعماقي، كما في كنيستك!
أتمتع بك وسط أبنائك!

❖ هب لي روح التمييز، فأرحب بكلمتك النقية وأتمسك بها،
أنصت إليك خلال خدامك، وأرفض صوت المخادعين.
أصير بك صرافًا ماهرًا، أميز العملات الحقيقية من المزيفة!

❖ هب لي روح التمييز، فأدرك أنه ليس أحد كاملاً غيرك،
بك أكون كاملاً ومقدسًا!
بك أشتهي أن يلتصق العالم كله ببرِّك.
فتصير البشرية كاملة وصالحة فيك!

❖ هب لي روح التمييز، ففي وسط الضيق، وفي مرارة نفسي،
لا أظن أن البرّ لا ينفع صاحبه،
ولا أن الشر لا يضر مرتكبه.
لا أتساءل: أين هي عنايتك بمؤمنيك؟
ولا أزن الأمور بموازين بشرية زمنية.
إنما أثق في حبك ورعايتك وعدلك.
لأنتظر، فغدًا تتكشف أسرار حكمتك!

❖ بحلولك في قلبي، يتسع ليضم بالحب كل إنسانٍ.

يتسع، فلا يضيق أمام أية محنة. وتتحول كل المحن لخيري.
أدرك سِّر حبك وراء كل ضيقة!
وسط الآلام تتهلل نفسي بك، وتتغنى دومًا ببِرك!
لن تضطرب نفسي لقسوة الأشرار عليّ،
ولا أخشى عصا الخطاة، فإنها لن تستقر عليّ.
أشهد لبرِّك، يا من لا تحابي الوجوه!

❖ أراك أبًا تترفق بي كابنٍ لك.
لا تنسى كأس ماء بارد، أقدمه باسمك.
أرى الشرور تعبر سريعًا،
وتتهلل نفسي بيديك، وهما تمسحان دموعي.

❖ هب لي روح التمييز،
فأدرك رعايتك لي، أنا خليقتك.
إن كان الإنسان لا يحتمل إهانة تصيب الخاضعين له،
أفلا تهتم بي أنا خليقتك وصنع يديك؟
برحمتك أوجدتني أيها القدير، الأب العجيب،
فكيف لا ترعاني بحبك؟!
وهبتني الحياة بنسمة فيك،
فكم أنا عزيز لديك جدًا؟!
أما تفتح أحضانك الأبوية لي؟

❖ خلقتني من العدم، فأنا صنعة يديك.
أحببتني فخلقتني، وفديتني بدمك الثمين مجانًا،
فهل تترك الظلم يحل بي، يا أيها المحب للبشر؟

❖ ليعد جسدي إلى التراب الذي خُلق منه،

لكن ألا تعود روحي إليك، إذ هي نسمة من فمك؟!
حملت جسدي بتجسدك،
فعاد إليّ الرجاء أنني لا أهلك.
أترقب يوم قيامتي، فيتمجد جسدي مع روحي!

❖ روحك يحملني من مجدٍ إلى مجدٍ،
يرفعني من المزبلة والتراب، وينطلق بي إلى السماء!
فماذا يمكن لأحداث العالم أن تفعل بي؟!

❖ هب لي روح التمييز،
فأدرك أنه ليس عندك محاباة!
لن تحابي غنيًا بسبب غناه أو سلطانه.
ولن تحابي شعبًا بسبب كثرة عدده.
ولن تحابي جيشًا بسبب إمكانياته العسكرية.
إنما تهتم بكل إنسانٍ، كأنه ليس أحد سواه على الأرض.
وتهتم بالكل دون تمييز أو تحيزٍ!

❖ عيناك تراقبان كل إنسانٍ، لا لتهلكه بل لتخلصه.
عيناك تنظران ما في الفكر والقلب.
لست في حاجة إلى شهادة أحدٍ،
فكل شيءٍ مكشوف أمامك!

❖ في حبك لا تريد هلاك أحدٍ،
لكن في عمدٍ أصرّ الأشرار أن ينصرفوا عنك.
تركوك واستهانوا بوصيتك.
فملك الشر على قلوبهم.
صار العنف دستورهم،

وأصيبت آذانهم بالصمم،
فلا تسمع لصرخات المساكين المظلومين.
لكنك تبقى تسمع أنات القلوب الداخلية.
ترفعهم وتسندهم وتمجدهم!

❖ ليس من إنسان يقدر أن يهين رئيسًا أو ملكًا؟
فمن يجسر أن يدين خططك الإلهية؟
أنت ملك الملوك! أنت رب الأرباب!
عيناك على طرق كل البشرية. تتطلعان حتى إلى ما في قلوبنا وأفكارنا.
كأن لا عمل لك سوى الاهتمام ببني البشر.
تريد أن الكل يخلصون، وإلى معرفتك يقبلون!

❖ ليقم العالم ضدي، فإن خالقه يضمني.
ليهج الأشرار بكل طاقتهم. تخرج روحهم ويعودون إلى ترابهم.
يسخرون بي، فيصيرون منظرًا ومثلاً وهزءًا!
انصرفوا عنك بقلوبهم القاسية، ففقدوا حياتهم ومجدهم!

❖ سخروا بصرخات البائسين،
ولم يدركوا أنك تستمع لأنين قلوبهم.
حجبوا وجوههم عن المظلومين،
ولم يدركوا أنك تتطلع بنفسك إليهم.
ظنوا في المساكين زوانًا يحترق،
ولم يدركوا أنك تجعلهم ذهبًا مصفى بالنار.

❖ هب لي روح التمييز، فأدرك أسرار خططك،
وأتعلم كيف أحاورك، وأميز بين السماويات والأرضيات.
وأنطلق إليك، وأتمتع بك في داخلي.

❖ أخيرًا علمني ودربني،
فأتعلم بروح التمييز كيف أتحدث معك!

اَلأَصْحَاحُ الْخَامِسُ وَالثَّلاَثُونَ

حديث أليهو الثالث

الصلاة غير المستجابة

هذا هو الحديث الثالث لأليهو، الأول وجهه إلى أيوب بصفة خاصة، والثاني إلى أصدقائه مع أيوب، وكان ينتظر أن يتكلم أيوب. وإذ لم يتكلم أيوب تحدث أليهو معالجًا الأمور التالية:

أولاً: ظن في أيوب أنه في وسط ضيقته تشكك في الانتفاع بالسلو ك بالبرّ والامتناع عن الشر، كأن البرّ لا يفيد المرء، ولا الخطية تضره.

ثانيًا: أكد أن الله ليس في حاجة إلى صلاح الإنسان، كما لا يضره شيء من شرورنا.

ثالثًا: يسمح الله بعدم التدخل السريع وسط ضيقتنا، لأننا عوض الصراخ إليه يبتلعنا الضيق، ويحصر نفوسنا. وكأنه ينتظر تحويل بصيرتنا من الضيق إليه شخصيًا.

رابعًا: قد نصرخ إلى الله ولا يستجيب، لأننا حتى في صراخنا لا نحمل روح التواضع والخضوع، وإنما روح التذمر.

1. أيوب يظن أنه أبرّ من الله 1-2.
2. هل البّر لا ينفع والشر لا يضر؟ 3-6.
3. الله في غير حاجة إلى بّرنا 7-9.
4. لنصرخ إلى الله وسط الضيق 10-11.
5. لنصرخ في تواضعٍ بلا تذمر 12-16.

1. أيوب يظن أنه أبرّ من الله

وَقَالَ أَلِيهُو:

أَتَحْسِبُ هَذَا حَقًّا؟
قُلْتَ: أَنَا أَبَرُّ مِنَ اللهِ [1-2].

يوجه أليهو حديثه إلى أيوب متسائلاً: هل تظن أنه حق أن تقول بأنك أبرّ من الله؟ هذا تجديف! لم يقل أيوب هذا صراحة ولا ضمنًا. لكن ربما اشتمها أليهو من حديث أيوب عن إخلاصه واستقامة حياته، وأنه لم يرتكب جريمة ما تؤهله لهذه الكوارث (راجع أي 9: 17، 30-35؛ 10: 13-15؛ 16: 12-17؛ 34: 18-19). لقد فسر هذا كله بأن أيوب يظن بأنه أبرّ من خالقه.

يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن أليهو لم يدرك ما في فكر أيوب أو ما وراء كلماته. فإن كان قد بدا كمن يبرر نفسه أمام الرب، فحسبه أليهو كمن يدعو نفسه أبرّ من الرب، لكن حقيقة الأمر أن أيوب لم يكن بعد يدرك أن تجاربه غايتها تزكيته أكثر فأكثر لنوال أمجادٍ أعظم، إنما هي عقاب عن الخطايا. فهو يتساءل: ما هي الخطايا التي ارتكبتها حتى تحل بي كل هذه التجارب التي لم تحل على غيري؟ إنه تساؤل أكثر منه تبرير لنفسه!

❖ "**أتحسب هذا حقًا، قلت: أنا أبرّ من الله**" [2]... يُلاحظ أن الطوباوي أيوب لم يقل إنه كان أبرّ من الله. لكنه يقول: "ليدع العدالة مقابلي، فتؤول محاكمتي إلى نصرة" (راجع 23: 7). بفحص حياة أيوب ومعرفة أسباب ضربه، كثيرًا ما نلاحظ أنه اعتقد بأن جلداته كانت لإزالة خطاياه وليس لتزايد استحقاقاته. لهذا كان واثقًا أن محاكمته ستؤول إلى النصرة، إذ لم يجد في نفسه ما يستحق عليه ما حلّ به من ضربات. بالحقيقة فإن الرب نفسه قال عنه للشيطان: "قد هيجتني عليه لأبتلعه بلا سبب" (أي 2: 3).

البابا غريغوريوس (الكبير)

ما فعله أيوب حتى قبل الناموس، فعله كثيرون حتى في عهد النعمة، إذ يتساءلون: "لماذا يسمح الله بالضيقات للقديسين؟" وقد تعرض كثير من آباء الكنيسة لمثل هذا السؤال، نذكر على سبيل المثال المناظرة السادسة من مناظرات **القديس يوحنا كاسيان** مع **الآب ثيؤدور** (تادرس)، وقد سبق لنا نشرها نقتطف منها التالي:

❖ تساءل البعض: لماذا يُذبح هؤلاء الرجال ذوو الاستحقاق العظيم والفضائل الجمَّة بواسطة هؤلاء اللصوص؟! لماذا يسمح الله أن تحدث جرائم لعبيده فيسقطون تحت أيدي الأشرار؟! وإذ كنا في حزننا أتينا إلى القديس ثيؤدور الذي برز في (نعمة) التمييز. كان هذا الأب يقطن في منطقة القلالي Calle بين نتريا والإسقيط، تبعد خمسة أميال عن نتريا وثمانية عن برية الإسقيط التي كنّا مقيمين فيها. وإذ تقدمنا إليه ونحن في ضيق بسبب

موتهم، مظهرين دهشتنا لطول أناة الله العظيمة حتى يسمح بقتل هؤلاء بهذه الكيفية، أولئك الذين كانوا قادرين على حفظ غيرهم من مثل هذه التجارب بسبب قداستهم، هم أنفسهم لم يقدروا أن يخلصوا من السقوط في أيدي الأشرار. لذلك سألناه: لماذا يسمح الله بحدوث مثل هذه الجرائم ضد خدامه؟! [1]

الأب ثيؤدور (تادرس)

في مقدمة مقاله: "**لا يستطيع أحد أن يؤذي إنسانًا ما لم يؤذِ هذا الإنسان ذاته**" كتب **القديس يوحنا الذهبي الفم:**

[كما يستحيل إحصاء عدد أمواج البحر، هكذا لن يمكن إحصاء ضحايا الساقطين تحت أعباء المكائد والإهانات والآلام ولا يمكن لا بتعديل القانون، ولا بالإرهاب عن طريق القضاء ولا بشيء من هذا القبيل، يقدر أن يوقف تيار هذا الوباء والاضطراب، إنما في كل يوم يتزايد الشر أكثر فأكثر. حتى أصبحت تنهدات المتألمين وندبهم ونحيبهم أمرًا جماعيًا مألوفًا...

وهناك من يتمسكون بنوع جديد من الحمق، **اتهام عناية الرب** عندما يرون الإنسان العفيف كثيرًا ما يكون مأسورًا تحت العنف ومضروبًا ومهانًا بشدة، بينما الإنسان الوقح القاسي الوضيع يصب مضايقات لا تحصى على من هم أكثر منه عفة، ويتجنى على من في المدينة أو في البلد أو في الصحراء والبحر والبر.

هذا المقال الذي أدلي به ضروري حتى يصحح ما يزعمونه... مثبتًا، **إن أي إنسان أخطأ إنما يصيبه الضرر بيديه، ولم يبعثه على الخطأ إنسان أخر.**]

2. هل البِّر لا ينفع والشر لا يضر؟

لأَنَّكَ قُلْتَ: مَاذَا يُفِيدُكَ؟

بِمَاذَا أَنْتَفِعُ أَكْثَرَ مِنْ خَطِيَّتِي؟ [3]

يرى البعض أن أيوب يحدث نفسه متسائلاً: ماذا انتفعتِ (يا نفسي)؟ وماذا أنتفع أنا بعدم ممارستي للخطية؟

ويرى آخرون أن أيوب يقول لله: برّي لا ينفعك في شيءٍ، ولا ينفعني أنا.

لعله اقتبس هذا مما ورد في أيوب (9: 30-31؛ 10: 15). هذا ما عبرّ عنه المرتل أيضًا في المزمور (73: 13).

---

[1] *St. John Cassian: Conferences, 6:1.*

لم يقل أيوب هذا صراحة، وإنما ما قاله أيوب إنه كان يتوقع ألاَّ تحل به هذه الكوارث بسبب سلوكه المستقيم، لكن سلوكه هذا لم يعفه، وكأنه لم ينتفع من هذا السلوك (راجع أي 19: 28).

لقد أوضح **القديس يوحنا الذهبي الفم** أنه ليس ما يضر الإنسان سوى شره ولا ما ينفعه سوى استقامة حياته.

❖ ما هو إذن صلاح الإنسان؟ صلاح الإنسان لا يكمن في الغنى حتى نخاف الفقر، ولا في الصحة البدنية فنرهب المرض، ولا في نظرة الناس إليك حتى تحذر ما يقوله الناس عنك بشرٍ، ولا في الحياة هنا في ذاتها حتى ترتعب من الموت... إنما يكمن صلاحه في التمسك بالتعاليم الحقيقية، والاستقامة في الحياة، الأمر الذي لا يستطيع أحد، حتى الشيطان نفسه، أن يسلب الإنسان إياه طالما كان حريصًا عليه كما ينبغي.

وهذا الأمر يدركه تمامًا حتى أخبث الشياطين وأشدهم. لهذا جرد الشيطان أيوب من مادياته لا ليجعله فقيرًا، إنما ليلزمه أن ينطق بكلمة تجديف على الله. وعذب جسده لا ليذله بالمرض، بل ليحبط صلاح نفسه. لكنه عندما نفذ كل حيله، وجعل هذا الغني فقيرًا... وحرمه من أبنائه... ومزق جسده بوحشية لا يقدر الجلادون أن يفعلوها، لأن أدوات التعذيب لا تقدر أن تمزق كل جانب من جوانب الجسد كما يفعل الدود الذي كان في جسده، وأفسد الشيطان سمعته حتى أعلن أصدقاؤه الحاضرون معه أن هذا جزاء له عن خطاياه التي يستحقها، موجهين ضده اتهامات كثيرة، وطرده من مدينته وبيته لا إلى مدينة أخرى، بل صارت مزبلة مدينته بيته...

لكل هذا لم يؤذِ أيوب بل بالعكس تمجد بالأكثر على حساب هذه المكائد التي صبها ضده.

لقد أخذ الشيطان منه كثيرًا لكنه لم يسلبه شيئًا من صلاحه. بل دفعه بالأكثر لتزداد قوة صلاحه. لأنه بعد ما حدثت له هذه الأمور تمتع بثقة أعظم بقدر ما حاربه خصم قوي.

والآن إن كان الذي كابد آلامًا مثل هذه، التي ليست من عمل إنسان، بل من عمل الشيطان الأكثر شرًا من كل البشرية، هذا لم يصبه أي ضرر، فهل تقول أنت بأن إنسانًا ما قد أضرك أو حطمك...

إن كان الشيطان، المملوء مكرًا عظيمًا هذا مقداره، بعدما صب كل ما في حقيبته،

واستخدم كل أسلحته، وصب كل شروره ضد إنسان ذي مركز سامٍ عائليًا، وبار، ومع هذا لم يسبب له أذى، بل بالحري كما قلت إنه أفاده، فكيف تقدر أن تتهم إنسانًا أو آخر أنه يحمل في يديه ضررًا، لغيره، وليس لنفسه؟!

القديس يوحنا الذهبي الفم

أَنَا أَرُدُّ عَلَيْكَ كَلاَمًا،

وَعَلَى أَصْحَابِكَ مَعَكَ [4].

سأظهر لك الشر الذي يسببه الطريق الخاطئ، أو تسببه الخطية، والبركات التي يسببها البرّ، فأورد ما لم يذكره أصدقاؤك في حوارهم معك.

انْظُرْ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَأَبْصِرِ،

وَلاَحِظِ الْغَمَامَ.

إِنَّهَا أَعْلَى مِنْكَ [5].

خلق الله السماوات لكي تتطلع إليها، فتشهد لك أن حكمة الله وسموه غير المحدود فوق إدراكك. تطلع إلى السحاب فتدرك كمالات الله.

هنا يبدأ أليهو أنه يجيب على أيوب مظهرًا إنه يستحيل عليه إدراك حكمة الله، فإن علو السماوات يشهد بذلك. كأنه يسأله: أتقدر أن تحلق في السماوات وتبلغ السحاب؟ فإن الله هو خالقها، أسمى وأعظم وأعلى من السماوات ومن السحاب.

هكذا أليهو مثل أليفاز يُظهر أن الله أسمى من الطبيعة التي تسمو على فكر الإنسان.

من لا يقدر أن ينظر بعينيه إلى السماء ويدرك أسرارها، كيف يمكنه أن يبلغ بفكره إلى عرش الله، ويدرك أسرار خطته؟

"فإن أكثر أعمال الرب في الخفاء أعمال العدل من يخبر بها، أو من يحتملها. إن العهد بعيد والفحص عن الجميع يكون عند الانقضاء" (سيراخ 16: 22)

"يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء؟!" (رو 11: 33)

"لأنه كما علت السماوات عن الأرض، هكذا علت طرقي عن طرقكم، وأفكاري عن أفكاركم" (إش 55: 9)

لا يستطيع أحد أن يؤذي إنسانًا ما لم يؤذِ هذا الإنسان ذاته.

❖ يلزم تكريم أعمال خالقنا على الدوام دون فحصٍ، فإنها لن تكون ظالمة.

فإن من يبحث عن علة مشورته السرية لا يُحسب هذا إلا مقاومة من الإنسان ضد مشورته في كبرياءٍ.

فعندما لا يمكن للإنسان أن يكتشف دافع أعمال الله يلزمنا أن نصمت في تواضعٍ، خاضعين لأعماله، لأن الحواس الجسدية ليست على مستوى يمكنها أن تخترق أسرار جلاله...

يضيف فيما بعد بولس: "ألعل الجبلة تقول لجابلها: لماذا صنعتني هكذا؟" (رو 9: 20)

البابا غريغوريوس (الكبير)

يتحدث أليهو عن سمو الله الفائق. فإن سلوك الإنسان سواء كان صالحًا أو شريرًا لا يؤثر على الله [ع 6–8]. هذا وإن كان برّ الإنسان أو شره ليس لخدمة الله ولا يسئ إليه، غير أن لهما فاعليتهما على الحياة البشرية. لهذا فإنه ليس من ضرورة أن يتعامل مع البرّ كأنه خطية يلزم العقاب عنها.

إِنْ أَخْطَأْتَ، فَمَاذَا فَعَلْتَ بِهِ؟
وَإِنْ كَثَّرْتَ مَعَاصِيَكَ،
فَمَاذَا عَمِلْتَ لَهُ؟ [6]

لن يؤذيه شيء من ممارستك للخطية حتى إن ضاعفتها مرارًا (إر 7: 19؛ أم 8: 36).

❖ مثل هذه الكلمات يلزم ألا تقال للطوباوي أيوب الذي يعرف حقائق أعظم، لكن ما قيل هو حقيقي، وهو أن خطايانا لا تؤذي الله، ولا أعمالنا الصالحة تعينه في شيءٍ.

البابا غريغوريوس (الكبير)

3. الله في غير حاجة إلى بِرّنا

إِنْ كُنْتَ بَارًّا فَمَاذَا أَعْطَيْتَهُ،
أَوْ مَاذَا يَأْخُذُهُ مِنْ يَدِكَ؟ [7]

لن ينتفع الله شيئًا من ممارستك البرَّ، ليس لديك شيء يحتاج إليه الله لتهبه إياه (مز 16: 2؛ أم 9: 12؛ لو 17: 10).

لِرَجُلٍ مِثْلِكَ شَرُّكَ،

وَلِابْنِ آدَمٍ بِرُّكَ [8].

شرك يؤذيك أنت كإنسانٍ، ولا يؤذي الله، لأن شرّك يعزلك عن الله مصدر السعادة. فأنت كإنسانٍ تؤذي نفسك وقد تؤذي غيرك من البشر بشرِك، وتنتفع وتفيد إخوتك ببرّك بكونك ابنًا للبشر.

❖ شر الإنسان يضر ذاك الذي يفسده الشر بالضلال، مرة أخرى برّنا ينفع من يتحول عن شره.

❖ إذ يُحزن الأشرار الصالحين يحررونهم بالأكثر من شهوات هذا العالم. بينما يجمعون أعمالاً وحشية عليهم هنا، يدفعونهم للإسراع نحو السماء... هذا هو السبب لماذا يُسمح للأبرار أن يسيء إليهم الأشرار، حتى ينصتوا إلى البركات العتيدة فيشتهوها ويحتملوا الشرور الحاضرة المريعة، وبينما يدعوهم الحب إذ بالآلام تسحبهم إلى هروب سريع.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ ماذا إذن؟! ألاَ يصيب الأذى من يتعرض للافتراءات ويقاسي من نهب الأموال، فيحرم من خيراته ويطرد من ميراثه ويناضل في فقر فادح؟!

لا، بل ينتفع إن كان وقورًا. لأنه هل أضرت هذه الأمور الرسل؟ ألم يجاهدوا دائمًا مع الجوع والعطش والعُري؟! وبسبب هذه الأمور صاروا مُمجدين ومشهورين وربحوا لأنفسهم معونة أكثر من الرب؟!

❖ إنني لم أقل إنه لا أحد يضر غيره، بل لا أحد يصيبه ضرر م ن غيره. وكيف لا أحد يصيبه ضرر من غيره مادام كثيرون يضرون غيرهم؟!...

إخوة يوسف مثلاً أضروا يوسف، لكن يوسف نفسه لم يصبه الضرر.

وقايين ألقى بشباكه لهابيل، ولكن هابيل لم يسقط فيها. وهذا هو السبب الذي لأجله وجدت التأديبات والعقوبات.

فلله لا يرفع العقوبة عن مدبر الضرر لمجرد صلاح محتمل الضرر، بل يؤكد عقوبته بسبب شر صانع الإثم. فإنه بالرغم من أن الذين يسقط عليهم الشر، يصيرون أكثر مجدًا على حساب المكائد المدبرة ضدهم، لكن هذا لم يكن في نية مدبري الشر، إنما بسبب شجاعة من هم ضحيتهم. لذلك فإن الأخيرين تعد لهم أكاليل الحكمة، أما الأولون فتعد لهم

جزاءات شرورهم.

هل سُلبت أموالك؟ أذكر تلك الكلمات "عريانًا خرجت من بطن أمي وعريانًا أعود إلى هناك" (أي 1: 21). وأضف إليها كلمات الرسول: "لأننا لم ندخل العالم بشيء وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء" (1 تى 6: 7).

هل أُسيء إلى سمعتك، وحملك البعض بشتائم لا حصر لها؟ اذكر العبارة القائلة: "ويل لكم إذ قال فيكم جميع الناس حسنًا" (لو 6: 26). وأيضًا إن: "قالوا عليكم كلمة شريرة... افرحوا وتهللوا" (مت 5: 11).

هل أُخذت إلى المنفي؟ أذكر أنه ليس لك هنا موضع بل إن كنت حكيمًا يلزمك أن تنظر إلى العالم كله كأرض غربة.

هل أُصبت بمرض خطير؟ أقتبس ما يقوله الرسول: "إن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يومًا فيومًا" (2 كو 4: 16).

هل يعانى إنسان من موتٍ عنيفٍ؟ ليذكر يوحنا الذي قطعت رأسه في السجن وأخذت في طبق وقدمت مكافأة عن رقص زانية.

تأمل المكافأة التي تنالها على حساب هذه الأشياء، فإن كل هذه الآلام عندما تسقط ظلمًا من إنسان على آخر تنزع خطايانا وشرنا (إذ نتقبل الظلم بلا تذمر مؤمنين بالله مترجين الحياة الأخرى، فتعمل هذه الأمور على تزكيتنا). إذن عظيم هو نفع هذه الأتعاب بالنسبة للذين يحتملونها بشجاعة![Ñ]

القديس يوحنا الذهبي الفم

مِنْ كَثْرَةِ الْمَظَالِمِ يَصْرُخُونَ.

يَسْتَغِيثُونَ مِنْ ذِرَاعِ الأَعِزَّاءِ [9].

إن كان الشر لا يؤذي الله في شيء، إلاَّ أنه يؤذي بني البشر، إذ يصرخ المظلومون وسط الجموع وذلك من عنف المقتدرين، أصحاب السلطة (الأعزاء). يضغط الأغنياء الأشرار بأيديهم العنيفة على المساكين البائسين، يصرخون عاليًا من مضطهدين وليس من يُهدئ من نفوسهم، لأنهم لا يلجأون إلى الله.

يصعب الربط بين هذه العبارة والحديث السابق. لكن يبدو أن أليهو يستعرض قضية

[Ñ] لا يستطيع أحد أن يؤذي إنسانًا ما لم يؤذِ هذا الإنسان ذاته.

عامة في المجتمع، أشار إليها أيوب نفسه (أي 24: 12)، حيث يرى أن الله لا يتدخل سريعًا لينقذ المساكين من أيدي الأشرار القساة. كثيرون يسحقهم الطغاة، والله لا يتدخل. لقد حسب أيوب أن هذه القضية العامة تمسه شخصيًا حيث كاد أصدقاؤه أن يسحقوه تحت أقدامهم. وحسب أليهو هذا الفكر إهانة موجهة ضد الله القدير ورعايته وحبه. وجد نفسه ملزمًا أن يقدم شرحًا لهذه الظاهرة.

يجيب أليهو على التساؤل: لماذا لا يستجيب الله لصرخات الأبرار المتألمين، ليعينهم ضد الظالمين؟ يعلن أليهو أن عدم استجابة الله للصلاة سرّها أن الذي يصلي لا يبالي بالتمتع بالله، كل ما يشغله هو الانتفاع من الله. إنها ليست صلاة حقيقية غايتها التمتع بنور الحضرة الإلهية، إنما هي صرخة طبيعية تصدر عن الألم، كما يصرخ الطائر والحيوان [١٠-١١]. صلواتنا للخلاص من الأشرار صلوات فارغة [١٢-١٣].

حينما يصرخ الإنسان في ضيقته يظن كأن الله لا يسمع، لكنه يسمع، وقد لا يستجيب **بسبب كبرياء الصارخ، أو كذبه.**

❖ بحق يمكننا أن ندعو الأشرار " **ظالمين**"، ليس فقط الذين يفسدون خيراتنا الخارجية، بل والذين يسعون بعاداتهم الشريرة ومثال حياتهم الفاسدة أن يبددوا كنوزنا الداخلية. فإنهم لا يهاجمون الأمور المحيطة بنا، لكنهم يطلبون أن يفترسونا من الداخل.

من يهاجم فضائلنا بسلوكه الشرير هو ظالم خطير أكثر من الذي يسيء إلى خيراتنا بالظلم العنيف ضدنا. فإنه وإن كان لا يأخذ شيئًا من مواردنا، لكنه يصنع أمامنا أمثلة للدمار.

إنه يمارس ظلمًا أثقل حيث يثير قلوبنا الهادئة بالتجربة. حتى وإن كان لا يُلزمنا بمحاربة سلوكه الشرير، إلا أنه يضغط علينا بإثارة التجربة، فنعاني من ظلمٍ شديدٍ من حياته، حيث نعاني في الداخل بأمورٍ نتغلب عليها بصعوبة.

ولما كانت حياة الشرير المرتبطة بالعالم تؤذينا، حسنًا قيل: "**بكثرة الظالمين يصرخون**" [9]... "**يولولون من قدرة ذراع الطغاة** " [9]... فإن من يرغب في أن يرهبنا لكي يدفعنا إلى الخطية، يهيج علينا بذراع طاغية. الحث على الرذيلة خلال سلوك (إنسانٍ شريرٍ) شيء، والإلزام بها بالرعب شيء آخر.

البابا غريغوريوس (الكبير)

4. لنصرخ إلى الله وسط الضيق

وَلَمْ يَقُولُوا: أَيْنَ اللهُ صَانِعِي،
مُؤْتِي الأَغَانِيِّ فِي اللَّيْلِ؟ [10]

سرّ هذه المشكلة: أي عدم تدخل الله لإنقاذ المساكين من أيدي الظالمين هو أنهم لا يلجأون إلى الله، بل يلجأون إلى الشكوى والتذمر على الله، والاتكال على الأذرع البشرية. يقول أليهو إن هؤلاء الذين صاروا تحت أقدام القساة في نكبات مرة لا يصرخ أحد منهم قائلاً: أين هو إلهي الذي خلقتي ليحول ليلة النكبات إلى حفل بهيج وأغنية تملأ قلبي بالبهجة.

الله مستعد للتدخل لكنه لا يُقحم نفسه؛ بل يترقب دعوته من المساكين ليهبهم تعزياته الإلهية ويحطم الشباك المنصوبة للمساكين (راجع أع 16: 25؛ مز 126: 1-2).

يشير الليل في الكتاب المقدس أحيانًا للخطية، وأحيانًا للضيقات والنكبات التي تحول حياة الإنسان كما إلى ليلٍ مُظلمٍ مخيفٍ.

جاءت الترجمة السبعينية: " **الذي يقيم حراس الليل**"، أي يرسل ملائكته وسط ليل النكبات لإنقاذ الذين يلجأون إليه.

من يلجأ إلى الله في أفراحه وفي ضيقاته يتمتع بالسلام السماوي في النهار كما بالليل، وتتحول حياته إلى سيمفونية مفرحة، وتسبحة لا تنقطع.

الَّذِي يُعَلِّمُنَا أَكْثَرَ مِنْ وُحُوشِ الأَرْضِ،
وَيَجْعَلُنَا أَحْكَمَ مِنْ طُيُورِ السَّمَاءِ [11].

يحزن أليهو على ما بلغ إليه الإنسان العاقل بتجاهله خالقه واهب الفهم والحكمة، القادر أن يخلص إلى التمام. ففي غباوة يرفض تعليم الله وإرشاده وقيادته، فصار أقل من وحوش الأرض وطيور السماء.

يقول الرب على لسان إشعياء: "الثور يعرف قانيه، والحمار معلف صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرفني، شعبي لا يفهم" (إش 1: 3). وحوش الأرض والطيور وأحيانًا السمك تعرف وتقدم تشكرات لليد التي تمتد لتطعمها، أما الإنسان العاقل الذي ينال الكثير من خالقه لا يبالي به، ولا يتطلع إلى يديه المترفقتين به.

يدعونا الكتاب المقدس أن نتعلم حتى من النملة التي تسلك أحيانًا بحكمة أكثر من الإنسان صاحب العقل والقدرات الفائقة.

ضربات عدو الخير خطيرة، فهو يود أن يسحبنا إلى الملذات الزمنية ويستعبدنا للشهوات خلال الحياة الجسدانية، فإن لم نتجاوب معه ونطلب المعرفة الصادقة يضرب قلوبنا بالكبرياء، فيفسد فهمنا وحكمتنا. لذلك يؤكد المرتل الحاجة إلى الفهم والحكمة مع التواضع. "إنسان في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي تُباد" (مز 49: 20). ومن جانبٍ آخر يقول الرسول بولس: "لأنهم لما عرفوا الله لم يجدوه أو يشكروه كإله، بل حمقوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبي"... لذلك أسلمهم الله أيضًا في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم" (رو 1: 21، 24).

❖ وحوش الأرض هم أولئك الذين يطلبون السفليات خلال الحياة الجسدانية، وأما طيور السماء فهم الذين يطلبون العلويات في غيرة حب الاستطلاع المتعجرف.

البابا غريغوريوس (الكبير)

5. لنصرخ في تواضعٍ بلا تذمرٍ

ثُمَّ يَصْرُخُونَ مِنْ كِبْرِيَاءِ الأَشْرَارِ

وَلاَ يَسْتَجِيبُ [12].

للأسف يصرخ هؤلاء المساكين المصابون بالنكبات، ولا يُستجاب لهم؛ لأنهم لا يصرخون إلى الله بروح التواضع، بل في شكوى وبتذمر في كبرياءٍ شريرٍ.

هنا يقدم لنا سببًا آخر لعدم تدخل الله: الأول كما رأينا أنهم لا يصرخون إليه، والثاني أنهم يصرخون ولكن بروح التذمر، فلا ينالون شيئًا لا يسمع لهم الله حتى يحل التواضع في قلوبهم عوض الكبرياء، مقدمين صلوات الندامة والتوبة (مز 10: 4؛ إر 13: 17).

❖ غالبًا ما يحدث أنه إذ يُستغرقوا في تجربة يتوقعون أن السماء تهبهم تعزية حتى أثناء حياتهم. إذ يشتهون الخلاص، لا لأجل أنفسهم، وإنما من أجل المضادين لهم. يريدون من الله القدير أن يخلصهم من المخاطر المحيطة بهم بعمل معجزة لكي يعلن الله قدرته حتى للظالمين. إنهم يشتهون أن يخلص الله مقاوميهم أبديًا بذات الوسيلة التي تخلص بها شبه في هذا العالم. وكما يقول النبي أيضًا على لسان الشهداء: "من أجل أعدائي خلصني" (مز 69: 18). وكأنه يقول: "من أجل نفسي لا أطلب الخلاص من التجربة الزمنية، إنما أطلب الخلاص لأجل مقاومي".

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ للصلاة شروط لكي تُستجاب، منها:

أن يكون طلبنا وفقا لإرادة الله (مت 26: 39)، مع الثبات واللجاجة (لو 11: 8)، وأن ندرك إرادة الله أن نصلح سيرتنا قبل الاستجابة (إش 1: 15).

ومنها الشعور بعدم استحقاقنا لما نطلب (1 أي 17: 4)، أو عدم استحقاق من نطلب لأجله (إر 14: 11).

ومنها أن عدم الاستجابة أفضل من الاستجابة (2 كو 12:7)... **أما إذا تحققت كل الشروط فلا شك أن الله يستجيب صلاتنا**[4].

القدِّيس باسيليوس الكبير

وَلَكِنَّ اللهَ لاَ يَسْمَعُ كَذِبًا،
وَالْقَدِيرُ لاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ [13].

حتمًا الله لا يسمع للصرخات أو الطلبات الباطلة أو الكاذبة وللقلوب الجاحدة غير الشاكرة. فحيث لا يوجد إخلاص أو إيمان أو شكر لا ترتفع الطلبة إلى الله. يقول النبي: "عيناك أطهر من أن تنظرا الشر، ولا تستطيع النظر إلى الجور" (حب 1: 13).

فَإِذَا قُلْتَ إِنَّكَ لَسْتَ تَرَاهُ،
فَالدَّعْوَى قُدَّامَهُ،
فَاصْبِرْ لَهُ [14].

يطالب أليهو أيوب أن يثق في الله. هنا يبدو أنه يشير إلى ملاحظة قدمها أيوب (أي 23: 8)، حيث قال إنه لم يقدر أن يقترب إلى الله، ولا أن يقدم قضيته إليه. ذهب شرقًا، وغربًا، وشمالاً، وجنوبًا، ولم يستطع أن يراه، ولا وجد فرصة لعرض قضيته أمامه. هنا يوضح أليهو أن بالحقيقة الله غير منظور، لكن هذا لا يعني أنه لا يبالي بشئون البشر، أو أنه لا يستحق أن نثق فيه ونحبه. فالله يهتم بالبشرية ويقضي بالعدل والبرّ، وكل الأمور مكشوفة أمامه. يليق بنا أن ننتظر في صبرٍ، فهو يقضي حتمًا في الوقت المناسب.

❖ "لأن الرب لا يرغب أن يتطلع على الأخطاء، إذ هو القدير، يلاحظ كل الذين يمارسون أعمالاً ضد الناموس ويخلصني. إنك تترافع أمامه إن استطعت أن تسبحه، الأمر الممكن حتى الآن (راجع أي 35: 13 –14). فإن **الرب ليس فقط لا يريد أن يفحص الأخطاء،**

---

[4] *Reg. Brev. 261.*

وإنما لا يرغب حتى في التطلع إليها، كما يقول نبي آخر: "أنت يا من لك عينان أطهر من أن تنظرا إلى الشر، ولا تقدران أن تطلعا على الخطأ"... ها أنتم ترون أية عناية إلهية هذه! أية حماية! أي حنو هذا! فإنه لا ينتقم ولا يشمئز من الأعمال![5]

القديس يوحنا الذهبي الفم

وَأَمَّا الآنَ فَلأَنَّ غَضَبَهُ لاَ يُطَالِبُ،
وَلاَ يُبَالِي بِكَثْرَةِ الزَّلاَّتِ [15].

يرى البعض أن المعنى هنا، أن ما يحل بالشخص من نكبات تبدو كأنها لا شيء بجانب ما يستحقه الإنسان من عقوبة. فإن كان الله يفتقد الإنسان بالغضب خلال التأديبات التي يسمح بها، فإنها تأديبات خفيفة جدًا وهينة إن قورنت بالمعاصي التي نرتكبها.

"**ولا يبالي (يعرف) بكثرة الزلات**"، هنا الحديث عن الله الذي لا يجازي هنا عن كل ما نفعله من زلات، وكأنه يغض النظر عنها أو لا يعرفها، حتى لا تثقل يد التأديب علينا. في تأديبه لنا يحنو ويترفق حتى وإن حسبنا هذا التأديب قاسيًا للغاية.

❖ الله الذي يدين إلى الأبد يطيل أناته إلى وقت طويل. إن كان يطيل أناته في جلب غضبه، فلأنه يحفظه ليسكبه فيما بعد بلا نهاية. **الألم هنا هو نصيب المختارين ليهيئهم لنوال المكافأة السماوية. إنه نصيبنا أن نتقبل جلدات هنا إذ يحفظ الفرح الأبدي لنا.**

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لتفرح وأنت تحت الجلدات، فإن الميراث محفوظ لك، لأنه لا يطرد شعبه. هو يؤدب إلى حين، ولا يدين إلى الأبد[6].

القديس أغسطينوس

❖ إني أختار أن يفتقد الرب خطاياي ويُصلح معاصيَّ هنا في هذا العالم، حتى يقول لي إبراهيم هناك ما قاله عن لعازر المسكين في حديثه مع الغني: "يا ابني أذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك، وكذلك لعازر البلايا، والآن هو يتعزى وأنت تتعذب" (لو 16: 25). لهذا السبب عندما يوبخنا الرب ويؤدبنا، يلزمنا ألاَّ نكون جاحدين. إذًا لندرك أن توبيخنا في الوقت الحاضر لكي ننال تعزية في المستقبل. وكما يقول الرسول: " **إذ قد حُكم علينا نؤدب**

---

[5] *Commentary on Job 35.*
[6] *On Ps. 94 (93).*

من الرب لكي لا نُدان مع هذا العالم " (1 كو 11: 32). لهذا السبب قبِل أيوب أيضًا بإرادته كل آلامه قائلاً: "**أالخير نقبل من عند الله، والشر لا نقبل؟**" (أي 2: 10)[7].

العلامة أوريجينوس

فَغَرَ أَيُّوبُ فَاهُ بِالْبَاطِلِ،
وَكَبَّرَ الْكَلاَمَ بِلاَ مَعْرِفَةٍ [16].

خرج أليهو بهذه النتيجة أن أيوب فتح فاه وصرخ، لكن بتذمره حُسبت كلماته وصرخاته باطلة وبلا فهم. شكوى أيوب – في عيني أليهو – لغو لا قيمة لها، وبلا معرفة أو فهم، لأنها حملت اتهامات ضد تدبير الله.

من وحي أيوب 35

لماذا ثقلت يدك عليّ؟!

❖ في ضعفي البشري كثيرًا ما أتساءل:
لماذا ثقلت يدك عليّ؟
لماذا تسمح بالضيق لمؤمنيك؟
لماذا تسمح للأشرار أن ينتصروا ويتهللوا؟

❖ أجبتني يا كلي الحب بلغة العمل لا الحوار،
باسمي ولحسابي دخلت بستان جثسيماني.
وأنتِ ضابط الكل بدأت تدهش وتكتئب.
عوضًا عني قلت: نفسي حزينة جدًا حتى الموت.
خررت على الأرض، يا من تسجد لك كل القوات السمائية.
قلت لله أبيك: يا أباً الآب، كل شيءٍ مُستطاع لك،
فأجز عني هذه الكأس.
ولكن، ليكن لا ما أريد أنا، بل ما تريد أنت (مر 14: 36).

---

[7] *On Exodus, homily 8.*

❖ ثبتني فيك فأنطق بما نطقت، وأطلب ما طلبت،
وأحمل فكرك في داخلي!
فأقبل معك الضيق حتى عار الصليب!
أرافقك طريق الجلجثة، فتستريح نفسي.

❖ ماذا تطلب مني وسط أتون الضيق؟
تطلب أن ترى وجهي وتسمع صوتي.
أعترف لك: لقد حوّلت وجهي إلى العالم.
ليرده روحك القدوس، فيتطلع إليك.
حوّلت حواري إلى الناس،
ظننت أنهم قادرون على خلاصي،
لكن تخرج روحهم، فيعودون إلى ترابهم.
لأصرخ إليك، فأنت برجي الحصين.
تحوط بي الضيقة، لكنها لا تتسلل إلى نفسي!
من الخارج مرارة وكآبة، لكن في الداخل تهليل بك، يا أيها السماوي!

❖ في تواضعٍ صرخت، يا أيها الابن الوحيد،
مع أنك واحد مع أبيك في ذات الجوهر،
وإرادتك هي ذات إرادته،
سلمت له إرادتك لتعمل إرادته فيك.
هب لي روح التواضع، فيصرخ قلبي إليك:
لتكن إرادتك، كما في السماء كذلك على الأرض!

❖ مرحبًا بالضيق مادام بسماحٍ منك.
أختبر شركة الآلام والصلب معك.
أتذوق تحويل وجهي إليك،
أراك فأتهلل، ولا تقدر قوة أن تفصلني عنك!
أصرخ إليك من أعماقي،

طالبًا أن تعمل إرادتك فيّ!
لك المجد يا أيها العجيب في صلاحه،
وكلي الحكمة في خططك من نحوي!

اَلأَصْحَاحُ السَّادِسُ وَالثَّلاَثُونَ

حديث أليهو الرابع

أليهو يمجد برّ الله، ويهيئ الطريق لظهور الله

في الأحاديث السابقة وبخ أليهو أيوب على أسلوبه غير اللائق في حواره مع أصدقائه الثلاثة، ولم يكن لدى أيوب ما يجيب به على أليهو، فالتزم الصمت. الآن يتحدث أليهو بصفة عامة لكي يوضح لأيوب المفاهيم الصحيحة بخصوص التعامل معه.

يكمل أليهو حديثه هنا ليوضح أن القدير لن يكف عن أن يحقق العدالة بين البشر دون تحيز [2–6]. فإنه يعمل دومًا لبنيان الأبرار، وإن كان يؤدبهم أحيانًا، ولكن في حبٍ. فإن خضعوا لتأديباته الأبوية يتمتعوا بالخيرات، أما أن تذمروا وتمردوا ولم يخضعوا له، فيُذلون ويكونون موضع غضبه [7–16].

فإن قبل التأديب يمكن أن يرجع أيوب إلى حاله الأول، أما مقاومته لتأديب الرب فيجعل منه مثلاً لعدالة الله مع المقاومين [17–18]. هكذا ينذره أليهو لئلا يقطعه الرب وهو في حالة التمرد، فلا تفديه ثروة ولا قوة ولا أمر منا [18–26]. الله كلي القدرة، ليس من يقدر أن يقاومه، وكلي الحكمة، ليس من يفلت من يديه. إنه كلي النقاوة، حتى تظهر الشمس أمامه خافته جدًا، أصغر من شعاع بسيط أمام كوكب عظيم منير. قداسته تظهر من كراهيته للإثم، وصلاحه يظهر من إشباعه لاحتياجات خليقته.

1. مقدمة **1–4.**

2. طرق معاملة الله مع أولاده **5–15.**

3. مشورة صالحة لأيوب **16–21.**

4. الله يعلِّم ولا يلزم بقبول تعليمه **22–23.**

5. عظمة أعمال الله **24–26.**

6. العاصفة والمطر **27–31.**

7. نشيد للحكمة القديرة **32–33.**

1. مقدمة

جاء وصف أليهو لقوة الله في العاصفة يسبق مباشرة مجيئه وحديثه مع أيوب. العاصفة والمطر هما وكالتا الله للدينونة والبركة [٣١].

وَعَادَ أَلِيهُو فَقَالَ: [1]

أَصْبِرْ عَلَيَّ قَلِيلاً،
فَأُبْدِيَ لَكَ أَنَّهُ بَعْدُ لأَجْلِ اللهِ كَلاَمٌ [2].

يطلب أليهو من أيوب أن يطيل أناته عليه، ويستمع إليه، فإن لديه براهين أخرى يتذرع بها بخصوص عدالة الله وعنايته.

أَحْمِلُ مَعْرِفَتِي مِنْ بَعِيدٍ،
وَأَنْسِبُ بِرًّا لِصَانِعِي [3].

يعلن أليهو أنه يحمل معرفته، أو يحفرها كنقشٍ لا يُمحى. يأتي بها من بعيد، لا من مكان بعيد، وإنما من أعمال الله القديرة. وأنه ينسب البرّ لله، بينما يعتقد أن أيوب ينسب له الظلم (أي 34: 10-12).

كأنه يقول: ما سأقوله لك ليس بالأحاديث العامة التي يعرفها الكثيرون، إنما هي ثمرة بحث وإدراك لأعمال الله الفائقة، التي غابت عن الكثيرين.

ولعله يقصد أن معرفته تمتع بها من بعيد، أي من الله كعطيةٍ خاصة.

حَقًّا لاَ يَكْذِبُ كَلاَمِي.
صَحِيحُ الْمَعْرِفَةِ عِنْدَكَ [4].

يؤكد له أنه لن يتكلم كلامًا بطالاً مثل أصدقائه الثلاثة بل ينطق بالحق، وأنه صاحب معرفة كاملة.

لا يستخف الله بأحدٍ جادٍ، بل يمجد الأبرار، حتى إن سقطوا تحت متاعب. يظهر لهم خطاياهم، ويصلح من أمرهم إن تابوا، ويسمح بهلاكهم إن رفضوا التوبة [٥-١٢]. يسمح الله بالألم لأجل التعليم والتهذيب [15].

يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن أليهو حاول أن يمدح نفسه مثل القديس بولس ليؤكد أنه يقدم حقائق عظيمة، وأن أيوب سيعرف ذلك فيما بعد.

❖ حتى الأبرار كثيرًا ما يميلون إلى مديح ما يقولونه عندما يرون أن السامعين الضعفاء لا

يستوعبون كلماتهم. هذا ليس لأنهم شغوفون نحو مديحهم، وإنما لكي يلهبوا سامعيهم برغبة حارة للاستماع إليهم... هكذا يقول القديس بولس لأهل كورنثوس بعد أن تحدث عن أشياء كثيرة عجيبة: "فمنا مفتوح إليكم أيها الكورنثيون، قلبنا متسع"(2 كو 6: 11).

البابا غريغوريوس (الكبير)

2. طرق معاملة الله مع أولاده

هُوَذَا اللهُ عَزِيزٌ،

وَلَكِنَّهُ لاَ يَرْذُلُ أَحَدًا.

عَزِيزُ قُدْرَةِ الْقَلْبِ [5].

الله قدير من جهة القوة والحكمة؛ ليس من أحد مهما كان قدره يحتقره الله، يطلب الكل ويهتم بالجميع، ليحقق لكل شخصٍ العدالة، ولا يتركه مظلومًا. يؤكد أليهو ما سبق فأعلنه (أي 35: 14).

عمل السيد المسيح القدير أن يسند الضعفاء ويهبهم القوة، ولا يستخف بالأقوياء. فإن الرب لا يطرد الأقوياء، لأنه هو نفسه القدير. إنما إن طرح طالبي المجد الذاتي، إنما ليهبهم نعمة التواضع، فينالون من فيض قدرته وقوته، مترنمين: "لأن ياه يهوه قوتي وترنيمتي، وقد صار لي خلاصًا". (إش 12:2)

يريد الله القدير أن يرى في أولاده روح القيادة والقدرة، فهو لا يرذل الأعزاء أصحاب السلطة. وقد أدرك الرسول بولس المتواضع هذا، فيقول بكل يقين: "أبعصا آتي إليكم، أم بالمحبة وروح الوداعة" 1كو 4: 21).

❖ القائد (الحاكم) يرغب بالحق أن يتمثل بالله إن كان يدير قوته السامية بهدف نفع الآخرين.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لاَ يُحْيِي الشِّرِّيرَ،

بَلْ يُجْرِي قَضَاءَ الْبَائِسِينَ [6].

يظن الأشرار أنهم يحيون باغتصاب حقوق الآخرين والتمتع بالملذات، والسخرية بالأبرار، لكنهم في الحقيقة لا يحيون، إذ يحل بهم الموت الأبدي، أما الأبرار المتواضعون وإن بدت حياتهم مرّة بسبب الضيقات، فحتمًا سيتمتعون بالعدالة الإلهية.

يقصد بالبائسين هنا المساكين والضعفاء الذين يظنون أنه ليس من أحدٍ يسندهم

ويدافع عنهم ضد الأغنياء وأصحاب السلاطين، فإن الله نفسه يقضي لهم، ويرد لهم حقوقهم.

❖ "لكنه لا يخلص الشرير، ويجري قضاء للمساكين" [6]. غالبًا ما يميل الكتاب المقدس إلى دعوة المتواضعين "المساكين". وقد أشير إليهم في الإنجيل هكذا مع إضافة: "بالروح" حيث قيل: "طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السماوات" (مت 5: 3)... يهلك الله المتكبرين، ويحرر المتواضعين بقضائه. أو يقضي للمساكين، لأنهم يُظلمون بطريقة شريرة الآن، ويأتون فيما بعد قضاة على ظالميهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لاَ يُحَوِّلُ عَيْنَيْهِ عَنِ الْبَارِّ،
بَلْ مَعَ الْمُلُوكِ يُجْلِسُهُمْ عَلَى الْكُرْسِيِّ،
أَبَدًا فَيَرْتَفِعُونَ [7].

لا تفارق عينا الرب الأبرار، سواء كانوا أغنياء أو فقراء، في مراكز عالية أو منحطة. إنهم كالكنز الثمين في عيني الله، قد يسمح لهم بالتجارب لكنه لن ينساهم، ولن يتجاهلهم. إنهم يتمتعون بنوعٍ من الكرامة والسلطة، ويحُسبون ملوكًا بينما يتطلع العالم إليهم كمن هم محتقرين ومرذولين وبلا كرامة.

يهبهم الله سلطانًا في هذا العالم، كما يثبتهم إلى الأبد في سلامٍ سماويٍ فائقٍ.

إنه لا يترك الأتقياء (1 بط 3: 12)، بل يكرّمهم (1 صم 2: 8؛ مز 113: 7-8). ينالون كرامة جزئية هنا (1 بط 2: 9؛ 1: 6)، وكرامة كاملة في الدهر الآتي (رؤ 5: 10؛ أي 22: 5).

❖ يُظن أحيانًا أن الله يسحب عينيه عن الأبرار لأنهم يُجرحون هنا بظلم الأشرار دون الانتقام منهم. إنه يحلّ عبيده بالأكثر عندما يحل بهم ظلم مضطهدهم. إذ يراهم يحتملون في تواضع. يتطلع بلا شك إلى المكافأة التي سيهبهم إياها هناك. بهذا لا يحّول عينيه عن الأبرار.

أنظر كيف أن الواحد يئن في تواضعه، والآخر يتشامخ ويزدهر في شره. واحد يُخدش قلبه، والآخر يفتخر بكبرياء في شره. أيهما تحوّل عينا الله بالأكثر عنه: من يعاني من الظلم أم من يسقط الظلم عليه ممن يضطهدهم؟...

بلياقة يُدعى القديسون ملوكًا في لغة الكتاب المقدس، إذ يرتفعون فوق العواطف

الجسدية ويضبطون ملذات الشهوة، ويلطفون من لهيب الطمع، ويحنون تشامخ الكبرياء، ويسحقون اقتراحات الحسد، ويطفئون نار الهوى.

إنهم ملوك لأنهم يتعلمون ألا يستسلموا لانفعالات التجارب بقبولها، بل يسيطرون عليها...

إنهم يوُضعون إلى الأبد على عرش ملكوت المجد الأبدي، ويتقبلون سلطان إدانة الآخرين... هكذا يقول الرب لكنيسة لاودكيا: "من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي، كما غلبت أنا أيضًا وجلست مع أبي في عرشه" (رؤ 3: 21)...

إنه ليس بالأمر المتضارب أن يعلن في موضع آخر أن تلاميذه سيأتون على اثنى عشر عرشًا (مت 19: 28)، ويقول هنا إنهم يجلسون على عرشه. يوضح بالاثني عشر عرشًا الدينونة العامة، وبعرش الابن يظهر السمو الخاص للسلطان القضائي.

البابا غريغوريوس (الكبير)

إِنْ أُوثِقُوا بِالْقُيُودِ،
إِنْ أُخِذُوا فِي حِبَالِ الذُّلِّ [8].

يصحح أليهو مفاهيم أصدقاء أيوب، فيقول إنه وإن أُلقي الأبرار في سجنٍ، وتعرضوا لمحاكمات ومضايقات قاسية، وإن قيدوا في سلاسل، وصار كمن أُلقوا على سرير الألم، وسُحقوا بنكبات ثقيلة، تبقى عينا الرب عليهم. فلا يُنظر إلى ما صاروا إليه كبرهانٍ أنهم كانوا مرائين، أو أن الله لا يبالي بهم. فإن لله خطة حكيمة بخصوص تأديب البشرية تنتهي بسعادة من يقبلون التأديب ومجدهم في الوقت المناسب.

❖ قيود العبودية هي الاحتجاز في الرحلة الحاضرة. رأى بولس أنه مقيد بهذه القيود عندما قال: "لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح" (في 1: 23). لقد أدرك أنه كان مقيدًا برباطات الفقر، متطلعًا إلى الغنى الحقيقي، طالبًا ذلك لتلاميذه أيضًا: "لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين" (أف 1: 18)... عندما نتعلم بالحب الكثير عن المجد السماوي، فإننا نشعر بثقل أكثر عندما نرتكب الخطايا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَيُظْهِرُ لَهُمْ أَفْعَالَهُمْ وَمَعَاصِيَهُمْ،
لأَنَّهُمْ تَجَبَّرُوا [9].

أظهر لهم حياتهم وأعمالهم الشريرة، وذلك بأن أرسل إليهم رسلاً أو أنبياء يعلنون لهم عن حالهم الشرير (أي 33: 23)، أو خلال تأملاتهم الهادئة ومراجعتهم لأنفسهم (أي 33: 27)، أو بعمل الروح القدس الذي يكشف لهم عن حياتهم. غاية أحزانهم وضيقاتهم – كما يقول أليهو – أن يجدوا الفرصة لاكتشاف حياتهم وإصلاح نقائصهم.

يظهر لهم أيضًا كيف صارت معاصيهم عظيمة وخطيرة. فقد ظنوا أنهم أقوياء وعظماء، عوض أن يتكلوا على الله الحيّ، لهذا لا يسندهم عندما تحل بهم الضيقات.

وَيَفْتَحُ آذَانَهُمْ لِلإِنْذَارِ،
وَيَأْمُرُ بِأَنْ يَرْجِعُوا عَنِ الإِثْمِ [10].

بقوله "**يفتح آذانهم**" يعني أنه يهبهم فهمًا أو يعلمهم أو يهبهم الرغبة في التعلم ليدركوا السبب الذي لأجله يؤدبون، ويأمرهم أن يعودوا من تلك الشرور التي جعلته يفتقدهم بالأحزان والضيقات.

إِنْ سَمِعُوا وَأَطَاعُوا،
قَضُوا أَيَّامَهُمْ بِالْخَيْرِ،
وَسِنِيهِمْ بِالنِّعَمِ [11].

إن سمعوا لصوته وعبدوه كما يليق، يقضون حياتهم في نجاحٍ وتمتلئ حياتهم بالسرور. بمعنى آخر إن أثمرت الضيقات توبة عن خطاياهم، وطلبوا مراحم الله وعبدوه، فإنهم يحيون في رخاءٍ. وكأن غاية الضيقات ليس تحطيمهم، وإنما رجوعهم إلى لله، لينعموا ببركاته ومراحمه، ويتمتعوا بالسعادة الحقيقية.

كأن أليهو يطالب أيوب ألاَّ يركز أنظاره على اتهامات أصدقائه فتتحطم نفسيته، وفي نفس الوقت لا يظن أن الله عنيف وقاسي، ولا يبرر ذاته أمام الله، بل يطلب التوبة، فينعم بالسعادة التي فقدها.

❖ يقصد "**بالخير**" السلوك المستقيم، أما " **بالمجد**" (بالنعم)، فيقصد المكافأة السمائية. الذين يتعلمون طاعة الوصايا الإلهية يقضون أيامهم بالخير، وسنيهم بالمجد.

البابا غريغوريوس (الكبير)

وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا، فَبِحَرْبَةِ الْمَوْتِ يَزُولُونَ،
وَيَمُوتُونَ بِعَدَمِ الْمَعْرِفَةِ [12].

أما إن تصلف الإنسان وتذمر على الله بسبب الضيقات، تضربه حربة الموت أو سيف الموت فيهلك، ويموت لا بسبب الضيقات، وإنما بسبب عدم المعرفة، أو بسبب غباوتهم.

تذمر الإنسان على الضيقات عوض توبته، لا يرفعها عنه، بل يجعلها تزداد ثقلاً فيتحطم بتذمره. لا يسحب الله يده التي تبدو ثقيلة بالتجارب القاسية حتى يرجع الإنسان إليه، ويكف عن التذمر والشكوى.

عادة يبدأ الله بالتأديبات الخفيفة، فإن أثمرت توبة يرفعها، وإن تقسى قلب الإنسان بالتذمر على الله اشتدت التجربة وتزايدت حتى يدرك ضعفه ويعود بالحكمة إلى الله.

❖ يوجد البعض لا تردهم حتى العذابات عن عادتهم الفاسدة. يقول النبي عنهم: "ضربتهم فلم يتوجعوا، عاقبتهم وأبوا قبول التأديب" (إر 5: 3). قيل عنهم تحت رمز بابل: "داوينا بابل فلم تُشفَ" (إر 51: 9). وأيضًا: "اقتل وأبيد شعبي، لم يرجعوا عن طرقهم" (راجع إر 15: 7). هؤلاء يصيرون إلى حالٍ أردأ بمعاقبتهم، لأنه إذ يحلّ بهم الألم إما يزدادون قسوة في عنادهم، أو ما هو أردأ أنهم يندفعون نحو التجديف في سخطٍ.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَمَّا فُجَّارُ الْقَلْبِ، فَيَذْخَرُونَ غَضَبًا.

لاَ يَسْتَغِيثُونَ إِذَا هُوَ قَيَّدَهُمْ [13].

يدعو أليهو المتذمرين على الله بالفجار في قلوبهم، أي الأشرار؛ هؤلاء عوض رفع غضب الله عنهم بالتوبة يجمعون بالأكثر غضبه. ومع أن الله في محبته يسمح بأن يقيدهم بالضيقات حتى يصرخوا إليه بروح التواضع، إلاَّ أنهم في عنادهم لا يلجأون إليه ولا يتواضعون قدامه.

بالضيقات يدعوهم الله ليقبلوا صداقته، ويتعرفوا على أسراره، ويدخلوا معه في حوار لائق، لكن من يتشامخ يدخل في عداوة مع الله، ويحكم على نفسه بالهلاك.

يقصد **بالفجار** هنا فئة من الأشرار يمارسون الشر في تحدٍ مع الله وعنادٍ ظاهرٍ، فيجمعون لهم غضب الله (رو 2: 5).

يرى البعض مثل *Umbreit* أن المقصود هنا ليس غضب الله، إنما يجمع الفجار الغضب ضد الله، فعوض الصراخ إليه يثورون ضده علانية.

إذ يتحدث هنا عن المرائين فإنهم بريائهم ليس فقط يستحقون السقوط تحت غضب الله

الذي يمقت الشر، وإنما بمحاولة الاختفاء تحت ستار البرّ الذاتي، وخداعهم للبشر بأنهم أبرار، يثيرون سخط الله، إذ هم يمارسون الشر عن معرفة، ويضيفون إلى الشر الخداع، وهي سمة عدو الخير المخادع. مثل هؤلاء المرائين يسقطون تحت تأديبات لعلهم يرجعون عن شرورهم، لكن غالبًا ما لا يبالون بالتأديبات مهما بلغت شدتها، كما لا يبالون بالعقوبة الأبدية، فلا يصرخون إلى الله كي يرجعوا إليه ويتركوا رياءهم. إنما كل ما يشغلهم هو تثبيت نظرة الناس نحوهم أنهم أبرار.

يمكننا أن نقسم البشر إلى ثلاث فئات:

1. **فئة الأشرار** الذين يصرون على الشر، ولا يخجلون من شرورهم، مهما حلت بهم التأديبات.

2. **فئة المرائين** الذين كل ما يشغلهم نظرة الناس إليهم، فيخفون شرورهم ولا يعترفو ن بها حتى وهم تحت التأديب.

3. **فئة المؤمنين الحقيقيين** الذين يعترفون بأنهم خطاة، ويؤمنون بالله غافر الخطية، هؤلاء يدفعهم التأديب إلي النمو الروحي عربون المجد الأبدي.

❖ "**أما المراءون والمخادعون فيثيرون غضب الله** " [13] من كان مرائيًا يرتبك بملاحظة نقطتين على الدوام: أن يتعلم بحيث أن يخفى الحقيقة التي هو عليها، وأن يستعرض ما هو ليس عليه، يطمس أخطاءه الحقيقية ويظهر صلاحًا غير حقيقي... عندما يشير إلى المرائين والمخادعين يضيف بلياقة شديدة لا أنهم مستحقون غضب الله وإنما يثيرونه لأن من يخطئ بجهالة يستحق غضب الله، أما من يقاوم وصاياه عمدًا وهو يعرف ما هو صالح ويستهين به مع قدرته أن يفعل الصلاح ولا يريد ذلك فهو يثير سخط الله...

"**لا يصرخون عندما يقيدون**" [13]. كل إنسانٍ شريرٍ لا يطلب أن يظهر مقدسًا عندما يحل به التأديب القاسي لا يخجل من أن يعترف بأنه شرير. أما الشرير الذي تستوقفه أحكام الإنسان بإظهار قداسة حتى عندما يُضرب بالعصا، يمتنع عن إظهار شره لأنه اعتاد أن يظهر قديسًا... لكننا نحن نكون " **مقيدين**" عندما تحضرنا ضربات العصا. إننا نستغيث بصوتٍ عالٍ عندما نُقيد، كلما اعترفنا بخطايانا، عندما نكون تحت الضربات. عندما تسقط ضربات التأديب على المرائين لا تحضرهم إلى اعتراف أمين. إنهم يخشون من أن يُفضحوا كخطاةٍ، إذا نظر الناس. حينما يُضربون الآن إلى النهاية ومع إدراكهم أنهم منقادون إلى عقوبة أبدية لكنهم لا يزالون يريدون أن يبقوا في نظر الناس كما هم، إذ تعلموا أن

يستعرضوا أنفسهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ الكل يرى اللص " الرياء" يحمل كل شيء أمام عينيّه ويبتهج بذلك! يا لها من لصوصيّة جديدة من نوعها، تجتذب الناس وتبهجهم بينما هم يُسلبون! [1]

❖ قد يوجد من يقدّم صدقته قدام الناس لكنّه يتحاشى التظاهر بها، ويوجد أيضًا من لا يقدّمها قدام الناس لكنّه يتباهى بها سرًا. فالله لا يجازي عن الصداقة بحسب صنعها إن كانت أمام الناس أم لا، بل بحسب نيّة فاعلها .

القدّيس يوحنا الذهبي الفم

❖ لقد اعتادوا أن يسيروا مرتدين ثيابًا مكرمة لكي ينالوا تكريمًا عظيمًا بسببها، ويتبعون نفس الأمر في أشياء كثيرة تقودهم للمجد الزمني.

الأب ثيوفلاكتيوس

يَهُوتُون فِي الصِّبَا،
وَحَيَاتُهُمْ بَيْنَ الْمَأْبُونِينَ [14].

هذا ما يقوله المرتل في المزمور (55: 2).

الترجمة الحرفية: "**سيموتون في صبا نفوسهم**"، قد يعيشون للشيخوخة حسب الجسد، لكن نفوسهم تُحسب غير ناضجة؛ قضوا أغلب عمرهم بلا نمو روحي ولا نفع لأنفسهم أو لإخوتهم؛ سنواتهم تحسب كيومٍ واحد (مز 90: 4)، أو كساعات قليلة.

"**حياتهم بين الدنسين**"، بين الزناة والفاسقين والفجَّار. جاءت الكلمة المترجمة "**المأبونين**" لتعني الذين تكرست حياتهم للعبادة الوثنية لممارسة العلاقات الجسدية الخاطئة. وجاءت في الترجمة السبعينية: "حياتهم تُجرح بواسطة الملائكة".

إنهم يُحسبون كأهل سدوم وعمورة، لا يُقدم بعد لهم حنو أو رحمة، لأنه كان ينبغي عليهم أن يشهدوا للبرّ الحقيقي، يمارسونه ويكرزون به، لكنهم كرسوا حياتهم للفساد.

❖ "**تموت نفسهم في عاصفة، وحياتهم بين المخنثين** " [14]... اعتادت أنفسهم على المديح

---

[1] *In Acts, hom., 5.*

الحب الأخوي، 1964، ص 129.

البشري في هدوء مهلك، لكنها تموت في عاصفة مفاجئة... فإن مديح البشر يعذب الأبرار، بينما يجعل الأشرار في زهوٍ.

يتعذب الأبرار (من مديح البشر لهم) فيتنقون، بينما ابتهاج الأشرار (بمديح البشر لهم) يؤهلهم للعقاب الأبدي. إذ لا يطلبون مجد خالقهم، يبتهجون بمديحهم، أما الذين يطلبون مجد خالقهم، فيتعذبون من مديح الناس لهم، لئلا ما يقولونه عن الخارج لا يكون له وجود في الداخل. ولئلا ما يُقال حتى وإن وُجد في الداخل يصير باطلاً في عيني الله بسبب هذه الكرامات ذاتها. ولئلا يسحب مديح الناس قلوبهم عن الحزم، وينحدر بها إلى الشعور بالاكتفاء.

أما إذا رأوا أن مديحم يقود إلى مجد الله، فيشتاقون إليه ويرحبون به. لقد كُتب: "لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذي في السماوات" (مت 5: 16)...

المتشامخون يكرسون قلوبهم المخنثة للمديح البشري، لأنهم يفسدون بحب الأنا. قيل عن هؤلاء في موضع آخر: "لأن الناس يكونون محبين لأنفسهم"(2تي 3: 2)..

البابا غريغوريوس (الكبير)

يُنَجِّي الْبَائِسَ فِي ذُلِّهِ،
وَيَفْتَحُ آذَانَهُمْ فِي الضِّيقِ [15].

كلمة "**البائس**" هنا لا تعني مجرد الفقير، إنما المتألم والمُجرب كما أوضح أليهو.

الذين يقدمون توبة ويرجعون إلى الله ينقذهم الله من تجاربهم، ويردهم إلى حياتهم قبل حلول التجارب.

"**يفتح آذانهم**"، واهبًا إياهم فهمًا لتدبيره الإلهي. هذه المبدأ يشغل ذهن أليهو، كرره عدة مرات.

❖ المسكين يخلص من ذله عندما يتحرر الإنسان المتواضع من متاعب هذه الرحلة. إذ هو تحت الضغط في تجارب مستمرة لكي يشتاق إلى طلب فرح التعزية الحقيقية. لذلك جاء بعد ذلك: "**ويفتح أذنيه في الضيق**"... تفتح الضيقة أذني القلب اللتين أغلقهما رخاء هذا العالم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

3. مشورة صالحة لأيوب

وَأَيْضًا يَقُودُكَ مِنْ وَجْهِ الضِّيقِ،
إِلَى رُحْبٍ لاَ حَصْرَ فِيهِ،

وَيَمْلأُ مَؤُونَةَ مَائِدَتِكَ دُهْنًا [16].

في وسط الضيق ينتزع الله المؤمنين كما من فم الأسد، ويرفعهم إلى الحرية، كما إلى مكانٍ رحبٍ أكثر مما كانوا عليه قبل التجربة (مز 18: 19؛ 31: 8؛ 118: 5)، ويمدهم بمائدة دسمة (مز 23: 5؛ إش 25: 6).

جاءت العبارة " **لا حصر فيه**" في النص الوارد في كتابات **البابا غريغوريوس (الكبير)**: "**ليس تحته أساس**".

❖ كل من ينسى طريق الحياة ويطرح نفسه في ظلمة الخطية، يدفع بنفسه في بئرٍ أو حفرة أيا كانت. وإذا تثقل جدًا بعادة ارتكاب الخطية، وصار عاجزًا عن الصعود، يصير كمن هو حبيس بئر حجرة الأعمال الصالحة الفسيحة بعد أن كان في مضيق عادة شريرة، فيقال عنه: "يقودك من وجه الضيق إلى رحب". فإنه يُقاد الشخص بأمان من وجه الضيق إلى الرحب وذلك متى رجع بالتوبة من حمله نير الشر الثقيل إلى حرية الأعمال الحسنة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

حُجَّةَ الشِّرِّيرِ أَكْمَلْتَ،
فَالْحُجَّةُ وَالْقَضَاءُ يُمْسِكَانِكَ [17].

يرى البعض أن أليهو يوبخ أيوب قائلاً له إنه إن كان وهو تحت الآلام والتأديبات تمثل بالمتذمرين، فإنه يسقط معهم تحت ذات الحكم. فكل ما رآه أليهو في أيوب أنه متذمرٍ على الله، فيكون كمن يتمم ما يفعله الأشرار، ويتبنى روحهم وفكرهم، فأهَّل نفسه للسقوط معهم تحت العدالة الإلهية.

❖ كل خطية ليس لها أساس، إذ ليس لها كيان في طبيعتها. الشر لا كيان له في ذاته... فساد الشر لا قوة له ليقوم بذاته.

البابا غريغوريوس (الكبير)

عِنْدَ غَضَبِهِ لَعَلَّهُ يَقُودُكَ بِصَفْقَةٍ.
فَكَثْرَةُ الْفِدْيَةِ لاَ تَفُكُّكَ [18].

يحذر أليهو أيوب من سلوكه مثل المتذمرين، فيسحبه الله بضربة من عنده، ولا يمكن لفديةٍ ما مهما كان قدرها أن تخلصه، وإن كان أيوب قد صار معدمًا، ليس لديه فدية يقدمها. فالمتذمر لا تفديه ثروته ولا إخوته، وكما يقول المرتل: "الذين يتكلون على ثروتهم،

وبكثرة غناهم يفتخرون، الأخ لن يفدي الإنسان فداء، ولا يعطي الله كفارة عنه" (مز 49: 6-7). الإنسان العنيد الدائم الشكوى والمتذمر يحفظ لنفسه الغضب الإلهي المرعب، ليس ما يفديه ولا من يفديه. تُنزع حياته ويلقى بنفسه في جهنم.

"فاحترزوا من التذمر الذي لا خير فيه، وكفوا ألسنتكم عن الثلب، فإن المنطوق به في الخفية لا يذهب سدى، والفم الكاذب يقتل النفس" (الحكمة 1: 11)

"العبد الحكيم يخدمه الأحرار، والرجل العاقل لا يتذمر" (سيراخ 10: 28)

"ولا تتذمروا كما تذمر أيضًا أناس منهم فأهلكهم المهلك" (1 كو 10: 10)

❖ الإنسان الذي له تظلُّم (أو تذمُّر) يثور في قلبه هو بعيد عن رحمة الله.

الأب إشعياء

❖ إذا كان الغذاء ينقصك فصلِّ أولاً واطلب من الله، ثم اُخرج من قلايتك ولا تضع رجاءك في مَنْ تذهب إليه مفكرًا هكذا: إنّ إنسانًا سيعطيني، بل قُل: "إنّ الله هو الذي سيسدّ حاجتي". **إذا ذهبتَ عند أحدٍ وطلبتَ شيئًا ولم يعطِك فلا تتذمر**، بل افهم أنّ الله لم يوصِ ِه أن ينال بركتك.

القديس أرسانيوس

❖ الإنسان الذي عرف ضعفه وعجزه قد وصل إلى حدّ التواضع. **المووجِّه لإنعامات الله على الإنسان هو الشكر المتحرك في القلب على الدوام. والم وجِّه للتجارب على النفس هو التذمُّر**. إنّ الله يحمل كل ضعف الإنسان، ولا يحتمل الإنسان الذي يتذمر دائمًا دون أن يؤدّبه. الفم الذي يشكر دائمًا يقبل البركة من الله، والقلب الذي يلازم الحمد والشكر تحلّ فيه النعمة.

❖ الذي يماحك قبالة التأديب يبعد عنه المراحم الأبوية. **الذي يتذمر مقابل التجارب تتضاعف عليه**. الذي لا يتأدب ههنا وينسحق بالتجارب يتعذب هناك بلا رحمة.

القديس مار إسحق السرياني

❖ قال شيخ عن لعازر المسكين: "إننا لم نرَ أنه عمل أيّة فضيلة غير أنه لم يتذمّر قط على ذلك الغني الذي لم يرحمه، وكان شاكرًا لله على ما كان فيه، ولذلك فقط رحمه الله".

بستان الرهبان

هَلْ يَعْتَبِرُ غِنَاكَ؟

لاَ التِّبْرَ وَلاَ جَمِيعَ قُوَى الثَّرْوَةِ! [19].

هل يظن الشرير أن الله يحاربه من أجل غناه وذهبه أو من كل مصادر قوته التي يعتمد عليها.

لعله يشير هنا إلى الغنى الذي عاش فيه أيوب، فإنه لم ينقذه من يد الله. وأيضًا إلى مصادر قوته، إذ عُرف أيوب بحكمته وسمعته وسلطانه ومركزه الاجتماعي وهيبة شيخوخته؛ هذه كلها لم تكن قادرة على إنقاذه من غضب الله، كما يقول أليهو. وكما يقول الحكيم: "لا ينفع الغنى في يوم السخط، أما البرّ فينجي من الموت" (أم 11: 4).

لاَ تَشْتَاقُ إِلَى اللَّيْلِ الَّذِي يَرْفَعُ شُعُوبًا مِنْ مَوَاضِعِهِمْ [20].

واضح أنه يقصد ليل الموت الذي طالما اشتهاه أيوب ليخلص مما فيه. وقد تحدث السيد المسيح عن الموت بكونه الليل حيث لا يعود يقدر الإنسان أن يمارس عملاً ما (يو 9: 4).

إن كان أيوب قد اشتهى الموت للخلاص مما هو عليه من آلام، فإن أليهو يدعوه أن يراجع حساباته، فإنه الموت لا ينقذ الشرير من الألم، إنما التوبة والرجوع إلى الله.

يرى البعض أن هذه العبارة تعني أن بعض الأشرار يشتهون ليل الموت، فيعبروا عن العالم الحاضر ليحل آخرون في موضعهم، وينالوا نصيبهم من الآلام.

يرى البعض أن أليهو يلوم أيوب قائلاً له: لا تشتهِ الموت، بل اترك الأمر بين يدي الله، لئلا يسمع لك الله فيرسل الموت إليك وأنت على هذا الحال، فتُقطع وتصير نفسك في رعبٍ ورعدةٍ.

اِحْذَرْ. لاَ تَلْتَفِتْ إِلَى الإِثْمِ،

لأَنَّكَ اخْتَرْتَ هَذَا عَلَى الذُّلِّ [21].

يقول أليهو: إنك تهين عناية الله التي سمحت لك بالأحزان لتأديبك، فاشتهيت الموت عوض الأحزان. هذه الشهوة أثيمة، إذ تسيء إلى عناية الله وحكمته.

كثيرًا ما يفضل الإنسان الإثم عن الألم، إذ لا يبالي بإثمه، بينما يبذل كل الجهد للتخلص من الضيقات والآلام. وفي غباوةٍ وجهلٍ، إذ يضيف الإنسان إلى آلامه خطايا وآثامًا متزايدة.

4. الله يُعَّلم ولا يلزم بقبول تعليمه

هُوَذَا اللهُ يَتَعَالَى بِقُدْرَتِهِ.

مَنْ مِثْلُهُ مُعَلِّمًا؟ [22]

غاية أليهو أن يسحب فكر أيوب إلى الله، ويتأمل قدرته وحكمة وأبوته، فيقبله كمعلمٍ سماويٍ إلهيٍ، ولا يوجه إليه لومًا أو اتهامات، ولا يشتكي منه.

جاء في الترجمة السبعينية: "**من يُعَّلم مثله؟**"، "**من هو قدير مثله؟**" وكما يقول ميخا النبي: "من هو إله مثلك، غافر الإثم، وصافح عن الذنب لبقية ميراثه، لا يحفظ إلى الأبد غضبه، فإنه يُسر بالرأفة" (مي 7: 18).

المعلم السماوي قدير، يؤدب وهو قادر أن يحيي ويقيم، فلا يليق بنا أن نخطئ إلى حنوه وأبوته!

الله في أبوته يعلم ويؤدب: "طوبي للرجل الذي تؤدبه يا رب، وتعلمه من شريعتك" (مز 94: 12). وإذ هو كلي القدرة والحكمة لا يشرح في الحال ما وراء تعليمه وتأديبه بسبب العجز الفكري البشري عن إدراك خطة الإلهية. لهذا يليق بالمؤمن أن يتقبل تعليم الله، لا أن يظن في نفسه أنه يُعَّلم الله: "من قاس روح الرب، ومن مشيره يعلمه؟ من استشاره فأفهمه، وعلمه في طريق الحق، وعلَّمه معرفة، وعَّرفه سبيل الفهم. هوذا الأمم كنقطة من دلو، وكغبار الميزان تُحسب، هوذا الجزائر يرفعها كدقة" (إش 40: 13-15). ويقول الرسول: "لأن من عرف فكر الرب؟ أو من صار له مشيرًا؟" (رو 11: 34). "لأنه من عرف فكر الرب فيعلمه، وأما نحن فلنا فكر المسيح" (1 كو 2: 16).

يقوم الله بالتعليم، لكنه لا يُلزم أحدًا بقبول التعليم [٢٢-٢٣].

- ❖ فن الطب – حسب ديموقريطس *Democritus* – يشفي أمراض الجسد، والحكمة تحرر النفس من هواجسها. أما المعلم الصالح – الحكمة – الذي هو كلمة الآب الذي أخذ جسدًا بشريًا، فيهتم بكل طبيعة خليقته.

إنه طبيب البشرية الذي فيه كل الكفاية. المخلص، الذي يشفي الجسد والنفس معًا[Ñ].

- ❖ المرشد السماوي، اللوغوس يدعى الهاد ي عندما يدعو البشرية للخلاص... لكنه إذ يعمل كطبيب أو مربٍ يصير اسمه "المرب ي"... فإن النفس المريضة تحتاج إلى مربٍ يشفي

---

[3] *Paedagogus 1: 4.*

آلامها. ثم تحتاج إلى المعلم الذي يعطيها الإدراك... "إعلان اللوغوس". هكذا إذ يريد اللوغوس خلاصنا خطوة فخطوة يستخدم وسيلة ممتازة: إنه في البداية يهد ي، ثم يصلح ، وأخيرًا يعلم[4].

❖ من هو؟ تعلموا باختصار أنه كلمة الحق، كلمة عدم الفساد، الذي يجدد الإنسان إذ ير دهـ إلى الحق. إنه المهماز الذي يحث على الخلاص. هو محطم الهلاك وطارد الموت. إنه يبني هيكل الله في الناس، فيأخذهم لله مسكنًا له.

يحتاج المرضى إلى مخلص،
ويحتاج الضالون إلى مرشد،
يحتاج العميان إلى من يقودهم إلى النور،
والعطاش إلى الينبوع الحيَّ الذي من يشرب منه لا يعطش أبدًا،
والموتى إلى الحياة،
والخراف إلى راعٍ،
والأبناء إلى معلم؛
تحتاج كل البشرية إلى يسوع![5]

القديس إكليمنضس السكندري

❖ نزل فقيه عظيم من السماء، وصار معلمًا للعالم. استنارت المسكونة بتعليمه، لئلا يشتهي أحد بعد المقتنيات الزائلة. (الرسالة الأولى)

القديس مار يعقوب السروجي

❖ كان موسى مُشرعًا، ويشوع كان مشرعًا، والأنبياء أيضًا كانوا مشرعين. يمكننا أن ندعوهم جميعًا مشرعين، لكن لا يوجد أحد مثل هذا الوسيط بين المشرعين.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يظهر المسيح لكل واحدٍ حسب احتياجه. فالمحتاجون إلى البهجة يتقدم إليهم ككرمة، والمحتاجون إلى الوجود في حضرة الآب يأتيهم كبابٍ، والمحتاجون إلى من يقدم صلواتهم يجدونه الشفيع فيهم، الكاهن العلي، وللخطاة هو الحمل (المذبوح) لأجل تقديسهم.

---

[4] *Paedagogus 1:1.*
[5] *Paed. 2:9.*

إنه كل شيء لكل واحد دون أن تتغير طبيعته. بل يبقى كما هو. هو باقٍ، وعمل بنوته لن يتغير، لكنه يكيف نفسه حسب ضعفنا، بكونه طبيبًا ممتازًا أو **معلمًا مملوء حنوًا**. إنه الرب نفسه، لم يقبل الربوبية عن تقدم، إنما عمل بنوته طبيعي[6].

القديس كيرلس الأورشليمي

مَنْ فَرَضَ عَلَيْهِ طَرِيقَهُ،
أَوْ مَنْ يَقُولُ لَهُ: قَدْ فَعَلْتَ شَرًّا؟ [23]

هل يأخذ الله تعليمات من إنسانٍ ما وهو يدير العالم، ويعتني بكل الخليقة؟ هل من إنسان يُلزم الله بأمرٍ ما. الله يعمل دومًا ما هو حق، لن يخطئ قط.

لقد تجاسر أيوب وشرح للرب ما كان يجب أن يُعمل (أي 34: 10، 13).

❖ كأنه يُقال: كيف يمكن أن يُلام هذا الذي لا يمكن فحص أعماله؟ إذ لا يستطيع أن يحكم أحد فيما لا يعرفه. لذلك يلزمنا أن نبقى بالأحرى صامتين تحت أحكامه بقدر ما نرى أننا لا ندرك علة أحكامه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

5. عظمة أعمال الله

اُذْكُرْ أَنْ تُعَظِّمَ عَمَلَهُ الَّذِي يَتَرَنَّمُ بِهِ النَّاسُ [24].

عوض اتهام الله سبَّحه ومجده في أعماله (مز 111: 2-8؛ رؤ 15: 3)، بهذا تدرك أن أعماله غير منظورة وغير مدركة، وهو حكيم وصالح. وكما يقول الرسول: "لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته، حتى أنهم بلا عذرٍ" (رو 1: 20).

إذ نحن مدعوون للشركة مع السمائيين أبديًا، حتى نُحسب كمن احتل الرتبة التي سقط منها إبليس، يلزمنا أن نتدرب على التسبيح الداخلي لله، وتمجيده بلا انقطاع على معاملاته معنا.

❖ في الكتاب المقدس يُدعى الملائكة أحيانًا " **أناس**"، وأيضًا الأشخاص الكاملين " **أناس**". أما عن دعوة الملاك إنسانًا، يحمل دانيال شهادة بذلك، قائلاً: "إذ بالرجل جبرائيل الذي رأيته"

---

[6] *Catech. Lect. 10:5.*

(دا 9: 21).

يغني الناس للرب عندما تظهر لنا الأرواح العلوية أو المعلمون الكاملون قوة الله لنا، مع ذلك فإن عمله لا يُعرف، حتى الذين يكرزون به يوقرون أحكامه التي لا تُدرك. إنهم يعرفون ذاك الذين يكرزون به، لكنهم لا يعرفون علة أعماله، إنهم بالنعمة يعرفون هذا الذي خلقهم، لكنهم لا يستطيعون إدراك أحكامه المعمولة به وهي فوق فهمهم. يقدم المرتل شهادة أن الله القدير لا يُرى بوضوح في أعماله، قائلاً: "الذي جعل الظلمة سترة حوله" (مز 18: 11).

البابا غريغوريوس (الكبير)

كُلُّ إِنْسَانٍ يُبْصِرُ بِهِ.
النَّاسُ يَنْظُرُونَهُ مِنْ بَعِيدٍ [25].

يتطلع كل إنسانٍ إلى الخليقة المنظورة، ويرى فيها حكمة الله وقدرته تتجليان. هكذا يليق بنا أن نتتبع حكمة الله وقوته خلال أعماله، فندرك ما أدرجه رجال الله، قائلين: "يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه، ما أبعد أحكامه عن الفحص، وطرقه عن الاستقصاء" (رو 11: 33).

❖ لما كان الإنسان مخلوقًا عاقلاً لاق به أن يستنتج بالعقل أن الذي خلقه هو الله. يرى الآن من خلال العقل، يرى قوة سلطانه. ولكن عندما يُقال: "كل أناس يبصرونه" بحق يُضاف: "كل أحد ينظره من بعيد". فإن النظر إليه من بعيد هو النظر إليه أنه حاضر لا بشخصه، إنما أن يُفكر فيه بالكلية بالإعجاب من أعماله.

البابا غريغوريوس (الكبير)

هُوَذَا اللهُ عَظِيمٌ وَلاَ نَعْرِفُهُ،
وَعَدَدُ سِنِيهِ لاَ يُفْحَصُ [26].

الله كلي السلطة، لا يمكننا فحصه، أبدي ليس لوجوده زمن معين يحده. معرفتنا لله جزئية (1 كو 13: 12)، لأنه غير محدود (مز 90: 2؛ 102: 24، 27).

يحدثنا عن أزلية وأبديته، أو سرمديته بلغة بشرية كي يمكننا التلامس معها. "عدد سنيه لا يفحص"، إذ لا يخضع للزمن، بل هو موجده.

❖ إذ الله حاضر في كل مكان، لذلك قيل عنه: "هوذا". قيل بأنه حاضر حتى بالنسبة للذين لا

يرونه.

حسنًا يقول إنه يسمو على معرفتنا بالرغم من قوله قبلاً يراه كل البشر. هذا معناه أنه وإن كان يُرى بالعقل، فإن عظمته لا يمكن أن تخترقها حواسنا. فإن ما نعرفه عن بهاء عظمته هو قليل، وكلما نظن أننا ندرك قوته نبتعد بالأكثر عن معرفته. يُخطف عقلنا إلى العلا لكنه يسمو بضخامة عظمته هذا الذي نعرفه جزئيًا عندما نشعر أننا عاجزون عن أن نعرفه خلال استحقاقنا.

البابا غريغوريوس (الكبير)

6. العاصفة والمطر

لأَنَّهُ يَجْذِبُ قُطَرَاتِ الْمَاءِ.

تَسُحُّ مَطَرًا مِنْ ضَبَابِهَا [27].

يقدم أليهو مثلاً عمليًا يعيشه الإنسان، خاصة في ذلك العصر، وهو كيف يتبخر الماء من البحر ثم ينزل كمطرٍ يُستخدم في الزراعة، وأيضًا ظهور الأعشاب التي ترعى عليها الأغنام. الله بحكمته يسحب البخار ليصير سحابًا تحركها الرياح يحول السحاب إلى أمطارٍ تُسقط نقاطًا صغيرة ليحيا الإنسان والحيوان.

❖ ذاك الذي خطط كل شيء بميزانٍ وقياسٍ؛ الذي بحسب قول أيوب يحصي قطرات المطر (أي 36: 27 *LXX*)، يعلم إلي أيّ مدى يبقى عمله، وإلي أيّ مدى يسمح للنار أن تبيد (العالم)[7].

القديس باسيليوس الكبير

❖ **يوجد نوعان من الأبرار في هذه الحياة** . أولئك الذين يعيشون باستقامة ولا يعلمون شيئًا، والذين يعيشون باستقامةٍ ويعلمون حسب ما يعيشون. وذلك كما في وجه السماء بعض الكواكب تأتي ولا يتبعها عواصف، وكواكب أخرى تأتي وتسقط مياهًا على الأرض العطشى بأمطار غزيرة.

غالبًا ما يوجد أشخاص في الكنيسة المقدسة يعيشون باستقامة، لكنهم لا يعرفون كيف يكرزون بالاستقامة، إنهم بالحق كواكب، لكنهم يظهرون في جو جافٍ. يمكنهم أن يقدموا نورًا للآخرين بمثال حياتهم الصالحة، لكنهم لا يمطرون بكلمة كرازتهم ويوجد

[7] *Hexameron, homily 3: 5.*

أشخاص آخرون يعيشون باستقامة ويمطرون هذه الاستقامة على آخرين بكلمة الكرازة، فتظهر الكواكب في السماء وتجلب أمطارًا تغير الغير باستحقاقات حياتهم ويمطرون حسنًا بكلمة الكرازة. ألم يظهر موسي ككوكبٍ للمطر؟ الم يظهر في هذه السماء؟... ألم يظهر إشعياء ككوكب للمطر، هذا الذي سبق فرأى نور الحق وتمّسك به، وروى جفاف عدم الإيمان بإعلان كلمة النبوة؟

عندما استبعد الرب الأنبياء أرسل الرسل يحتلون موضعهم، ليمطروا مثل دوامات بعد أن توقفت الكرازة بالناموس الخارجي (الحرفي)، عندما انسحب الآباء القدامى... قيل بإرميا عن رفض اليهودية: "**كواكب المطر توقفت ولم يعد بعد مطر متأخر**" (راجع إر 3: 3).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ منذ فترة قليلة اجتاحتنا السيول متأخرًا وأهلكتنا. أحصِ قطرات الأمطار التي سقطت على هذه المدينة وحدها. لا بل أقول إن استطعت فأحصِ فقط القطرات التي سقطت على منزلك، وليس على المدينة، لمدة ساعة واحدة! إنك لا تستطيع!

إذن فلتعرف ضعفك، ولتعلم من هذه اللحظة قدرة الله "**المحصي قطرات الأمطار**" على المسكونة كلها، ليس الآن فقط، بل خلال كل الأزمنة.

والشمس هي من صنع الله. ومع عظمتها هي أشبه بنقطة وسط السماء. تأمل الشمس، وبعد ذلك تفرّس في رب الشمس مندهشًا. "لا تطلب ما يعييك نيله ، ولا تبحث عما يتجاوز قدرتك، لكن ما أمرك الله به فيه تأمل" (ابن سيراخ 3: 22)[8].

القديس كيرلس الأورشليمي

الَّذِي تَهْطِلُهُ السُّحُبُ
وَتَقْطُرُهُ عَلَى أُنَاسٍ كَثِيرِينَ [28].

جاء في الترجمة السبعينية: "الأمطار تنزل، والسحب تغطي بظلالها جموعًا من الناس. لقد عُين للحيوانات أن تعرف تدبير مساكنها. عند التأمل في هذه الأمور، أما يتحرك عقلك، ويتهيأ قلبك ليترك جسمك؟"

إذ تتقبل السحب البخار الصاعد نحو السماء ترده قطرات أمطار تنزل على جموع كثيرة لنفعهم. هذا الأمر الذي يحدث بكثرة في العالم يتحقق دون أن يفكر فيه البشر، وهو أحد

[8] *Catechetical Lectures, 6:4.*

القوانين الطبيعية التي لا تُعد، وضعها الله لأجل نفع الإنسان والحيوان. لقد وهب حيوانات البرية أن تعرف مساكنها، حيث توجد مياه خلال الأمطار أو الينابيع، مع أنها ليست كائنات عاقلة، قادرة على التفكير والتخطيط.

❖ "**الذي تهطله السحب** " [28]... في الكتاب المقدس تشير السحب أحيانًا إلى **الناس المتقلبين**، وأحيانًا إلى الأنبياء، وأخرى إلى الرسل. يعبر سليمان عن تقلب الفكر البشري بقوله: "من يرصد الريح لا يزرع، ومن يراقب السحب لا يحصد" (جا 11: 4). إنه يدعو **الروح النجس** "ريحًا" والذين يخضعون له "سحبًا"، هؤلاء الذين يدفعهم إلى الوراء والأمام، إلى هنا وهناك، إذ كثيرًا ما تتعاقبهم التجارب في قلوبهم من عواصف الاقتراحات...

أيضًا يقصد بالسحب **الأنبياء**، كما قيل بالمرتل: "ظلمة المياه في سحب الهواء" (راجع مز 18: 11)، أي أن الحكمة المخفية في الأنبياء.

يقصد أيضًا بالسحب **الرسل** كما قيل بإشعياء: "أوصي الغيم أن لا يُمطر عليه مطرًا" (إش 5: 6). إنهم كواكب، إذ يشرقون باستحقاقات حياتهم، وهم سحب إذ يروون أرض قلوبنا الظمأ بمجارى المعرفة السماوية. لو لم يكونوا سحبًا ما كان النبي يقول عند تطلعه إليهم: "**من هم الطائرون كسحابٍ**" (إش 6: 8)...

"**وتغطي كل شيء من فوق** " [28]. عندما يغطي السحاب الهواء من فوق، فإننا إن رفعنا عيوننا إلى السماء، لا نرى السماء بل السحاب... لأننا جسدانيون عندما نسعى أن ننال السماويات، نرفع أعيننا إلى السماء، كأن نظرنا مرتبط بالأمور الجسدية، فنزيد بها أن نتعلم الروحيات. ولكن لا يُسمح لتعقلنا أن يعبر فوق الأمور الإلهية ما لم تتشكل أولاً بأمثلة من قديسين سابقين، لذلك فإن أعيننا كأنها تتطلع إلى السماء، لكنها ترى مما من خلال السحاب. أنها تطلب أن تدرك الأمور الخاصة بالله لكنها بالجهد تقدر أن تعجب بالأمور المعطاه للبشر.

انظروا، فإننا ملتهبون بالغيرة نحو التكريس للرب وحبه، لكن نتشكل في هذا التكريس والحب بتأملنا في هذه السحب. فمن هو مكرس مثل بطرس؟ ومن هو مملوء حبًا مثل يوحنا؟

إننا نتغطى أيضًا بحياة الآباء (إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف وموسي ويشوع وصموئيل وداود) مثل سحب تنتشر فوقنا، حتى نُروى وننتج ثمارًا وفيرة. ونحن نرى أولاً السحب عندما نتطلع إلى السماء، إذ نرى أولاً بعجبٍ أعمال الصالحين وبعد ذلك نتعمق

بخبرتنا في الأمور السماوية. لكن حياة وفضائل هذه السحب، أي هؤلاء الآباء القدامى، ما كانت تُفتح لنا ما لم توضحها لنا سحب أخرى، اي الرسل، وذلك بنور كرازتهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَهَلْ يُعَلِّلُ أَحَدٌ عَنْ شَقِّ الْغَيْمِ،
أَوْ قَصِيفِ مَظَلَّتِهِ؟ [29]

يتساءل أليهو: "من يقدر أن يفهم سرّ انتشار السحب" وضوضاء مظلة، أو صوت الرعد؟ (مز 18: 11، إش 40: 22؛ مز 105: 39).

في بدء التاريخ لم يكن الإنسان قادرًا على فهم الأسباب التي تكَّون السحب، ونزول الأمطار. الآن مع تقدم العلم اكتشف الإنسان بعض هذه الأسرار، فازداد انبهاره بالخالق العجيب، كما أدرك أنه مهما بلغ من العلم يصعب بل ويستحيل عليه السيطرة على الظواهر الطبيعية.

هُوَذَا بَسَطَ نُورَهُ عَلَى نَفْسِهِ،
ثُمَّ يَتَغَطَّى بِأُصُولِ الْبَحْرِ [30].

يرى اليهود في السحب والرعود والبرق عجائب تشهد لقدرة الله ورعايته. هذه الظواهر تبدو كأنها مظلة الله أو خيمته. تنتشر السحب في السماء، ويظهر النور أو البرق منتشرًا أيضًا إلى لحظات. وكأن هذه الظواهر تكشف عن أمورٍ عجيبةٍ تبدو مضادة لبعضها. فالسحاب المنتشر يبسط ظلالاً على الأرض، والبروق التي تحدث بسبب السحب تبسط أنوارًا تخترق السحب.

السحب الكثيفة مع البرق تقدم صورة مثيرة ومبدعة.

يرى المرتل في السحب الكثيفة والبرق أشبه بثوبٍ سماويٍ مبدعٍ، فيقول: "اللابس النور كثوبٍ، الباسط السماوات كشقةٍ، المسقف علاليه بالمياه، الجاعل السحاب مركبته، الماشي على أجنحة الريح" (مز 104: 2-3).

بينما يكشف الله عن سقوط الأمطار خلال البروق المنيرة إذ به يغطي أعماق البحار بفيض الأمطار التي تسقط وتصب في البحار كما لو كانت تغطي أعماقها.

تمتد يد الله للعمل في الأعالي في السماء وسط السحب الكثيفة، وعلى الأرض حيث تهطل الأمطار، وفي أعماق البحار. هو ضابط الكل.

❖ "**إذ ما نشر السحاب كخيمته، وأضاء بنوره من فوق، فإنه سيغطي أيضًا البحر** " ينشر الرب سحابه، وذلك عندما يفتح طريق الكرازة لخدامه، ينشرهم في كل اتجاه في يكل المسكونة. حسنًا يقول: "كخيمته"، لأن الخيمة عادة تُنصب في الرحلة. وعندما أرسل المبشرون القديسون إلى العالم، صنعوا طريقًا لله. في هذه الرحلة، خيام الله هي قلوب القديسين، هذه التي يتغطى بها في الطريق أثناء الراحة...

هذه السحب الآن بحق تُدعى خيمته، لأن الله إذ يأتي إلينا بنعمته يحتجب في قلوب كارزيه؟

البابا غريغوريوس (الكبير)

لأَنَّهُ بِهَذِهِ يَدِينُ الشُّعُوبَ،
وَيَرْزِقُ الْقُوتَ بِكَثْرَةٍ [31].

يستخدم الله السحب والأمطار والندى والعواصف والزوابع والرياح والأعاصير (هيراكين) والتورنيدو (إعصار) والرعد والبرق والجفاف والطوفان للتأديب من أجل حنوه على الإنسان وبنيانه. وهذه عينها يستخدمها الله ليقدم للبشرية وللحيوانات طعامًا وشرابًا بفيضٍ.

يقول المرتل: "كللت السنة بجودك، وآثارك تقطر دسمًا. تقطر مراع البرية، وتنطق الآكام بالبهجة اكتست المروج غنمًا، والأودية تتعطف برًا، تهتف وأيضًا تغني" (مز 65: 11-13). وكما يقول الرسول بولس: "مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد، وهو يفعل خيرًا، يعطينا من السماء أمطارًا، وأزمنة مثمرة، ويملأ قلوبنا طعامًا وسرورًا" (أع 14: 17).

❖ "**لأنه بهذه يدين الشعوب، ويرزق القوت لكثيرين من القابلين للموت** " [31]. بواسطة كلمات المبشرين، أي قطرات السحب، وبواسطة برق المعجزات، بلا شك يدين الله الشعوب، إذ يدعو قلوبهم المرعبة للتوبة. فإنهم إذ يسمعون الأمور السماوية، وعندما يصغون للأعمال المعجزية يرجعون في قلوبهم ويحزنون على شرورهم السابقة، ويخشون العذابات الأبدية...

البابا غريغوريوس (الكبير)

7. نشيد للحكمة القديرة

يُغَطِّي كَفَّيْهِ بِالنُّورِ،
وَيَأْمُرُهُ عَلَى الْعَدُوِّ [32].

يستخدم الله الأنوار (والبرق) بيديه، بالبرق يؤدب الأشرار، وبالأنوار يشرق على

الأبرار.

جاءت الترجمة السبعينية: "**يغطي النور في يديه**"

كأن البرق الذي لا سلطان لنا عليه يمسك به الله ويوجهه كما يشاء. البرق الذي يظهر سريع الحركة جدًا لا يتحرك إلاَّ بتوجيه من الله، هو أداة طبيعية في يده.

إن كان الله يسمح بأن يحجب نوره عن المتشامخين، فإن نعمته تعمل فيهم بالسماح لهم بالتجارب حتى يرجعوا إليه بقلوبهم فيستنيرون بنوره.

❖ "**يعطي النور عن الأعزاء (القادرين)** " [32] الأقوياء في الواقع هم الذين يفتخرون بأفكارٍ متشامخة. قيل بإشعياء ضد هؤلاء::ويل للحكماء في أعين أنفسهم، والفهماء عند ذويهم" (إش 5: 21). ويقول ضدهم بولس: "لا تكونوا حكماء عند أنفسكم" (رو 12: 16). يُخفى النور عن هؤلاء القادرين، لأنه بدون شك يحجز معرفة الحق عن المتشامخين... يوجد كثيرون في الكنيسة يستخفون بان يكونوا صغارًا، ولا يكفون عن ان يكونوا عظماء في أعين أنفسهم عوض التواضع.

❖ هنا أيضًا بعد أن قيل عن النور أن ينسحب منهم أضاف: "ويأمروه أن يعود ثانية".

البابا غريغوريوس (الكبير)

يُخْبِرُ بِهِ رَعْدُهُ الْمَوَاشِيَ أَيْضًا بِصُعُودِهِ [33].

الرعد الملازم للبرق يشهد لسلطان الله وعظمته. حتى في صوت الرعود الله يهتم بالغنم، فعظمته لا تظهر فقط في أعماله العظيمة الضخمة، وإنما في حنوه حتى على الغنم وكل الخليقة.

يرى البعض أنه يتحدث هنا صوت مياه الأمطار الغزيرة، فإن الغنم غير العاقل يدرك بالغريزة هطول الأمطار وهي تقترب، فتهرب لتجد لها ملجأ، بينما يرى الإنسان الشر قادمًا نحوه ولا يهرب منه.

❖ "**يعلن لأصدقائه، أنها ملكه، وأنه يصعد إليها** " [33]. صديق الحق هو المحب للسلوك المستقيم. يقول الحق نفسه لتلاميذه: "أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيتكم به" (يو 15: 14). فإن الصديق يدعى "حافظًا للنفس"، وهكذا يسعى لمراعاة إرادة الله في وصاياه، فيستحق أن يُدعى صديقه. لذلك يقول الحق نفسه لذات تلاميذه: "قد سميتكم أحباء، لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي" يو 15: 15)...

حسنًا أضيف الوعد: "إنه يصعد إليها" أي شيء أصعب من أن إنسانًا وُلد على الأرض، ويحمل أعضاء أرضية هشة، أن يصعد إلى أعالي السماء، وأن يخترق أسرار الروح العليا؟ لكن خالق هذه الأرواح نفسها جاء إلينا، وأعلن نفسه إنسانًا، بل وصار أقل منا... هذا الذي صار أقل من الملائكة من أجلنا، يجعلنا مساوين للملائكة بتواضعه. علمنا أيضًا بموته ألا نخاف الموت، وبقيامته أن نثق في الحياة، وصعوده ان نعتز بميراث المدينة السماوية...

إذ صرنا واحدًا معه، عاد وحده، فينا، إلى ذات الموضع الذي جاء منه وحده فيه. هذا الذي هو دومًا في السماء يصعد يوميًا إلى السماء، لأن هذا الذي يبقى في لاهوته فوق كل الأشياء يسحب نفسه إلى فوق يوميًا في جسد تأنسه. ليت الضعف البشري لا ييأس بل يتمتع بدم الابن الوحيد إذ التكلفة كثيرة هكذا... ليصنع البشرية في اعتنائها بشغفٍ أين ذهب رأسها قبلها، وليتقوى في الرجاء بقدوته أولئك الذين يرتبطون بوصيته للحياة الصالحة لتشعر البشرية بالتأكد من السماء! لتترجى المدينة السماوية. لتعرف أنها الملائكة، ولتفرح بأنها إذّ ترتبط برأسها صارت نُفضله حتى عن الملائكة!

البابا غريغوريوس (الكبير)

من وحي أيوب 36

علمني، دربني، فأتمتع بك!

- علمني أيها المعلم السماوي العجيب.
  فإن بدت يدك قاسية،
  لكن قلبك متسع بالحب لي،
  أنت الأب الحكيم والقدير.
- تسمح لأولادك بالضيق،
  لكن لن تستقر عصا الخطاة عليهم.
  تحملهم فيك،
  تقيمهم من المزبلة ليجلسوا مع أشراف أشراف شعبك.
- يمد الأشرار أيديهم عليّ،
  حاسبين أنك لا تنظر ولا تبالي!

بحبك تسمح بالظلم إلى حين،
لتعد أعماقي لأمجاد فائقة.
تعدني ملكا، أتمتع بملكوتك الأبدي.

❖ يظن الأشرار أنهم يوثقونني بقيود الظلم.
ولم يدركوا أنني بالأكثر أتحرر،
لتنطلق أعماقي إليك وأكون معك!

❖ وسط الضيق أستمع إلى صوتك،
تمتلئ نفسي بالسرور،
ويتهلل قلبي بك.
أكتشف خطاياي فتئن نفسي.
لكني أراك مخلص العالم،
فألتصق بصليبك.

❖ وسط مذلة العالم تفتح أذني بروحك القدوس،
فأتمتع بوعودك الإلهية.
تقوض قلبي من الضيق إلى الرحب.
تتسع نفسي بالحب حتى لمضايقيّ.
أدخل إلى مائدة الحب.
أتمتع بدسم وليمتك.
فتشبع نفسي بك!

❖ عوض التذمر علي كثرة مقاوميّ،
تتهلل نفسي بك،
ولا تتوقف عن تقديم ذبائح شكرٍ لا تنقطع.
أقتنيك يا أيها الكنز السماوي.
فيصير ذهب العالم في عيني ترابًا.
وثروة العالم كلا شيء!

❖ من مثلك معلم عجيب!
تعلمني بوصيتك،
وتدربني بحبك،
وتحملني فيك،
وتصعد بي إلى عرش نعمتك!

❖ أي معلم مثلك يا أيها الأب السماوي!
تدخل بي إلى التلمذة لك.
التقي بك معلمًا، تسكب عليّ كنوز علمك ومعرفتك.
تشفي جراحات نفسي وقلبي وفكري.
تقيمني من موت الخطية وتهبني الخلود،
تنزع عني عاري، وتقدم لي شركة المجد السماوي،
تفتح عيني فلا أتعثر في وادي هذا العالم.
ترويني بروحك القدوس فلا أعطش إلى حياة العالم.

❖ من يقدر أن يفحص حكمتك يا حكمة الله العجيب!
هل للطين أن يحاور الفخاري؟
هل للترابي أن يدرك أسرار الخالق السماوي؟
لكن في أبوتك وتواضعك تطلب أن أحاججك!
أتكلم معك وأُسر بك!

❖ لتهب كالعاصفة علي نفسي فتمتلئ قوة.
لتمطر بمياه روحك القدوس،فتحول بريتي إلى جنتك!
لتبسط نورك عليّ، فتتبدد ظلمتي.
لك المجد يا معلمي المحب الصالح!

اَلأَصْحَاحُ السَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ

الله في العاصفة

جاء هذا الأصحاح كنقطة تحولٍ في أحاديث أليهو مع أيوب، إذ يبدو أن هـ قد ظهرت علامات عاصفة قادمة، وكأن الطبيعة تستعد للظهور الإلهي لأيوب . فانطلق قلب أليهو وفكره من الأحداث الزمنية التي تحيط به إلى التمتع بالحضرة الإلهية ، والدخول في حالة دهش في الإلهيات والسماويات.

يكمل أليهو أحاديثه عن تمجيد قوة الله العظيمة وحكمته، ضاربًا مثلاً بتغيرات الجو. فإن كنا نخضع في هذه الأمور لإرادة الله، إذ لا سلطان لنا على تغيير الجو، فلماذا لا نخضع له في تدبيره لأمورنا. هنا يُبرز أليهو بوضوح يد الله في الطبيعة، مطالبًا أيوب أن يتأمل أعمال الله في البروق والسحب والرياح والحرارة والبَرْد، وفي تكوين السماوات، وتغيير الجو.

1. الرعد والبرق	**5-1**
2. الأمطار الغزيرة والثلج	**13-6**
3. أيوب قاض غير مؤهل للحكم على عناية الله	**22-14**
4. الله كامل وعظيم ومهوب	**24-23**

1. الرعد والبرق

لِهَذَا اضْطَرَبَ قَلْبِي،

وَخَفَقَ مِنْ مَوْضِعِهِ [1].

مع بدء ظهور ملامح العاصفة، شعر أليهو بأن عاصفة داخلية ت جتاح قلبه، فصار يرتعب لشعوره بالحضرة الإلهية. شعر باضطراب لا عن قلقٍ وفقدانٍ للسلام، وإنما عن اهتزاز قلبه لدخوله في دهشٍ أمام عظمة الخالق. وكأن قلبه صار هيكلاً للرب يهتز أمام مجد الله.

بقوله "**لهذا**"، يقصد: "عندما سمعت رعد العظمة الإلهية". ربما كانت قد بدأت العاصفة التي من خلالها تحدث الله مع أيوب.

مع أن أليهو أفاض في وصف هذه الظواهر الطبيعية – العواصف والرعد والبروق – بكونها تحمل شهادة لعظمة الله وقدرته وسلطانه، لكن ما أن بدأت العاصفة حتى اهتز كيانه

الداخلي. فكثيرًا ما يرعب الرعد والبروق، ليس فقط الأشرار، بل وأحيانًا بعض الأبرار.

قيل عن الإمبراطور *Caligula* إنه أعتاد أن يجري لينزوي في ركن من قصره أو ينزل تحت السرير عند سماعه الرعد ورؤيته البرق.

❖ هنا بعد التأمل في نور المدينة الأبدية، بحق قيل: " **لهذا اضطرب قلبي** ". كأنه يقول: انطلقت إلى خارج نفسي من فرط الدهشة، ولأن الذهن قد أُوحي إليه بروح رجاء جديد، هجر طرق التفكير القديمة.

حسنًا قيل: " **وخفق من موضع هـ**"، لأن مسرة الحياة الحاضرة هي موضع القلب البشري. ولكن إذ يُلمس قلبنا بوحي إلهي، يحل حب الأبدية. لهذا يتحرك العقل من موضعه بالتأمل في الأبديات. إنه يترك السفليات، ويركز في التفكير في العلويات.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ قال لي أخ: حينما كان يُخطف عقلي لهذه النظرة البهية، كنت أراه يتفرس في بحر الحياة، يسبح في لججٍ من نورٍ، ويستنشق رائحة الحياة، ويدهش ويتجل ى بفرح عظيم، ويتغط ى بالنور، ويغلي بفعل الحب والفرح بإشراق عجيب... وفي الوقت الذي تكون فيه هذه الموهبة في النفس، فلو كانت كل الخليقة أصوات واضطرابًا، لا تستطيع أن تجعل العقل يهبط من موضعه، أو يعود إلى ذاته، من فرط انشغاله بالتعجب والدهش، وفقدان كل صلةٍ بشعور الجسد.

❖ عندما تنظر إليه وهو متحد بك هكذا، يسبي ذاتك من أمام ذهنك لكي يتراءى وحده لذهنك، إذا كانت قوته الرائية قادرة على ذلك. وإن لم تستطع، فليبق في الذكر الدائم. هكذا يكون ذهن الإنسان مجتمعًا في ذاته بذكر الله وبالتحدق به. هذا ما يسميه آباؤنا حفظ الذهن، ولا شيء عالٍ مثله بين الفضائل والأعمال كلها [7].

الشيخ الروحاني

اسْمَعُوا سَمَاعًا رَعْدَ صَوْتِهِ،
وَالدَّوِيَّ الْخَارِجَ مِنْ فَمِهِ [2].

"**اسمعوا سماعًا**" يكرر كلمة السماع مرتين، ويشبِّه كلماته بعاصفة رعد وبرق، وكأنها

[7] الرسالة الخمسون: 6 (ترجمة الأب سليم دكاش اليسوعي، سلسلة التراث الروحي، بيروت 1992).

قصف مستمر على بيته، وبرق يضيء أمام العيون، فليس لأيوب ومن معه عذر، إنما يلزمهم أن ينصتوا بكل مشاعرهم.

وقد بقيت العاصفة مستمرة حتى تكلم الرب نفسه من السماء مع أيوب.

كثيرًا ما يرتبط حديث الرب مع شعبه أو مؤمنيه بالعاصفة، وكما يقول المرتل: "إله المجد أرعد... صوت الرب يزلزل البرية، يزلزل الرب برية قادش" (مز 29: 3، 8). "الله في العاصفة"، لا في الطبيعة فقط ، وإنما في عاصفة النفس الداخلية أيضًا؛ إنه في أعماقنا يعلن عن ذاته خلال العواصف التي تجتاح طبيعتنا الداخلية. جاء كلمة الله ليدخل النفس ويثير فيها ثورة داخلية ضد الشر ليحطم فينا الإنسان العتيق ويهبنا الإنسان الجديد.

حتمًا كان آدم وحواء يترقبان بفرحٍ صوت الله الذي يقدم ماشيًا في الجنة، لكن بعد سقوطهما في الخطية صار صوت الرب الإله موضع خوفٍ ورعبٍ لهما، متى سمعاه كانا يختبئان من وجه الرب (تك 3: 8). بسبب ارتباطنا بالأرضيات صرنا نسمع صوته في العاصفة وخلال الرعد، "أرعد الرب من السماوا ت، والعلي أعطى صوته" (2 صم 22: 14). عندما استلم موسى النبي الناموس، قيل: "وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق، والجبل يدخن، ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد" (خر 20: 18؛ راجع خر 19: 16). ويقول المرتل: "صوت رعدك في الزوبعة، البروق أضاءت المسكونة، ارتعدت ورجفت الأرض (مز 77: 18، راجع مز 97: 4، 135: 7). كما قيل: "إذا أعطى قولاً" تكون كثرة مياه في السماوات، ويصعد السحاب من أقاصي الأرض، صنع بروقًا للمطر، وأخرج الريح من خزائنه (إر 10: 13، 16).

❖ حقق الكتاب بهذا القول (خر 29: 18–19) إنه **ليس للمخلوقات طاقة لسماع صوت الخالق**. وإذا سمعوه يكادون أن يموتوا من خوفه، لهذا أنعم علينا بالتجسد في آخر الزمان، حتى يمكن لبني البشر أن يسمعوا صوته ولا يموتوا[آ].

القديس مار إفرآم السرياني

❖ **تقفَ السماء برعدةٍ**، فهي تضعف حتى تصير كلا شيء أمام عظمتك، ولكن الرحم استقبلك واحتواك وحمل مجدك.

القديس مار يعقوب السروجي

[آ] تفسير خروج (20: 18–19).

❖ يليق بنا أن نلاحظ أنه قيل عن صوت اله١إنه يُسمع لا في فرحٍ، بل في رعدةٍ. بالتأكيد كل خاطي يفكر فقط في الأمور الأرضية، ويحمل قلبًا غارقًا في أفكار سفلية، متى تلامس فجأة بوحي النعمة الإلهية يدرك فوق كل شيء أن كل أفعاله يعاقبها الديان الأبدي. لذلك فإن **صوت الرب في البداية يكون في رعدة، ليتحول بعد ذلك إلى العذوبة...**

إذن يمكننا أن نفهم من رعد صوته قوة الخوف، ومن صوت فمه عذوبة التعزية. فإن الذين يملأهم الروح القدس يحذرهم من أفعالهم الأرضية ، وبعد ذلك يعزيهم بالرجاء في السماويات، وذلك لكي ما يفرحوا مؤخرًا بالأكثر في يقين المكافأة بقدر ما كانوا في خوفٍ حين كانوا يتطلعون إلى العقوبات وحدها. يقول بولس: "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضًا للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ: يا أبا الآب" (رو 8: 15)... ها أنتم ترون رعدة الاهتداء قد تحولت إلى قوة، يعاقبون خطاياهم بالندامة، ويصعدون حتى إلى ممارسة الحكم، ليقبلوا هذه القوة من الله، هذه التي كانوا يرتعبون منها عند يديه.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يقول المرتل: "صوت الرب يحطم الأرز ، الرب يكسر أرز لبنان" (مز 29: 5). صوت الرب في الرعد، غالبًا ما يكسر شجر الأرز، حتى أرز لبنان أقوى أنواعه وأكثره ا صلابة. رياح العاصفة تقتلعه أحيانا بجذوره ، وتحطم قممه العالية المتشامخة، فتنبطح أرضًا. تمثل هذه الأشجار النفوس المتشامخة المعتدة بذاتها، فقد جاء صوت الرب أو كلمة الله المتجسد ليدخل بهذه النفوس إلى حياة التواضع خلال حزن التوبة.

وقد اختار الله ضعفاء العالم ليخز ي بهم الأقوياء (1 كو 27:1)، لكي يتمتعوا هم أيضًا بذاك الذي صار بذاك القدير الذي من أجلهم صار في صورة ضعف.

❖ "**صوت الرب يحطم الأرز**". بالتوبة يكسر الرب أولئك الذين يمجدون ذواتهم بشرف أصلهم الزمني، والذين يقفون في خجل حينما يختار أدنياء هذا العالم ليُظهر فيهم قوته الإلهية.

القديس أغسطينوس

تَحْتَ كُلِّ السَّمَاوَاتِ يُطْلِقُهَا،
كَذَا نُورُهُ إِلَى أَطْرَافِ الأَرْضِ [3].

حديثه أشبه بالبرق الذي ينطلق من أقصى المسكونة إلى أقصاها كما يرى الإنسان، ففي غمضة عين يرى الكل حنوه ويسمع الجميع صوته.

"**إلى أطراف الأرض**" ، جاء النص في العبرية: " **إلى أجنحة الأرض**" ، مشبهًا الأرض كلها بطائرٍ يبسط جناحيه فيطير، وها هو يتمتع بصوت الرب ونوره، ليحلق في السماوات عينها.

مع أن حديث الرب شخصي للمؤمن، لكنه كمحبٍ لخليقته يتحدث علانية تحت كل السماوات، ويُسمع صوته في أركان المسكونة الأربعة، لكي يسمع السمائيون والأرضيون جميعهم صوته، ويدركون أسراره. في حديثه يهتم بالأبرار العظماء في الإيمان، كما بالخطاة فينقيهم حتى من أتفه الضعفات.

❖ كأنه يقول بوضوح: ذاك الذي يدير الأمور العلوية لا ينسى حتى الأمور الضئيلة جدًا... إنه يهتم بكل شيءٍ بالتساوي، يدبر كل شيءٍ بالتساوي. ذاك الحاضر في كل المواضع، لا يُحد بموقع ما، ولا يهتم بمواضع مختلفة بطريقة بتحيزٍ...

إنه يهتم حتى بأتفه ما في ضعفاتنا. يُرى نوره كما في أقاصي الأرض تحت السماوات. بعد عبور الأعمال السامية التي للذين يقفون أمامه، يهتم بطرق وأفعال الخطاة باستنارة نعمته عليهم. وإن كان لا يُظهر علامات عجيبة في حياة المؤمنين، إلا أنه لا يتخلى عن هؤلاء المؤمنين وذلك بالعمل فيهم.. بالتأكيد نهاية الأرض هي نهاية الخطاة. فإن كثيرين ينسون الله خلال حياتهم مرتبطين بالشهوات الجسدية ، لكن إذ تعمل نعمة الله في وقت متأخر من حياتهم يرجعون إلى الله.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يرى **القديس مار يعقوب السروجي** أن الرعد الذي صاحب الحضرة الإلهية عند استلام موسى الناموس إنما يشير إلى صوت البوق الذي يتقدم العريس القادم للعُرس، وكأن غاية الناموس أو الوصية الإلهية اتحادنا المفرح بالعريس السماوي.

❖ نفخ في الضباب كما لو كان في القرن، وصدر رعد شق الأرض بقوته،

بهذا أيضا كان نظام ذلك العرس محترمًا، لأن الختن يدخل إلى خدره بصوت القرن...

موسى أعطى هذه العلامة التي كان يعرفها هو وحده قبل أن ينحدر عند الشعب...

ارتجت الخلائق بالأصوات والرؤى الرهيبة، لان رب البرية حل في سيناء في الضباب،

انتشرت الرعود بعيدًا على قمة الجبل، وأشارت صارخة: الملك موجود هنا، صرخت الأبواق بقوة على مرتفع سيناء، لتجتمع الأرض إلى موعد الصوت: الرب موجود هناك [آ].

القديس مار يعقوب السروجي

بَعْدُ يُزَمْجِرُ صَوْتٌ،
يُرْعِدُ بِصَوْتِ جَلاَلِهِ،
وَلاَ يُؤَخِّرُهَا، إِذْ سُمِعَ صَوْتُهُ [4].

بعدها، أي بعد البروق أو الإنارة، حيث يُرى نور البروق يصحبه صوت الرعد. هذا ما يفعله الرب بسموه نحو الإنسان، يشرق بنوره ويرعد بصوته، لكي يتمتع بالوعود الإلهية، أو يتجاوب مع تأديباته له.

"**لا يؤخرها، إذ سمع صوته**"، ربما يعني أنه لا يؤخر بروقه التي يشرق بها على قلب الإنسان وفكره، أو لا يؤخر المطر الذي يصحب العواصف حتى ترتوي الأرض بمياه النعمة الإلهية، وتتحول البرية إلى جنة مفرحة، تحمل ثمر الروح.

يرى البعض أنه مع تأكد الإنسان من ظهور البروق وسماع صوت الرعد، يصعب عليه جدًا أن يقتفي أثار هذه الظواهر، ويحدد أماكنها وتحركاتها بدقة. هكذا يتلامس كلمة الله مع المؤمن، فتتفتح عيناه ليرى محبة الله، ويسمع الوعود الإلهية، لكنها تبقى فوق إدراكه، إذ هي فائقة بالنسبة للعقل البشري.

"**لا يؤخرها، إذ سمع صوته**" ، إذ يسمع الإنسان صوت الرعد، لا يقدر أن يمسك بالبروق ويؤخرها لكي يحدد مكانها أو مسافتها الخ.

❖ يا من لُدغ بخطيئة الموت ها إن الحياة معلقة إزاءك. **فأنظر إلى الصليب وعش** . ما لم تنظر إليه تموت. اسقط عليه كالميت على عظام اليشع (2 مل 13: 21). **اسمع صوته مثل لعازر من شقوق الهلاك** . لا تقطع رجاء حياتك، لأن رجاءك ثابت فيه. فالميت لا يشمئز من الاتكال على باعث الحياة. ليس حسنًا لمن فيه جرح أن يبتعد عن باب الأسي... من واجب الخاطي الذي يلح ألا يكف عن أن يطلب المراحم حتى إذا لم ينل الغفران. إن ظن الخاطي في نفسه أنه لا يستحق المراحم، وهو يعلم أنه غير مستحقٍ لنوالها

[آ] الميمر 2 على نزول العلي على جبل سيناء وسرّ الكنيسة (راجع نص الدكتور بهنام سوني).

لا يكف عن التوسل. هذا ما يستحق المراحم[آ].

القديس مار يعقوب السروجي

اَللهُ يُرْعِدُ بِصَوْتِهِ عَجَبًا.
يَصْنَعُ عَظَائِمَ لاَ نُدْرِكُهَا [5].

في وصفٍ رائعٍ يقول إن الله حاضر في كل العاصفة يوجهها حسبما يشاء، يصنع عجائب لا يمكن للعقل البشري أن يدركها. "عجيبة هي أعمالك، ونفسي تعرف ذلك يقينًا" (مز 139: 14). كأنه يقول إن صوت رعده مدهش للغاية، يعلن عن قوته وجلاله وحكمته. ليس فقط في الرعد والبروق، وإنما في كل شيءٍ نتلمس عمل الله العجيب.

هكذا كان أليهو يهيئ أذهان كل الحاضرين لظهور الرب وحديثه خلال العاصفة. يقول المرتل: "أبصرتك المياه يا الله، أبصرتك المياه ففزعت، ارتعدت أيضًا اللجج؛ سكبت الغيوم مياهًا، أعطت السحب صوتًا، أيضًا سهامك طارت؛ صوت رعدك في الزوبعة، البروق أضاءت، المسكونة ارتعدت ورجفت الأرض" (مز 77: 16-18).

❖ **يرعد الله بطريقة عجيبة بصوته، إذ يخترق قلوبنا بقدرته السرية بطريقةٍ لا يُعبر عنها.**

فبينما يسيطر صوته علينا بالخوف بفعله السري ويشُكلنا في الحب، يعلن بطريقة صامتة كيف يشتاق أن نتبعه...

"**يصنع عظائم لا ندركها (غامضة)**". فالإنسان الذي استسلم للأمور الأرضية ، واستبدت به الشهوات الشريرة ، يصير فجأة غيورًا لمساعٍ جديدة ، وباردًا من جهة العادات القديمة، فيجحد الاهتمامات الخارجية، ويشغف بالتأمل الداخلي. من يقدر أن يعبِّر عن قوة هذا الصوت العلوي؟... إنه ينطق بصوته حتى بواسطة الرسل، وهو الذي ينير قلوب السامعين في الداخل بنفسه. يقدم بولس شهادته، إذ يقول: "أنا غرست وأبلوس سقى، لكن الله كان ينمي" (1كو 3: 6). فإنهم وإن كانوا لا يمنحون الاستماع للصوت الإلهي في أذهانهم، لكنهم أرسلوا لكي يقدموا الكلمات من الخارج.

البابا غريغوريوس (الكبير)

ما هي العظائم التي لا ندركها عندما يرعد الله بصوته العجيب، سوى عمل نعمته الخفية فينا، فيقيم منا عجبًا خلال كلمته الفعالة ونعمته الغنية. فكلمة الله ترعد بقدرة عجيبة،

[آ] الرسالة الثانية والعشرون (راجع نص الدكتور بهنام سوني).

وتعمل بغنى في داخلنا، وكما يقول المرتل: "أرسل كلمته فشفاهم، ونجاهم من تهلكاتهم" (مز 107: 20).

❖ يُخبر بعجائب الله (مز 9:1) من يراها تتحقق ليس فقط علنًا في جسده، وإنما أيضًا بطريقة غير منظورة في نفسه، بل هذه العجائب أكثر سموًا ورفعة. فالبشر كأرضيين وينقادون بما يرونه بالعين يتعجبون بالأكثر أن لعازر الميت يقوم في الجسد، أكثر من تعجبهم أن بولس المُضطهِد يقوم في الروح (يو 11؛ أع 9). ولكن تدعو الأعجوبة المنظورة النفس للتمتع بالنور، أما بالأعجوبة غير المنظورة فيعبر الإنسان ليتحدث عن كل عجائب الله[1].

القديس أغسطينوس

❖ لا تخجلوا من عطية النعمة، فإنها أكثر عجبًا من قوة إقامة الموتى وصنع العجائب .

القدِّيس يوحنا الذهبي الفم

2. الأمطار الغزيرة والثلج

لأَنَّهُ يَقُولُ لِلثَّلْجِ: اسْقُطْ عَلَى الأَرْضِ.

كَذَا لِوَابِلِ الْمَطَرِ، وَابِلِ أَمْطَارِ عِزِّهِ [6].

يتحدث أليهو عن العواصف الثلجية، حيث يسقط الثلج الثقيل – وليس البَرَدْ – فبسبب شدة برودة الجو يتحول المطر إلى ثلج، ويسقط ويستقر على الأرض، فيجعل منها بساطًا ناصع البياض، يعكس النور بطريقة مبدعة. يشير هذا الثلج إلى حكمة الله التي يهبها على كنيسته ويتمتع بها المؤمنون، فيحملون برّ المسيح الطاهر، ويعكسون بهاءه.

بأمره يسقط المطر الخفيف، كما الأمطار الثقيلة، فكل الظواهر لا تتحرك إلا بأمره، إذ هي تحت سلطانه.

❖ إذ يقول المرتل: "تغسلني فأبيض أكثر من الثلج" (مز 51: 7). ماذا نفهم بالثلج إلا قلوب القديسين التي صارت بيضاء بنور البرّ؟... الماء إذن هو عقول الكارزين التي تثبت في معانٍ عالية للأمور، عندما يرتفعون بالتأمل في السماويات...

بالتأكيد كان بولس يمطر ماءً على الأرض عندما عرف الناموس بطريقة جسدانية.

---

[1] *On Ps. 9.*
[2] *Homilies on Philippians, homily 4.*

لكنه إذ ارتفع إلى المعرفة السماوية تحول إلى ثلج. لقد غيَّر معرفته السابقة الواهية إلى صلابة الحكمة الحقيقية، رجع ونزل على إخوته، إذ عاد ثلجًا إلى الأرض. فإنه حتى بعد بلوغه أعالي الفضيلة، كان يعرف كيف كان غير مستحقٍ، قائلاً: "أنا الذي كنت مجدفًا ومضطهدًا" (1 تي 1: 13). انظروا كيف وضع بعين الاعتبار أن يبتدعي عقله ليتذكر ضعفه، لكي يحتمل ضعفات الآخرين. عاد بولس كما بكونه في السماء إلى الأرض التي أُخذ منها، هذا الذي بعد بلوغه إلى الأسرار العظيمة لتأملاته، يتذكر أنه كان خاطئًا حتى يفهم الخطاة بتواضعه....

"**أمطار قوة الله عِزِّهِ**"، هي الكرازة بناسوته، التي قال عنها بولس (1 كو 1: 25)، وأيضًا: "لأنه وإن كان قد صُلب في ضعفٍ، لكنه حيّ بقوة الله" (2 كو 13: 14). لكن القديسين كرزوا هكذا بضعف ناسوته لكي يسلكوا في قلوب السامعين بقوة اللاهوت أيضًا.

ليتنا نسمع خلال رعد السحاب **أمطار قوته:** "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" (يو 1: 1). لنسمع **أمطار ضعفه:** "والكلمة صار جسدًا وحلّ بيننا" (يو 1: 14).

البابا غريغوريوس (الكبير).

❖ لأننا قد تجددنا بالتجديد الذي نلناه في المعمودية، وتجددنا خلال سكب الروح القدس، وسنتجدد أيضا بالقيامة ، كما يقول في داود نصٍ آخر : "فيتجدد مثل النسر شبابك" (مز 103:5) فاعلموا طريقة تجديدنا: "تنضح عليَّ بزوفاك فأطهر، **تغسلني فأبيض أكثر من الثلج**" (مز 51:9) وفي إشعياء: "إن كانت خطاياكم حمراء كالقرمز، **تبيض كالثلج**" (إش 1:18) **ومن يتغير من الظلمة ، ظلمة الخطية ، إلى نور الفضيلة وإلى النعمة، إنما قد تجدد فعلاً.** لهذا فإن ذاك الذي تلطخ قبلاً بالدنس الأحمق، يشرق الآن بسطوع أكثر بياضًا من الثلج [1].

القدِّيس أمبروسيوس

يَخْتِمُ عَلَى يَدِ كُلِّ إِنْسَانٍ،
لِيَعْلَمَ كُلُّ النَّاسِ خَالِقَهُم [7].

في البلاد التي تسقط فيها الثلوج خلال العواصف الثلجية، كان الكل، خاصة

[1] *Prayer of David, Book 4:9:35.*

الفلاحون، يلزمون بيوتهم في فترة الشتاء، وكأن الله بمحبته يختم على أيديهم ليستريحوا في فصل الشتاء القارس من الأعمال خارج البيت، ويخرجون بعد الشتاء للعمل بنشاطٍ وقوة.

الطبيعة التي خلقها الله لخدمتنا صارت معلمًا لنا. فخلال تعاقب الفصول يدرك البشر خطة الله من نحو الإنسان. فيعرف الإنسان أن للعمل وقتًا وللراحة وقتًا. هكذا يليق بالإنسان من حين إلى آخر أن يدخل إلى راحة التأمل في عمل الله وطلب إشراق روح الله عليه، ليكشف له عن محبة الله كما يكشف له عن ضعفاته وأخطائه، فيقدم دائمًا توبة مستمرة مع رجاءٍ مفرحٍ وشكرٍ لله غافر الخطايا.

❖ إذ يستخف البشر بالتفكير في الخطايا التي يرتكبونها، لهذا عندما يسمعون بقوةٍ الحزم السماوي، يدركون ثقل أفعالهم الرديئة التي تهدر حياتهم...

يمكن أن تفهم هذه العبارة (أي 37: 7) بمعنى آخر. فإن الخالق قدير عن كل الخلائق التي بلا حسٍ ولا عقلٍ، لكي يلتزم الإنسان ألا يجهل ما يفعله. إنه ملتزم بناموس الطبيعة، ليدرك ما يفعله إن كان حقًا أو خطأ. فإنه لماذا يُدان على سلوكه لو كان جاهلاً ما فعله؟... لذلك حسنًا قيل: "لأن الشر يدل على الجبن ، حين يحكم على نفسه أن سلوكه يستحق الإدانة" (راجع حك 17: 11)... مقابل هذا قيل بيوحنا: "إن لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله" (1 يو 3: 21)

البابا غريغوريوس (الكبير)

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن يد الله الواضحة في الطبيعة والتي تشهد لقدرته الفائقة تدفع الإنسان إلى اكتشاف ضعفه الذاتي مع إمكانياته الجبارة بالله القدير، وفيما هو ضعيف يدرك أنه بالله قوي. "ليقل الضعيف بطل أنا" (يوئيل 3: 10). كما يقول **الرسول بولس:** "لأني حينما أنا ضعيف، فحينئذ أنا قوي" (2 كو 12: 10).

❖ يقول هذا هو السبب لأعماله الخلاّقة، السبب لوجود البرد والحر، ولهبوب الرياح بطريقة تبدو بلا هدف. أما كان ممكنًا أن يقدم مجموعة متناسقة معًا؟ لم يفعل الله ذلك، لكي ما يمنع بكل وسيلة الفكر المتكبر المتعجرف.

يفعل هذا لكي يعرف كل إنسانٍ ضعفه. على عكس هذا جاءت خلقة تكوين الجسم وسير حياتنا ، فقد نُظمت بطريقة تقودنا إلى التواضع حتى نتعلم السلوك باعتدال، وأن ندرك ضعفنا. لنقل مثل إبراهيم: "أنا تراب ورماد" (تك 18: 28)، ومثل داود: "أنا دودة لا

إنسان" (مز 22: 6)، ومثل الرسول: "وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا" (1 كو 15: 8).

لقد خلق الإنسان ضعيفًا، لكن الإنسان يحسب نفسه قويًا، ولذلك صار أكثر ضعفًا. لكن يظهر الله قوته أحيانًا لكي يهبنا فهمًا (وقوة) في داخلنا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يحثنا الله الكلمة ويقوينا حتى نبتعد عن الشياطين، ونتبع الله الحيّ وحده بابنه.

نحن الذين اِنغمسنا زمانًا في الزنا، الآن نقبل الطهارة وحدها.

استخدمنا قبلاً فنون السحر، والآن نكرس أنفسنا لله الحيّ الصالح.

كان همنا فوق كل شيء أن نكسب ثروات وممتلكات، والآن نأتي بما نملكه ليصير ملكًا عامًا ليأخذ منها كل محتاجٍ.

كرهنا بعضنا البعض ودمرنا بعضنا البعض بسبب اختلاف سلوكنا ، إذ كنا نرفض العيش مع من هم من قبيلة أخرى، أما اليوم فمنذ مجيء المسيح نعيش معًا في أُلفة . اليوم نصلي من أجل أعدائنا، ونحاول أن نحث الذين يبغضوننا باطلاً أن يذعنوا لمبادئ المسيح الصالحة ولوصاياه بغية أن يشاركونا ذات الرجاء المفرح لنوال مكافأة يقدمها الله ضابط الكل[1].

الشهيد يوستين

فَتَدْخُلُ الْحَيَوَانَاتُ الْمَأْوِيَ،

وَتَسْتَقِرُّ فِي أَوْجِرَتِهَا [8].

يرى أليهو حكمة الله ليس فقط من جهة الإنسان، وإنما حتى من جهة حيوانات البرية المفترسة. ففي فترة الشتاء حيث البرد القارس تلتزم هذه الحيوانات بالبقاء في خمول في جحورها وكهوفها، تكاد تكون بلا حركة، وهي بهذا لا تحتاج إلى طعامٍ كثيرٍ تقتات به.

يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن أليهو يتحدث عن الحيوانات المفترسة، إبليس وجنوده، الذين يدخلون في قلوب الأشرار وأفكارهم ويستقرون فيها بكونها مملكتهم. أما بالنسبة للأبرار، فإن الشياطين تهاجمهم، وقد تقتحم أعماقهم إلى حينٍ، ولن يستطيعوا أن يستقروا فيها.

❖ ماذا يقصد بالحيوان إلا عدونا القديم الذي بعنفٍ هدف نحو خداع الإنسان الأول وتشويه

---

[1] *Apology, 1:14.*

كمال حياته بمشورته الشريرة؟ ضد هذا جاء الوعد بكلمات النبي بخصوص إصلاح كنيسة المختارين إلى حالها القديم: "وحش مفترس لا يصعد إليها" (إش 35: 9)...

أظن أنه يلزم ملاحظة أن هذا الحيوان قيل عنه ليس أنه يدخل عرينه، بل **يستقر** فيه. فإنه يدخل أحيانًا في أذهان الصالحين، ويقترح أفكارًا غير لائقة، ويرعبهم بالتجارب، ويسعى أن يفسد استقامة الروح بملذات الجسد. إنه يجاهد أيضًا لأن يحمل اللذة قدر ما يقبلها الشخص. إنه يدخل عقول الصالحين، **لكنه لا يقدر أن يستقر فيها** ، لأن قلب البار ليس عرينًا لهذا الشخص.

البابا غريغوريوس (الكبير)

مِنَ الْجَنُوبِ تَأْتِي الأَعْصَارُ،
وَمِنَ الشِّمَالِ الْبَرَدُ [9].

في الكتاب المقدس حيث أغلب الأحداث الواردة فيه تمت في منطقة الشرق الأوسط، يُنظر إلى الرياح الجنوبية أنها حارة، بينما الشمالية باردة. حين تحل الرياح الشمالية الباردة تمتلئ السماء بالسحب مع الرعد والبرق، وإذا تهب الرياح الجنوبية الحارة تَتبدد السحب ويزول الضباب.

يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن الأعصار الحارة تأتي من الجنوب والبَرَد من الشمال، الأولى تشير إلى المؤمنين الحارين في الإيمان حيث تشرق عليهم الشمس كما في منتصف النهار، والثاني يشير إلى غير المؤمنين المحرومين من الشمس ، فيبقون في برود روحي.

- من يتعلم أن يمارس عمل الله في هذا العالم – وادي الدموع والأتعاب هذا – يصير متهللاً مثل المزارع المُجِدْ الذي يزرع البذار حتى في موت الشتاء، فهل تقدر الرياح الباردة والجو القاسي أن يمنعه عن العمل؟ حتمًا لا! هكذا يليق بنا أن نتطلع إلى متاعب هذه الحياة. تُلقى الملاهي في طريقنا بواسطة الشرير، بقصد أن نَحد عن الأعمال الصالحة التي خُلقنا لكي نعملها. تطلعوا ماذا يقول المرتل: "من يخرج باكيًا..." بالحق يجد علة للبكاء، يجد كل واحدٍ منا ذلك. ومع هذا يلزمنا أن نسير، ممارسين أعمال الله الصالحة في طريقنا.

كم نكون بائسين إن كنا قد دُعينا للعمل بجدية لكي نبكي فقط دون التطلع إلى أية ثمرة لعملنا. يا لنا من بائسين إن كنا لا نجد أحدًا يمسح دموعنا.

لكننا نعرف أن الروح القدس يعمل لكي نستمر في الغرس وسط دموعنا. لأن الروح يعدنا خلال المرتل أننا نعود مندهشين بالفرح! نحمل ثمر تعبنا كتقدمة له[1].

القدِّيس أغسطينوس

❖ "استيقظي يا ريح الشمال ، وتعالي يا ريح الجنوب" (نش 4: 16)... دعنا نوجه اِهتمامنا إلى الطريقة التي تجعل بها الملكة ريح الشمال يبتعد عنها ثم يرجع إليها. إنها لا تأمرهأن يسكن كما أمر السيد المسيح العاصفة أن تهدأ عندما كان سائرًا على المياه (لو 8: 23-24) ولكنها أمرت ريح الجنوب أن تهب وأن لا تعترضها أي ريح معاكسة قالت لريح الشمال: "استيقظي" ما هو السبب في حركة هذه الرياح؟ تتكلم الأمثال عن هذه الرياح: "من يخبئها يخبئ الريح ويمينهتقبض على الزيت" (أم 27: 16)، ولكن لا تهب ريح الشمال عن يمين الشخص في اِتجاه الغروب... وحركة الشمس في اِتجاه الغروب. أنت تفهم حقيقة ما تحتويه هذه الكلمات من أسرار: تشرق الشمس من الشرق وتسرع نحو الغروب أي ناحية قوى الظلمة، يقع الشمال على يمين الشمس ويستقبل إهانات أثناء رحلته التي تنتهي في الظلمة. لذلك يجد الشخص الغير منضبط نفسه كأنه ريح الشمال يسلك ويعمل أعم الاً مشينة. هذه الريح الشريرة على اليمين تمتلئ طمعًا عندما ترفع أكوامًا من الأشياء المالية ، كأنها رمل أو تراب، ونتيجة لهذا فإن ريح الشمال تتعاون مع أخطاء كل شخص وتهبّ على جانبه الأيمن ولكن إذا كانت هذه الريح شديدة جدًا فإنها تغيّر وتقلب الأمور وتزيل متعة الفرح، لذلك تجعل العروس ريح الشمال التي تأتي قوتها من الأهواء أن تهرب تحت مسئوليتها: "اِستيقظي يا ريح الشمال".

تشير ريح الشمال إلى القوى المضادة (لله)، ويظهر هذا بوضوح لأي شخص يبحث في طبيعة الحق المرئي فمن لا يدري بمسار الشمس بعد شروقها؟ أنها تظهر وكأنها تتحرك نحو الجنوب وتغرب في الغرب. ويقول الخبراء أن الأرض كرويّة، فإذا أض يء نصف الأرض بالشمس يكون النصف المقابل له مظلمًا لوقوعه في منطقة ظل الأرض. ولما كان القطب الشمالي للأرض باردًا باِستمرار ولا تدفئه أو تضيئه أشعة الشمس، فإن القوة المتحكمة في الظلمة تُحجز النفوس وتجعلها جامدة، يسم ي النشيد هذا التجمد، "الشمال" أي تأثير ظلام الشتاء. إني أُسميه الشتاء الذي أشار إليه الإنجيل قائلاً: "وصلوا

[1] *Homilies on Ps. 2.*

لكي لا يكون هربكم في الشتاء" (مت 24: 20). وفي الشتاء تنطفئ الصفات المزدهرة حسب الفضيلة.

أصابت الملكة حينما أمرت بسلطانها دفع ريح الشمال بعيدًا. ونادت على ريح منتصف النهار الدافئ الذي تسميه ريح الجنوب ، وبواسطته يفيض تيار جارف من السرور: "تعالي يا ريح الجنوب ، هبِّي على جنتي فتقطر أطيابها". وتشبِه هذه الريح القوية التي هبت في العلية عندما كان التلاميذ فيها (أع 2:2) "وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار ، واستقرت على كل واحد منهم ". وكأنهم نباتات حية تساعد هذه الريح حديقة الله على إنتاج الأعشاب العطرة، وتصدر نبوءات يفوح منها روائح ذكية ووصايا الخلاص للإيمان بفم الرسل ويخرج منها عطر تعاليمهم بكل اللغات. لقد جعلت ريح الجنوب هذه تعاليم المائة والعشرين... الذين كانوا نابتين في بيت الرب تفيض على كل أمم الأرض (أع 1: 15).

تقول العروس الآن لريح الجنوب "هبِّي على جنتي"، لأن عريسها جعلها أمًا للحدائق: ويشمل النص حدائق وينبوع. من أجل هذا يرغب العريس لحديقته، الكنيسة، التي تمتلئ بالأشجار الحيّة، أن تهب عليها هذه الريح ، لكي تحمل منها روائح عطورها. ويقول النبي: "الريح العاصفة الصانعة كلمته" (مز 148: 8). تزينت العروس بزينة الملكة البهية، وغيّرت النهيرات التي تفيض عطرًا إلى شيء أكثر جمالاً ، فجعلتها تفيض من أشجار الحدائق بواسطة قوة الروح القدس. و يمكننا بهذه الصورة أن نتعلم الفرق بين العهد ين القديم والجديد: يمتلئ نهر النبوة بالمياه بينما تمتلئ أنهار الإنجيل بالعطر. وكان نهر القديس بولس يحمل رائحة المسيح العطرة، ويفيض من حديقة الكنيسة بواسطة الروح القدس. والأمثلة الأخرى كيوحنا، ولوقا ومت ى ومرقس وجميع الرسل الآخرين كلهم يرمزون إلى نباتات نبيلة في حديقة العروس ، وعندما تهب عليها في منتصف الظهيرة تصير ريح الجنوب جميعًا ينابيع عطور لرائحة الأناجيل الذكية [آ].

القدِّيس غريغوريوس النيسي

مِنْ نَسَمَةِ اللهِ يُجْعَلُ الْجَمَد ُ(الجليد)،
وَتَتَضَيَّقُ سِعَةُ الْمِيَاهِ [10].

[آ] عظة 10 على نشيد الأناشيد ترجمة الدكتور جورج نوّار.

يُسمح بنزول الجليد (الماء المجمد). وإن كان ظهور الجليد نتيجة عوامل طبيعية، لكن حتى الظواهر لا تتم اعتباطًا، بل الله هو ضابط الطبيعة. يقول المرتل: "الذي يعطي الثلج كالصوف، ويذري الصقيع كالرماد. يلقي جمده (ثلجه) كفتات، قدام برده من يقف؟" (مز 147: 16-17).

- من الذي يصب الهواء بفيضٍ شديدٍ... لا يقدمه بمقاييس حسب رتبة البشر وثرواتهم، ولا يُحد بواسطة تخوم معينة، ولا يقسمه حسب أعمار الشعب، وإنما كما كان يوزع المن (خر 16: 18)، يقدم بما فيه الكفاية للكل بالتساوي، ومركبة الخليقة المجنحة، وكرسي الرياح، وفصول السنة الوسيطة، والمحيي الكائنات الحية، أو بالأحرى حافظ الحياة الطبيعية للجسم، التي بها تعيش الأجسام وبها نتكلم، وفيها يكون النور وكل ما يشرق عليها، والبصر الذي يفيض خلالها؟... ما هي مخازن الرياح؟ ما هي كنوز الثلج؟... وكما يقول الكتاب من الذي ولد قطرات الندي؟ من أي رحم جاء الثلج؟ ومن الذي يربط الماء في السحب، ويثبت أجزاء السحب...[1]

- "**عندما ينفخ الله يتجمد الثلج**" [10]. إذ ينفخ الروح القدس على قلوب المؤمنين، ويهب عجائب القوة العظيمة ، ينمو الجسد الذي يسبب شللاً (تخديرًا) في بلاد ة قلوب غير المؤمنين. تصير الجموع غير المؤمنة قاسية ضد الله بذات الأسباب التي تجعل الشعب المتواضع يكف عن العناد الذي ارتبط به. فإنه إذ ينفخ الله عليهم ، أولئك صاروا ثلجًا ، إذ قالوا خلال حسدهم على المعجزات التي صنعها: "هوذا العالم قد ذهب وراءه" (يو 12: 19). لقد رأوا الآيات، وأدركوا المعجزات التي تمت بواسطة خدامه، وسبق فرأوا العالم كله يذهب ليتبع كرازة الإيمان. ومع هذا فكلما ملأ الروح القدس العالم تشب نثا بالأكثر بخبث الحسد الذي يقيد أذهانهم.

"**ويفيض بالماء بغزارة**". لأنه الرب بالحقيقة يسكب المياه بغزارة بعد هذا الجليد. بعد أن احتمل قسوة اليهود، بعد موته، للحال أذاب قلوبهم من قسوة عدم إيمانهم، إذ نفخ عليهم نسمة الحب نحوه، حتى يجروا إليه لطاعته بشغفٍ، قدر المستطاع كما قيل بالحكيم: "كما الجليد في جو سليم هكذا تذوب خطاياكم وتُنزع عنكم" راجع (سي 3: 15)...

عن المياه، أي الشعب المحتشد معًا نحو الرب، يُقال: "يُرسل كلمته فيذيبها. يهب

[1] *The Second Theological Oration, Oration 28: 28.*

بريحه (بنسمته) فتسيل المياه" (مز 147: 18).

ألم يكن بولس جليدًا وهو ذاهب إلى دمشق، بعدما تسلم رسائل ، وكان يعمل ضد بذور كلمة الله التي انتثرت في قلوب المؤمنين كما في الأرض، حتى لا تنبت وتبلغ كمال الأعمال الصالحة؟ لكن هذا الجليد تحول إلى ماء، وإذ رُوي فيما بعد بمجارى النصائح المقدسة أولئك الذين سعى قبلاً للضغط عليهم بالاضطهاد. هذا لكي ما يأتوا بحصادٍ وفيرٍ للمحتارين قدر ما ترويها أمطار الله من فم المُضطهد.

القديس غريغوريوس النزينزي

أَيْضًا بِرِيٍّ يَطْرَحُ الْغَيْمَ.

يُبَدِّدُ سَحَابَ نُورِهِ [11].

إذ يروي الرب الأرض يقوم بتفريغ السحاب السميك لكي يهطل أمطارًا على الأرض، حتى تنبت وتظهر براعم. جاء في الترجمة السبعينية: "الحنطة تطلب سحابًا".

"**يُبَدِّدُ سَحَابَ نُورِهِ**". يرى البعض أن الله في محبته يجعل السحب الكثيفة أشبه بالسيدة الحامل التي تتوجع وهي تنجب طفلاً. تجلب السحب الكثيفة أمطارًا فتتبدد، كأنها تحتمل آلامًا من أجل خدمة الإنسان وإرواء الأرض له.

إذ تسقط الأمطار تصير السحب خفيفة ومنيرة.

فَهِيَ مُدَوَّرَةٌ مُتَقَلِّبَةٌ بِإِدَارَتِهِ،

لِتَفْعَلَ كُلَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ الْمَسْكُونَةِ [12].

تبدو السحب كأنها تدور حول نفسها بطريقة عشوائية. يحرك الله السحب حسب مسرته، فتطيعه وتذهب من موضع إلى آخر على وجه الأرض. ليس لدى السحب الإمكانية لتتحرك حسب هواها، إنما تتم مشيئة الخالق.

إن كانت حركات السحب تحتاج إلى تدبير إلهي، كم بالأكثر تحتاج البشرية إلى هذا التدبير. يقول الحكيم: "حيث لا تدبير يسقط الشعب، أما الخلاص فبكثرة المشيرين" (أم 11: 14). "المقاصد تثبت بالمشورة، وبالتدبير أعمل حربًا" (أم 20: 18).

يحدثنا المرتل عن خضوع الطبيعة بكل ظواهرها لله، قائلاً: "النار والبرد الثلج والضباب، الريح العاصفة **الصانعة كلمته**" (مز 148: 8).

سِوَاءٌ كَانَ لِلتَّأْدِيبِ،

أَوْ لأَرْضِهِ أَوْ لِلرَّحْمَةِ يُرْسِلُهَا [13].

تحركات الطبيعة مثل السحب المثقلة بالأمطار التي تبدو عشوائية، هي بسماحٍ من الله، إما للتأديب أو علامة رضا الله على الإنسان أو من قبل حنانه ورحمته عليه.

يسمح بالعواصف والطوفان أحيانًا للتأديب، كما حدث في العالم القديم (تك 7: 11-12).

"**لأرضه**"، إذ يرسل الله مطرًا على الأرض علامة رضاه ومسرته بالإنسان، يحسب الأرض أرضه هو. يقول المرتل: "للرب الأرض وملؤها، المسكونة وكل الساكنين فيها" (مز 24: 1).

جاء النص في الفولجاتا: "سواء في قبيلة واحدة أو في أرضه أو في أي أرض، حسب رحمته يرسلها". فإن كانت العواصف والسحب المملوءة مطرًا تتحرك حسب مسرته، فهو أيضًا يحدد لها الموضع الذي تهب فيه أو تسقط عليه.

بقوله "**لأرضه**" يود الله أن يؤكد أنه يشتاق أن يعيش الإنسان كما في أرض الرب، كأنه يقيم منه آدم آخر يسكن في جنة الله التي يغرسها بيديه ويرويها بمياه نعمته، لتقدم ثمارًا مفرحة ومبهجة للإنسان التقي.

3. أيوب قاض غير مؤهل للحكم على عناية الله

أَنْصِتْ إِلَى هَذَا يَا أَيُّوبُ،

وَقِفْ وَتَأَمَّلْ بِعَجَائِبِ اللهِ [14].

يدعو أليهو أيوب أن يحول نظره عن الضيقات التي تحل به، والتي دفعته للتذمر، إلى التأمل بجدية في عجائب الله، وأعماله الفائقة من أجل المؤمنين. بهذا يمتلئ فكره وقلبه بحب الله ويدرك رعايته الإلهية، فتستريح نفسه في داخله. يقول المرتل: "عظيمة هي أعمال الرب، مطلوبة لكل المسرورين بها" (مز 111: 2).

أَتُدْرِكُ انْتِبَاهَ اللهِ إِلَيْهَا،

أَوْ إِضَاءَةَ نُورِ سَحَابِهِ [15].

يتساءل أليهو: هل يمكن للإنسان أن يدرك كيف يحرك الله العواصف والسحب والأمطار الخ، وكيف يخرج برقًا منيرا من سحب قاتمة مظلمة؟

أَتُدْرِكُ مُوازَنَةَ السَّحَابِ،

مُعْجِزَاتِ الْكَامِلِ الْمَعَارِفِ [16].

من يعرف كيف تصير السحب معلقة في الجو في اتزانٍ عجيب، وكيف تتكون من الماء المتبخر وتتجمع معًا في الهواء، وتبقى سابحة في مكانٍ معينٍ لمدة معينة، كأن يدًا خفية تمسك بها وتحفظها، ثم تهطل كأمطارٍ لتروي الأرض. إنها تكشف عن حكمة عظيمة وكاملة!

مع ما بلغه العلم والمعرفة فإن هذه الظواهر يمكننا تبريرها، لكنها ليست تحت سلطان الإنسان، ويعجز عن إدراك كل أسرارها بدقة.

كَيْفَ تَسْخُنُ ثِيَابُكَ إِذَا سَكَنَتِ الأَرْضُ مِنْ رِيحِ الْجَنُوبِ [17].

كيف يفسر الإنسان أن جسمه يصير دافئًا عندما تهب الرياح الجنوبية الدافئة، وتصير حتى الملابس دافئة؟

رأينا في سفر النشيد كيف تطلب العروس أن تهب عليها ريح الشمال وأيضًا ريح الجنوب، فتعطي جنتها الداخلية ثمار الروح المبهجة (نش 4: 16).

يرى البعض أن أليهو يقدم هذا التساؤل بطريقة تهكمية، فإنه من أبسط الأمور أن تصير الثياب دافئة عندما تهب رياح دافئة، مع هذا لا يقدم الإنسان تفسيرًا دقيقًا لهذه الظاهرة.

هَلْ صَفَّحْتَ مَعَهُ الْجَلَدَ الْمُمَكَّنَ كَالْمِرْآةِ الْمَسْبُوكَةِ؟ [18]

يسأله: هل بسطت مع الله جَلَدْ السماء القوي مثل مرآة مسبوكة؟ هل كنت مع الله حيت صنع اتساع الرياح وامتدادها بما يتناسب مع وزنها؟

ألاَّ ترى كيف تكون السماء وهي صافية أشبه بمرآة مسبوكة ضخمة وقوية؟

هنا يتحدث عن جَلَدْ السماء كمرآة. يتحدث عنها الكتاب المقدس أيضًا بكونها أشبه بخيمة أو ستارة: "الذي ينشر السماوات كسرادق (كستارة)، ويبسطها كخيمة للسكن" (إش 40: 22). وأيضًا كدرجٍ: "وتلتف السماوات كدرجٍ، وكل جندها ينتثر كانتثار الورق من الكرمة، والساقط من التينة" (إش 34: 4). وأحيانًا كثوبٍ: "السماوات هي عمل يديك. هي تبيد وأنت تبقى، كلها كثوبٍ تبلى، كرداءٍ تغيرهن فتتغير" (مز 102: 25-26).

"**قوية**" حتى أنها تسند نفسها بنفسها.

عَلِّمْنَا مَا نَقُولُ لَهُ.

إِنَّنَا لاَ نُحْسِنُ الْكَلاَمَ بِسَبَبِ الظُّلْمَةِ! [19]

يدعو أليهو أيوب إلى الاهتمام بالرعد، الذي يرمز إلى صوت الله، الذي يعبّر عن

عظمة الله. في تواضعٍ يعلن أليهو أن فكر الإنسان مظلم للغاية، عاجز عن الدخول في جدالٍ مع الله العظيم، وإن فعل هذا فليتوقع دماره [١٩–٢٠].

إذ يشعر أليهو بالرهبة الشديدة نحو الله يسأل أيوب أن يعلمه ماذا يقول لله المهوب، أية كلمات يمكنه أن ينطق بها مع عظمة الله.

كثيرًا ما ردد أيوب ملتمسًا أن يدخل في محاكمة مع الله، وأن يلمس الحضرة الإلهية لكي يشكو له مما هو عليه. لذا ينصحه أليهو ألاَّ يطلب هذا، فستهرب الكلمات من شفتيه حين يقف أمام جلال الله العظيم.

كأنه يقول له: "يبدو عليك أنك حكيم جدًا، ولك معرفة كاملة عن الله؛ هب لنا أن نكون حكماء مثلك، فنقدر أن نقترب من الله، ونتحدث معه، لأننا نشعر كمن قد التحفوا بالظلمة. من جانبنا نعترف بجهلنا وعجزنا، أخبرنا وعلمنا كيف نقف لنحاوره!" أو كأنه يقول له: "لا يقدر البشر على تفسير عجائب الله وإدراك أسرارها، وبالتالي لا نقدر أن ندخل في خصومة معه. علَّمنا كيف يمكننا أن نفعل هذا؟"

هَلْ يُقَصُّ عَلَيْهِ كَلاَمِي إِذَا تَكَلَّمْتُ؟
هَلْ يَنْطِقُ الإِنْسَانُ لِكَيْ يَبْتَلِعَ؟ [20]

يقول: هل يمكنني أن أتجاسر وأهمس في حضرة الله؟ وإن تكلم أحد ضدي، واتهمني أمامه بسبب ما قلته، حتى وإن قدم الاتهام بنية صادقة، كيف أتجاسر وأقف في حضرته؟ فإنني أُبتلع من الرعب، وأهلك بسمو عظمته.

إن تجاسر أحد وتكلم بما لا يليق بعظمة الله، أي كان متذمرًا، يُبتلع تمامًا!

وَالآنَ لاَ يُرَى النُّورُ الْبَاهِرُ الَّذِي هُوَ فِي الْجَلَدِ،
ثُمَّ تَعْبُرُ الرِّيحُ فَتُنَقِّيهِ [21].

إن كانت عظمة الله الآن مخفية، حتمًا ستُعلن في وقت ما فجأة في كمال بهائها، حيث تبدد الظلمة عن عيني أيوب. وذلك كما يحدث بالنسبة للشمس التي تختفي أشعتها خلف الغيمة، لكن ما أن تهب الرياح وتبدد السحب حتى يظهر بهاؤها.

هكذا يليق بالمؤمن الذي تحجب التجارب عن عينيه رؤية بهاء مجد الله وبرَّه وعدله أن ينتظر في صبرٍ وطول أناةٍ، إذ يهب الروح القدس عليه، فيزيل عنه غمامة الظلمة، ويرى ما كان مخفيًا عن عينيه.

إذ كانت العاصفة قد بدأت فعلاً يطلب أليهو من أيوب أن ينتظر بصبرٍ، فقد اقترب الوقت الذي فيه يتجلى الله له ببهائه، ويتحدث معه بعد أن تطرد الرياح سحابة التجارب التي أظلمت عينيه.

يرى البعض أن أليهو هنا يشير إلى عجز الإنسان عن رؤية الشمس في بهائها متى هبت الرياح وصارت السماء صافية من السحب، فكيف يطلب أن يرى الله وجهًا لوجه ليعرض شكواه أمامه. يليق به عوض ذلك أن يسجد أمامه، خاضعًا له بروح التواضع، عوض التذمر والتحدث مع الله كمن يتهمه.

يعلن الله عن ذاته كسحابة جارية هذه التي تترك نور الشمس لامعًا للغاية، يمكن أن يرى في بهاء مجده الذي يكتنفنا [٢١-٢٢].

مِنَ الشِّمَالِ يَأْتِي ذَهَبٌ.

عِنْدَ اللهِ جَلاَلٌ مُرْهِبٌ [22].

جاء في الترجمة السبعينية: "**السحب تتلألأ مثل الذهب**".

إذ رأى أليهو العاصفة قادمة من الشمال، أوضح أن السحب القادمة مع العاصفة تبرق مثل الذهب الخالص اللامع كرمزٍ لاقتراب الله.

يرى **القديس أغسطينوس** أن الشمال يشير إلى مدينة الأمم حيث صهيون في الجنوب، وأن إبليس كان يسيطر على الشمال ، حيث يقول: "أصعد إلى السماوات، ارفع كرسي فوق كواكب الله، وأجلس على جبل الاجتماع **في أقاصي الشمال** " (إش 14: 12-13). إذ يقبل الأمم الإيمان بالسيد المسيح ، يتركون مملكة إبليس، ويتحررون منها ، فيأتون من الشمال ، وقد صاروا ذهبًا، أي صاروا ملوكًا، استناروا بالنعمة في المسيح يسوع؛ صاروا سحابًا ذهبيًا [1].

4. الله كامل وعظيم ومهوب

الْقَدِيرُ لاَ نُدْرِكُهُ.

عَظِيمُ الْقُوَّةِ وَالْحَقِّ وَكَثِيرُ الْبِرِّ.

لاَ يُجَاوِبُ [23].

إن كان الله يقترب نحو أيوب خلال بهاءٍ منظورٍ تحفه السحب والعواصف ويجلس على عرش من ذهبٍ مصقول، لكن – في رأي أليهو – يستحيل لأحدٍ ما أن يدرك الله، فإن

[1] *St. Augustine: On Ps, 48 (47).*

عظمته فائقة للغاية، وقدرته لا تُحد، وهكذا عدله وبرّه. وأنه يليق بأيوب أن يعلم مقدمًا أن ظهور الله له لا يعني أن سيجاوب على أسئلته، فليس من حق الخليقة أن تستجوب الله، وهي عاجزة عن إدراك حكمته.

لِذَلِكَ فَلْتَخَفْهُ النَّاسُ.

كُلَّ حَكِيمِ الْقَلْبِ لاَ يُرَاعِي [24].

يليق بالبشر حين يلتقون بالله أن يعترفوا أنهم خطاة وجهلاء وبائسون، يخشون القدوس الحكيم وحده.

لا يحابي الله إنسانًا كمن هو حكيم في عينيه، لأنه أية حكمة تُنسب لإنسان ما إن قورنت بالله كلي الحكمة والعلم والمعرفة؟ أي صلاح ينسب إليه إن قورن بالقدوس وحده؟

هكذا يختم أليهو حديثه بطريقة مختلفة تمامًا عن الثلاثة أصدقاء. يختمه بإبراز عظمة الله وجلاله وحكمته وقدرته التي يليق بكل إنسان – مهما كانت قدرته ومواهبه – أن يخضع في انسحاق أمام الله.

ختم حديثه بأنه يرى العظمة الإلهية تقترب لتلتقي مع أيوب كسحابةٍ من ذهب بهي مصقول، ويود أن يتهيأ أيوب لهذا اللقاء بالكف عن التذمر والشكوى، وأن يعترف بأعمال الله العظيمة وعدله وبرّه.

يرى أليهو أن الرب قادم، ويليق أن يتوقف كل حديث بشري أو جدال، ليخضع الكل في صمتٍ، وينصتوا للصوت الإلهي.

يكفينا أن نقتنع بأنه يعمل بعدلٍ [٢٣-٢٤].

من وحي أيوب 37

ليرعد صوتك في قلبي!

❖ لتهبّ عاصفة حبك في أعماقي، وليرعد صوتك في قلبي!

ليس من يقدر أن يغير أعماقي سوى صوت حبك.

وليس من يهبني مخافتك الرهيبة والمملوءة عذوبة سوى صوتك.

رعد صوتك يهز كل كياني. يحطم كل فسادٍ في داخلي،

ويعزل نفسي عن كل مشاغلٍ زمنية.

في رهبة عذبة يرتفع فكري إلى عرش نعمتك.ويُمتص عقلي في جلالك!
أود ألا أفارقك حتى أنطلق من هذا العالم.

❖ رعد صوتك يحطم الأرز المتشامخ، فيقتلع مني كل كبرياء.
تمطر سحب حبك على أرض قلبي، فتحولها إلى جنة سماوية مفرحة.
تحمل ثمار الروح الفائقة.

❖ وسط هذا السحاب الكثيف تبرق فجأة.
أرى أشعة أنوارك إلى لحظات، فتستنير نفسي بك، وأتعرف علي أسرارك.
نورك يبرد كل ظلمة فيَّ. ويحوِّل ظلمتي إلى نورٍ بهي!

❖ تتحول مياه الأمطار إلى ثلجٍ ناصع البياض.
يصير قلبي وقد غطاه الثلج غاية في النقاوة!
تسبحك نفسي، إذ تبدد خطاياي وتنزعها، وتمتلئ نفسي بثلج حكمتك البهية.

❖ يبذل عدو الخير– الوحش المفترس – كل الجهد أن يقتحم جنتك فيَّ.
لن يستطيع أن يقترب مادمت أنت في داخلي.
وإن خدعني ودخل لن يستقر، فإن نعمتك تطرده سريعًا!
نعم، لتحفظ جنتك من هذا العدو الخبيث!

❖ لتهب ريح الجنوب الدافئة على جنتك. فتمتلئ نفسي بدفء الروح.
ويلتهب قلبي بغيرتك المقدسة!
إن سمحت بريح الشمال الباردة أن تهب عليَّ؛ إن سمحت للتجارب أن تحدق بي، فإني واثق في غنى حبك وحكمتك.
يا من تحرك الطبيعة بكل عظمتها لحسابي،
كيف لا أثق في حسن تدبيرك لكل حياتي؟!

الباب الخامس

حوار الله مع أيوب
أيوب 38-42

صوت الله

في كل خصومة يتسابق الكل على من تكون له الكلمة الأخيرة التي يُختم بها الحوار، الآن نرى الرب ترك الحوار مفتوحًا بين أيوب وأصدقائه الثلاثة حتى توقف الكل، ثم تدخل أليهو وتحدث حتى توقف، وأخيرًا تدخل الله لينهي كل حكم بشري ويعلن حكمة الإلهي النهائي[1].

في تدخل الله وظهوره وحواره العلني صورة رائعة لاهتمام الله الفائق بالنفوس المجروحة، التي لا تجد من يسأل عنها ويترفق بها. قد يأخذ موقفًا حازمًا، لكنه في حزمه يعلن أبوته وحنوه، ويشرق ببهائه على المتألمين فيصيرون مطوبين!

حقًا لم يجب الله على أسئلة أيوب مباشرة، لكنه أعطاه الفرصة للحوار مع خالقه القدير، وأمسك بيده ليلمس بنفسه رعاية الله بكل البشرية، وأعماله الفائقة من أجلها. دخل بأيوب أمام سرّ حب الله الفائق للإنسان، فصمت أيوب وشعر بالعجز تمامًا، فرفعه الله إلى ما لم يكن في ذهنه؛ قدم له أكثر مما سأل وفوق ما طلب.

جاءت الاتهامات ضد أيوب بواسطة أصدقائه الشيوخ، فأعتمت طريق الحكمة، حتى تكلم أليهو، فظهر نور الفجر. بعد حديث أليهو تكلم الله لتتم استنارة طريق الحكمة تمامًا بصوت الله.

قال أصدقاء أيوب إن الله ليس بالضرورة يتكلم، وها هو يتكلم مع أيوب ويدخل معه في تحدٍ كما لو كان الند للند. هذا من فيض حب الله الفائق لمؤمنيه. يود أن يحاجج ويحاور ويناجي ويعزي.

دخل الله في تحدٍ مع الشيطان (أي: 1–8، 2:2–3)، والآن يتحدى أيوب، وقد مرّ هذا التحدي بمرحلتين، وبين المرحلتين أظهر أيوب خضوعه لله. كانت إجابة أيوب في كل مرة غاية في الاختصار (3:40–5، 1:42–6). بهذا ظهر كمال أيوب وفساد حيل الشيطان.

(1) التحدي الإلهي 1:38–2:40.

(2) خضوع أيوب 3:40–5. صمت أيوب بعد أن غلب التحدي الإلهي.

(3) تجديد التحدي الإلهي 6:40–34:41.

(4) اعتراف: استعادة طريق الحكمة 1:42–6.

---

[1] *Cf. Matthew Henry Commentary on Job 38.*

(5) إصلاح الموقف: نصرة حكمة أيوب 42:7–17.

حوار شعري بين الرب وأيوب

خرج الله من صمته، وأجاب أيوب من وسط العاصفة. حضور الله بالبرق والعاصفة يليق بجلاله.

قال أيوب لله أنت بعيد، فجاء الله، وأظهر عمليًا أنه قريب من الإنسان.

قال أيوب لله لا يهمك أمر البشر، فأدخل الرب أيوب في اختبار، وأكد له أنه حاضر وهو يعمل، جاء الله فأظهر أنه مازال يحب أيوب ويهتم به.

أخطأ أيوب فلم يفهم صمت الله، ولعله يخطئ أيضًا فلا يفهم حضور الله، لهذا تكلم الله فأعطى نعمة حصل عليها أيوب كما حصل عليها موسى. جاء الصوت من العاصفة التي تدل على حضور الله، وهناك أوضح في حديثه أن الهدف ليس سحق أيوب بإدراك ضآلته أمام قدرة الله الغير محدودة، ولا أن تسخر منه عندما يضاهي عقله الصغير بعقل الله الغير محدود.

لم يعطِ الله جوابًا لتساؤلات أيوب، بل طرح عليه جملة أسئلة غايتها إظهار جهالة أيوب، وتعلن أمجاد الخليقة، وضعف الإنسان في المقابلة. لم يجب الله على أي تساؤل قدمه أيوب لله، فقد أراد تأكيد أن ما يفكر فيه أيوب بخصوص رعاية الله له، لا وزن له بالنسبة لأعماله المجيدة لأجله. **أراد أن يرفع فكر أيوب من الانحصار في مشاكل خاصة به وحده إلى عمل الله الفائق لأجله ولأجل كل البشرية. رفعه من عالمه المغلق إلى عالمٍ أعظم.**

طلب من أيوب أن يشدد حقويه كرجلٍ، ويستعد للمجاوبة على أسئلة الرب الذي يسأله عن الآتي:

(1) عجائب علم الجماد (38:4–38): الأرض والبحر (38:4–11).

(2) الفجر (38:12–15) وتأثيره على الأشرار الذين يحبون الظلمة أكثر من النور فإن نور الأشرار هو الظلمة.

(3) جهل أيوب الأشياء المخفية (38:16–21) مثل اتساع سطح الأرض.

(4) الظواهر الطبيعية كالثلج والبرد والريح والمطر والبرق والصقيع والجليد ثم الكون. هل يمكن لأيوب أن يضبط بروج النجوم والسماوات؟

(5) غرائب عالم الحيوان 38:39–30).

أ. أيوب يجهل **طرق هذا العالم.**

ب. **حمار الوحش والثور الوحشي** . هل يستطيع أيوب أن يستخدمها للأغراض الزراعية كما يستخدم الثور الأليف؟ واحد فقط يستطيع هو الله الذي خلقهما.

ج. **النعامة والفرس والعقاب والنسر**. إن إظهار قوة الله هنا أثر تأثيرا سريعا في أيوب وملأه بشعور رهيب بجلال الخالق الفائق وسكت أيوب والتزم بالصمت، فتكلم الله ثانية من العاصفة.

كلام الرب الثاني ص 6:40 إلى ص 34:41

لما كان أيوب راغبا في التأكد من استقامة سياسة الله نحو البشر والعالم، أُمر بتهكم أن يجيب أيوب عن الصفات الإلهية وأن يحكم العالم. هل لأيوب ذراع الرب القديرة وصوته الحاكم؟ إذن فليلبس ثياب عز الله وجلاله.

ثم لامتحان قوته على الحكم يؤتى بحيوانين هما: بهيموث ويعرف بفرس النهر أو وحيد القرن، ولوياثان (التمساح). هل يقدر أيوب أن يتسلط عليهما؟ فكيف يقدر أن يصف قدرة الله وسلطانه العجيب. إذ أدرك أيوب حكمة الله وقوته في العالم المخلوق تواضع واعتقد بأن معاملة الله معه مبنية على حكمة فائقة. عندئذٍ أشرق الله عليه بالنور، ورأى الحق فقبله في الحال.

اَلأَصْحَاحُ الثَّامِنُ وَالثَّلاَثُونَ

الخليقة الجامدة

إذ انتهى أليهو من حديثه، إذا بالعاصفة التي رآها تقترب فوقهم تحل، وصوت الرب يُسمع مخاطبًا أيوب. لكن هل سمع الحاضرون الصوت ففي يوحنا ١٢: ٢٩ وأع ٢٢: ٩ سمع الحاضرون الصوت لكن لم يدركوا فهمه.

صدى الحديث الإلهي على أيوب، أنه عاجز عن تفسير أعمال الله في الخلقة، لذا يليق به أن يسلم حياته لله ليدبرها حتى وإن كان لا يدرك ما هو وراء ذلك.

عند الخلقة التي ترجع إلى ما قبل خلقة الإنسان نفسه ترنمت الملائكة متهللة [٤–٧؛ إش ١٤: ١٢]. تحدث أيضًا عن وضع حدود للبحار، وتعاقب الليل والنهار، والفجر يجعل اللصوص هاربين من بيوتهم.

طلب أيوب من الله أن يسأل وهو يجيب، أو يتكلم أيوب والله يجيبه (أي 22:13). **كان يتوقع أيوب أن الله يسأله خطايا معينة ارتكبها، ولم يكن يتوقع أن يسأله عن أمور خاصة بعجائب الخليقة التي صنعها الله لأجل كل إنسان.**

أعد أليهو أيوب للقاء مع الله، والحديث معه، لا بروح التذمر أو الشكوى، وإنما بروح الخضوع له.

1. الله يتحدى أيوب ليجيب على أسئلته 1–3.
2. جهل أيوب لكيفية خلقة الأرض 4–7.
3. جهله لوضع حدود للبحار 8–11.
4. جهله كيف يبرز نور الفجر 12–15.
5. جهله لإدراك ظل الموت والظلمة 16–21.
6. جهله للسحب والبَرَدْ والرعد... 22–30.
7. جهله للكواكب وأثرها على الأرض 31–33.
8. جهله قوة الله في الجو والظواهر الطبيعية 34–38.
9. عناية الله بالحيوانات غير العاقلة 39–41.

1. الله يتحدى أيوب ليجيب على أسئلته

فَقَالَ الرَّبُّ لأَيُّوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ: [1]

يرى البعض أن الكلمة العبرية المترجمة هنا "عاصفة" تختلف عن تلك الواردة بخصوص العاصفة فى الأصحاح السابق. في الأصحاح السابق تُشير إلى حالة اضطرابٍ وهياجٍ وصخب وثورة عنيفة، أما هنا فتُشير مجرد عاصفة تملأ ذهن أيوب بالشعور بالمهابة والوقار لعظمة الله [1]. كما تكلم الله مع موسى على جبل سيناء وسط الرعود والبرق (خر 19: 16-19) هكذا تكلم مع أيوب كعلامة على عظمة جلاله (مز 18: 9-13؛ حب 3: 3-6؛ مز 50: 3-4).

إن كان الله قد ظهر لأيوب كي يزكيه ويبرره أمام الحاضرين، لكن في غير محاباة كشف له عن ضعفاته، وأراد أن ينزع عنه تذمره وشكواه. ففي حنو الله بالإنسان يقدم له بركات لا حصر لها بعد أن يوجهه ليُنزع عنه أخطاءه وضعفاته.

❖ عندما فقد أيوب كل ثروته، عندما فقد أولاده، بدأ كل شيء يعمل ضده. لكنه إذ أحب الرب عملت كل الشرور التي حلت به لصالحه (أي 42: 9-17). ما حل بجسمه هيأه لإكليل السماء (أي 7: 5). قبل وقت التجربة لم يتحدث الله معه قط كصديقٍ مع صديقه (38: 1؛ 42: 9). إذن لتحل الكارثة، لتسقط المحن، مادام المسيح يأتي بعد الفاجعة!

القديس جيروم

❖ ماذا إذن عن ذاك الذي أجاب أيوب من العاصفة والسحاب، البطيء في التأديب، والسريع في المعونة، الذي لا يسمح لعصا الخطاة أن تستقر على نصيب الأشرار (مز 125:3) لئلا يتعلم الصديقون الشر؟[2]

القديس غريغوريوس النزينزي

قد يتساءل أحد: لماذا تحدث الله مع أيوب خلال العاصفة؟

أولاً: خشي على أيوب من السقوط في الكبرياء بسبب ما سيقدمه من مديح له علانية، حيث يطلب من أصدقائه ليس فقط أن يعتذروا له، بل ويسألوه الصلاة عنهم، لذا أراد الله أن يحفظ حياة أيوب ونصراته بروح التواضع.

---

[1] *Cf. Adam Clarke's Commentary.*
[2] *Homilies on the Psalms, 5.*
[3] *On the Great Athanasius, 18.*

ثانيًا: حديث الله مع أيوب خلال العاصفة وليس خلال ملائكة، كما حدث مع بعض القديسين مثل دانيال النبي، أو خلال رؤى كما حدث مع حزقيال النبي، أو أحلام كما حدث مع يوسف الصديق، إنما ليوبخ أصدقاء أيوب، معلنًا كرامة هذا البار أن ينزل إليه الرب نفسه ليدخل معه في حوارٍ، الأمر الذي لم يتأهلوا هم له.

ثالثا": يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الله غطى أيوب بالسحب والعواصف كمن قد جاء ليتحدث معه من كرسي الرحمة الذي على غطاء تابوت العهد (عد 7: 89).

❖ في رأيي أن (الله) دبَّر في تلك اللحظة أن تغطي البار سحابة حتى ترفع أفكاره، وتقنعه أن هذا الصوت قادم من الأعالي كما في حالة عرش الرحمة الذي كان على تابوت الشهادة (عد 7: 89). فكما أن السحابة هي رمز للسماء، هكذا كأن الله أراد أن يضع السماء عينها علي أيوب، وجاء بعرشه يقترب إليه. يبدو لي أن هذا نفسه حدث على الجبل عندما حلت سحابه كثيفة هناك (خر 19: 16) لكي ندرك أن الصوت جاء من الأعالي.

القديس يوحنا الذهبي الفم

ربما يتساءل البعض لماذا بدأ الرب بتوبيخ أيوب وتقديم تساؤلات له تكشف عن ضعفه عن إدراك أسرار الله وحكمته وخطته، مع أنه امتدحه قدام الشيطان وأيضًا دافع عنه أمام أصدقائه. هذا هو حب الله الفائق لمؤمنيه فإنه وإن كان يقف حازمًا معهم أحيانًا حتى في وسط ضيقاتهم وتجاربهم، لكنه يدافع عنهم أمام الغير ويُعد لهم أمجادًا فائقة. إنه يخشى عليهم من السقوط بسيف الكبرياء، لكن عينيه عليهم، يحفظهم ويقدسهم ويمجدهم أمام ملائكته والناس وحتى أمام الشيطان.

❖ بعد فقدان ممتلكاته، وموت أبنائه، وجراحات جسده، وكلمات زوجته لدفعه نحو الشر، ولغة السَّب الموجهة من معزيه، وسهام الأحزان الكثيرة التي تقبلها بشجاعة، كان يليق بالطوباوي أيوب أن يمدحه الديان من أجل مثل هذه القوة العظيمة للجلد، إذ قد اقترب الوقت لاستدعائه من هذا العالم الحاضر.

الآن قد حان الوقت لقبول ضعفين، ويسترد صحته السابقة حتى يمكنه أن يتمتع بممتلكاته المستردة له إلى وقت طويل. لهذا فإن الله يوبخ بعدالة حازمة، ذاك الذي حفظه حيًّا، لئلا بنصرته ذاتها يهلك بسيف الكبرياء.

البابا غريغوريوس (الكبير)

مَنْ هَذَا الَّذِي يُظْلِمُ الْقَضَاءَ بِكَلاَمٍ بِلاَ مَعْرِفَةٍ؟ [2]

كان يليق بأيوب أن يلقي ضوءً على حكمة الله، فيتعرف الغير عليها، لكنه عوض ذلك تحدث عن الظلم الساقط تحته. هكذا يصح ح الله موقف أيوب الذي وإن كان بارًا، لكنه نطق ببعض كلمات العتاب فشوّه صورة خطة الله أمام الحاضرين.

يعاتبه الله قائلاً له: من أنت يا من تود أن تتحدث عن أسرار الله العميقة وعدله وعنايته، فإنك إذ لا تدركها تقدم تفسيرًا مظلمًا لها.

جاء النص في الترجمة السبعينية: "**من الذي يخفي مشورة عني، ومن الذي يغلق على كلمات في قلبه ويظن أنه يخبئها عني**" . وجاء في الترجمة اليسوعية: " **من هذا الذي يُسوِّد تبريري بأقوالٍ ليست من العلم بشيء؟** " استخدم **القديس كيرلس الكبير** هذه العبارة في تفسيره لإنجيل لوقا 22: 64 "وغطوه (عصبوا عينيه) وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين: تنبأ، من هو الذي ضربك؟"

- يقول في موضع ما خلال أحد أنبيائه القديسين: " **من هذا الذي يخفي مشورة عني، ومن الذي يغلق على كلمات في قلبه؟**" (2:38) ذاك الذي يفحص القلوب والأذهان وواهب كل نبوة كيف يمكن ألا يعرف من ضربه (لو 64:22)؟ كما يقول المسيح: "الظلمة أعمت عيونهم؛ وأذهانهم قد أميت (راجع يو 40:12) [1].

القديس كيرلس الكبير

- يشير الله إلى المسافة الشاسعة التي تفصلنا عنه. "أخبرني: من الذي يحاول أن يخفي نفسه عني أنا العارف بالأسرار بدقة؟!"

القديس يوحنا الذهبي الفم

أُشْدُدِ الآنَ حَقْوَيْكَ كَرَجُلٍ،
فَإِنِّي أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمُنِي [3].

بينما ظهر الله في العاصفة حيث لا يقدر إنسان أن يقف أمامها، إذا به يطلب من أيوب أن يتمنطق كمن يُعد نفسه لعملٍ غاية في الخطورة (خر 11:12، 1 مل 46:18).

جاءت كلمة "**رجل**" هنا في العبرية *Kageber* لتعني بطلاً. كأن الله يقول له: لتتزع من فكرك كل المخاوف، ولتقف في شجاعة كبطل أمامي، أقدم لك سلسلة من الأسئلة، إذ

---

[1] *Commentary on Luke, Homily 150.*

تجاوبني عليها تجاوب على نفسك بنفسك بخصوص الأسئلة التي كنت تستعرضها على أصدقائك من نحوي.

أما قوله "**أشدد حقويك**" أو تمنطق، فإذ كانت الثياب واسعة في القديم، كان الإنسان يلتزم بالتمنطق للجري أو العمل أو الدخول في معركة. إلى يومنا هذا يتمنطق أغلب الجند والقادة أثناء المعارك الحربية.

❖ إذ سقط أيوب في حالة تثبط، رده الله بهذه الكلمات عما فيه.

❖ التمنطق هو جزء من سيـر النفس، اسمع ما يقوله الله لذاك البار: " **أشدد الآن حقويك كرجلٍ، فإني أسألك فتعلمني**" (أي 38:3). هذا يقوله أيضًا لكل الأنبياء. يقول لموسي أن يتمنطق. وهو نفسه ظهر لحزقيال (*LXX* 11:9). متمنطقًا. لا، بل والملائكة أيضًا يظهرون لنا متمنطقين (رؤ 6:15) بـلئونهم جنودًا. إذ تتمنطق نقف أيضًا بشجاعة، وبوقوفنا تتمنطق[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أيوب أيضًا أمره الرب أن يمنطق نفسه، كما لو كان نوع من العلامة على النضوج (الرجولية) والاستعداد للعمل. قال لأيوب: "منطق حقويك كرجلٍ" (أي 38: 3) .

القديس باسيليوس الكبير

❖ بهذا أيضًا يفتخر القديس داود أنه يتمنطق بقوة الله (مز 32:18)، ويتحدث عن الله نفسه أنه ملتحف بالقوة (مز 1:93)، ويتمنطق بقوته – ضد الأشرار – وإن كان البعض يفضلون أن يروا في هذا إعلانًا عن فيض قوته، كما لو كانت تبدو مقيدة، إذ هو ملتحف بالنور كثوبٍ (مز 2:104). فإنه من يحتمل قوته غير المحدودة ونوره؟[2]

القديس غريغوريوس النزينزي

2. جهل أيوب لكيفية خلقة الأرض

أَيْنَ كُنْتَ حِينَ أَسَّسْتُ الأَرْضَ؟
أَخْبِرْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ فَهْمٌ [4].

---

[1] *Homilies on Ephesians, 23.*
[2] *The Long Rules, Question 23.*
[3] *Oration 41 on Easter, 18.*

أول سؤال يقدمه له الله يمس وجود ذاته، إذ يسأله أين كان حين وضع الله أساسات الأرض من أجله؟ فمن جانب لم يكن بعد أيوب ولا آدم نفسه قد خُلق، ومن جانب آخر فإن الله خلق الأرض له ولإخوته قبل أن يكون لهم وجود.

لم يكن أيوب في الوجود حين أسس الله الأرض، وبالتالي لم تكن له قدرة على العمل مع الله في الخلقة أو تقديم استشارة أو حتى إدراك وفهم ما يفعله الله من أجله. كيف إذن يجسر أن يشكو من خطة الله نحوه. غن كان أيوب عاجزًا عن فهم وضع أساسات الأرض، فهل يقدر أن يدرك خطة الله وحكمته؟

❖ يقول الله: ماذا تقول؟ من أجلك أسست الأرض بعناية هكذا، فهل أهمل مَنْ مِنْ أجله خلقتها؟... ينطق بهذا للذين يطلبون منه أن يقدم حسابًا وتفسيرًا للأحداث دون التطلع إلى سمو حكمته. من الذي دفعني لهذا؟ من الذي أشار عليَّ؟ من الذي جاء ليعاونني؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

مَنْ وَضَعَ قِيَاسَهَا؟ لأَنَّكَ تَعْلَمُ!

أَوْ مَنْ مَدَّ عَلَيْهَا مِطْمَارًا؟ [5]

يسأله: إن كنت تعرف، من الذي وضع مقاييس الأرض وحدَّد أبعاد خط الاستواء؟ من هو المهندس المعماري الذي صمم أبعاد الأرض؟ من الذي أمسك بالمطمار [آ] لقياسها، محددًا مناطقها وأبعادها؟

يبرز الحديث الإلهي أن الأرض التي يعيش عليها الإنسان لم تُوجد مصادفة بلا تخطيط، وإنما وراءها المهندس الأعظم الذي وضع خطة دقيقة لإنشائها، خُلقت بحكمة الخالق وقدرته الفائقة.

❖ إنها ليست بدون إبداع أُخذت المقاييس، ولا جاءت مصادفة أو بطريقة عشوائية، ولكن الله صممها بهدف متناسق، عمل كمعماري بارع.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يقدم لنا **البابا غريغوريوس (الكبير)** تفسيرًا رمزيًا لهذة العبارة، فيرى أن هذه الأرض هي حياة الإنسان، وأن الأساس الذي تقوم عليه حياتنا هو الإيمان الثابت في مخافة الرب. هذا الإيمان بكل مقاييسه هو من عمل الله فينا، ليس لنا أن ننسبه لأنفسنا.

[آ] المطمار هو خيط البناء الذي يضمن به استواء الحائط ووضعه الرأسي.

❖ أساس هذه الأرض هو الإيمان. يوضع أساس هذه الأرض عندما تتسم أماكن القلب الخفية بخوف الله بكونه العلة الأولى للثبات... يُقال لأيوب: لا تتسب لنفسك الفضائل التي أخذتها مني... فلكي لا أحطم فيك ما قد بنيته يليق بك ألا تكف عن التأمل في الحال الذي أوجدتك عليه... فإنه يمكننا أن نحفظ حسنًا ما نحن عليه إن كنا لا نتجاهل قط ما كنا عليه...

من الذي يضع أساسات هذه الأرض إلا خالقنا؟ هذا الذي بالتدبير الخفي لخطته الداخلية يهب لواحدٍ كلمة حكمة، ولآخر كلمة معرفة، ولآخر إيمانًا كاملاً، ولآخر نعمة الشفاء، ولآخر عمل معجزات، ولآخر نبوة، ولآخر تمييز الأرواح، ولآخر أنواع ألسنة، ولآخر تفسير عظات... هكذا يفعل خالقنا وواضع النظام لكل الأشياء ليحفظنا من الزهو بالعطية التي ينالها الشخص ويتواضع بالفضائل التي لم ينلها... الله يدبر كل الأمور هكذا، فينال الكل مواهب خاصة، وتُحسب كلها ملكًا لكل شخص بمفرده وذلك خلال رباط المحبة. كل واحد يملك في الآخر ما ينقصه هو، وبتواضع يقدم للآخر ما يتقبله كملكية خاصة به. وكما يقول بطرس: "ليكن كل واحدٍ بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضًا كوكلاء صالحين علي نعمة الله المتنوعة" (1 بط 4: 10)... ويقول بولس: "بالمحبة اخدموا بعضكم بعضًا" (غل 5: 13)... وأيضًا: "كما قسم الله لكل واحدٍ مقدارًا من الإيمان (رو 12: 3).

البابا غريغوريوس (الكبير)

"**من مدّ عليها مطمارًا؟**" يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن الذين يمدون المطمار على الأرض لبث روح الإيمان هم الكارزون، هؤلاء الذين لا يقدرون أن يعملوا إلا بالله نفسه. ضرب مثالاً بذلك الرسول بولس الذي أهمل الكرازة في مكدونية فظهر له رجل مكدوني في رؤيا أن يذهب ليعينهم (أع 16: 9). وعندما حاول الرسول أن يذهب إلى بيثينية منعه (أع 16: 7).

عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُرَّتْ قَوَاعِدُهَا،
أَوْ مَنْ وَضَعَ حَجَرَ زَاوِيَتَهَا [6].

الحديث هنا رمزي، حيث يتحدث عن خلقة الأرض كقصر أقامه الله للإنسان الملك، حفر أساساته، ووضع حجر زاوية لإقامة مبنى متكامل قوي ومتسع للغاية.

إن كان السيد المسيح، كلمة الله المتجسد، أو الإيمان به هو الأساس الذي قامت عليه الأرض الجديدة، كنيسة الله، فإن قواعدها أو الأعمدة التي قامت على هذا الأساس هي الحياة

المقدسة في الرب أو الفضائل التي نمارسها ببرّ المسيح ونعمته، حيث تتقدس قلوبنا وإرادتنا وكل طاقاتنا الداخلية.

إذ يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن الأرض المقدسة التي أسسها الرب هي الإيمان، فما هي قواعد هذه الأرض؟

❖ بماذا نفهم القواعد التي لهذه الأرض سوى معلمي الكنيسة المقدسة؟...

يمكن أيضًا أن تشير القواعد إلى الأنبياء، فعندما تحدثوا أولاً بصراحة عن تجسد الرب رأيناهم كقواعد تقوم على الأساس (ربما يقصد السيد المسيح أساس الإيمان) ويحملون المبنى القائم عليهم...

"**أو من وضع حجر زاويتها؟**"... واضح للكل من هو هذا الذي يدعوه الكتاب المقدس حجر الزاوية. بالحق هو ذاك الذي أخذ في نفسه اليهود في جانب والشعب الأممي في جانب آخر، ووحدهما معًا كحائطين في مبنى الكنيسة. كُتب "جعل الاثنين واحدًا" (أف 2: 14). أظهر نفسه كحجر الزاوية ليس فقط في الأمور السفلية، بل وفي العلوية، إذ وحّد شعوب الأمم مع شعب إسرائيل على الأرض، ووحّد كليهما معًا مع الملائكة في السماء. فقد أعلنت الملائكة عند ميلاده: "على الأرض السلام" (لو 2: 14).

البابا غريغوريوس (الكبير)

"من أنت أيها الجبل العظيم، أمام زربابل تصير سهلاً، فيخرج حجر الزاوية بين الهاتفين كرامة كرامة له" (زك 4: 7).

"مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية" (أف 2: 20).

يرى **القديس أغسطينوس**[1] أنه بدعوة السيد المسيح رأس الزاوية، وهو رأس الكنيسة، بهذا تكون الكنيسة هي الزاوية التي ضمت اليهود من جانب والأمم من الجانب الآخر.

❖ حدث في ذلك اليوم الذي هو يُدعى ميلاده رآه الرعاة اليهود، بينما في هذا اليوم يليق أن يُدعى "الظهور الإلهي" أي "الإعلان" سجد له المجوس الأمميون... حقًا لقد وُلد كحجر زاوية للاثنين، وكما يقول الرسول: " **لِكَيْ يَخْلُقَ الاثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلاَمًا، وَيُصَالِحَ الاثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ** " **[١٥-١٦]**. ما هو حجر الزاوية إلاَّ ربط حائطين ذوي اتجاهين مختلفين، وكأنهما يتبادلان القبلة! المختونون

---

[1] *Sermons on N.T. 39: 4.*

مع غير المختونين، أي اليهود مع الأمم، اللذان كانا يحملان عداوة مشتركة، ولهما أمور أساسية تعزلهما عن بعضهما البعض، فاليهود كانوا يعبدون الله الواحد الحق، والأمم كانوا يعبدون آلهة كثيرة باطلة. الأولون كانوا قريبين والآخرون كانوا بعيدين. لقد قاد الفريقين إلي نفسه، ذاك الذي صالحهما مع الله في الجسد الواحد، وكما قال نفس الرسول: وذلك بالصليب قاتلاً العداوة[1].

القديس أغسطينوس

عِنْدَمَا تَرَنَّمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعًا،
وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي اللهِ؟ [7]

عند بناء بيت ما أو كنيسة أو مشروع ما يحتفل الإنسان مع أصدقائه بالبدء في حفر الأساسات والبدء في وضعها.

في بدء إعادة بناء الهيكل "أقاموا الكهنة بملابسهم بأبواقٍ، واللاويين بني آساف بالصنوج لتسبيح الرب، وغنوا بالتسبيح والحمد للرب، لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته على إسرائيل، وكل الشعب هتفوا هتافًا عظيمًا للرب لأجل تأسيس بيت الرب" (عو 3: 10-11). وإذ يقيم الرب كنيسته، قيل: "فيخرج حجر الزاوية بين الهاتفين كرامة كرامة له: (زك 4: 7). عند ولادة السيد المسيح حجر الزاوية لكنيسة العهد الجديد "ظهر بغته مع الملاك جمهور من الجند السماوي، مسبحين الله" (لو 2: 13).

يا لها من صورة رائعة حيث انطلقت الطغمات السمائية المنيرة "كواكب الصبح" تهتف وتسبح الله عندما رأوا أساسات الأرض قد وُضعت. فمع أنها لم توضع لأجلهم، وإنما لأجل الإنسان القادم، وليس لأجلهم. بالحب حسبوا سعادة الإنسان سعادتهم، وما يُقدم لهم كأنه لهم.

يشبّه الله نفسه بمهندس أنشأ بيتًا عجيبًا، حين خلق العالم، فتهللت الطغمات السماوية لهذا العمل الفائق. أين كان أيوب في ذلك الحين؟

في الفصل السابع من مناظرة **الأب سيرينوس** أوضح أن **الله خلق السمائيين قبل خلقه العالم**. "عندما صُنعت الكواكب معًا سبحتني الملائكة بصوتٍ عالٍ" (أي *LXX* 7:38). فقد كانت الملائكة موجودة في بدء خلقة العالم تسبحه على أعمال خلقته للعالم المنظور لنا .

في تعليق **للقديس يوحنا الذهبي الفم** على علامات المنتهى الواردة في متى 29:24،

[1] *Hom for Epiphany, Ser. 204, PL 38: 1037.*
[2] *Cassian: Conferences, 8:7:2.*

يقول بأن الملائكة سبحت الرب بصوتٍ عالٍ حين خلق الكواكب (راجع أي 38: 7 *LXX*). بالأكثر يسبحونه حين يتم التغير النهائي حيث تتساقط النجوم، إذ لا يعود لها حاجة حيث لا يوجد ليل في الأبدية[1].

❖ كل التناسق المجيد غير المنطوق به الذي للسمائيين العلويين سواء في خدمة الله أو في الاتفاق المشترك بين القوات السماوية يمكن أن يُحفظ بتوجيه الروح .

القديس باسيليوس الكبير

❖ من يتجاسر فيظن أن الملائكة قد خُلقت بعد ستة أيام الخليقة؟ إن كان غبيًا هكذا، فإن غباوته تُزال بالكتاب المقدس الذي له سلطان مشابه، حيث يقول الله: "عندما خلقت الكواكب هتفت الملائكة لي بصوتٍ عالٍ (أي 38: 7). إذا وُجدت الملائكة قبل الكواكب، الكواكب خلقت في اليوم الرابع. فهل نقول إن الملائكة خُلقت في اليوم الثالث؟ حاشا! فإننا نعلم ما الذي خلق في ذلك اليوم. اليابسة انفصلت عن المياه، وكل عنصر أخذ شكله المميز، وأنتجت الأرض كل ما عليها[2].

القديس أغسطينوس

3. جهله لوضع حدود للبحار

وَمَنْ حَجَزَ الْبَحْرَ بِمَصَارِيعَ حِينَ انْدَفَقَ،

فَخَرَجَ مِنَ الرَّحِمِ [8].

ربما يشير هنا إلى اليوم الثالث من الخلقة عندما قال الله: "لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد" (تك 1: 9).

كانت الأرض والغمر مختلطين معًا، وإذ أمر الله بفصلهما اندفعت المياه كما من رحم الأرض وتكونت البحار.

تكونت البحار الضخمة وصارت كما لو كانت محبوسة بمصاريع أو أبوابٍ لا تخرج منها.

يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن البحر هنا يرمز للقلب الذي لا يمكن للإنسان أن يحفظه أو يقدسه بدون النعمة الإلهية.

---

[1] *Cf. Homilies on Matt., Homily 76:3.*
[2] *On the Spirit, 16: 38.*
[3] *City of God, 11:9.*

❖ ما هو هذا البحر إلا قلبنا الثائر بصراعٍ عنيفٍ مرّ، يزهو بتشامخ الكبرياء، ويظلَّم بخداع الشر؟ يا لقدرة أمواجه الثائرة، الأمر الذي يدركه من يفهم في نفسه سرّ تجارب الأفكار.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لماذا يقول: "**عندما وُلد** (خرج من الرحم)"؟ ليظهر أن هذا تم على مراحل، وأن الخلقة لم تتم كما بضربة واحدة. إنها تعكس على السامع ما قاله موسى. كما لو كان قد وُلد، حيث تدفق البحر أولاً، وبعد ذلك أخذ شكله، واجتمع معًا في موضع واحد (تك 1: 9). فلا تظن أنه أمر طبيعي للبحر أن تحده شواطئه، إنما سمح الله له في البداية بالعكس أن يوجد الماء وينتشر على كل سطح الأرض.

القديس يوحنا الذهبي الفم

لقد وضع الله حدودًا للبحر البدائي.

إِذْ جَعَلْتُ السَّحَابَ لِبَاسَهُ،

وَالضَّبَابَ قِمَاطَهُ [9].

إذ يتطلع إلى البحر كطفلٍ حديث الولادة يحتياج إلى ملابس وقماط، فقدم له الله السحب كرداء يغطيه، والضباب كقماط يضمه. هكذا يتعامل الله مع البحر الضخم كطفلٍ صغيرٍ يحتاج إلى مرضعة تقمطه وتهتم به، بالرغم من أمواجه الشديدة الهياج وتياراته الجارفة.

لم يقل جعل الجبال والصخور والتلال قماطه، إنما جعل الضباب هكذا، الأمر الذي لا يخطر على فكر إنسان.

❖ لا تظن أن الضباب الذي فوق المياه أمرًا طبيعيًا. يقول إنه كائن بأمره (الإلهي).

القديس يوحنا الذهبي الفم

وَجَزَمْتُ عَلَيْهِ حَدِّي،

وَأَقَمْتُ لَهُ مَغَالِيقَ وَمَصَارِيعَ [10].

لئلا يثور البحر ويتمرد فيحطم حياة الإنسان على الأرض ألزمه الله بحدودٍ معينة، وأقام له مغاليق وأبواب لوضع حدود لحركته.

هذه الحدود والمغاليق والأبواب لم توضع لتُفقد البحر قيامه بدوره أو تحطم رسالته، إنما على العكس، هي لصالح البحر نفسه كما لنفع الأرض.

يضع الله لقلوبنا ناموسًا إلهيًا أو وصية، لا ليكتم أنفسنا، ولا ليحرمنا من السعادة

والحرية، وإنما بهذه الوصية الإلهية نتشكل فنعود لنصير على صورة الله ونتشبه به. هذا لسعادتنا وسعادة الغير.

الوصية لا تحبسنا لنكون كما في سجن، إنما تعين قلوبنا لتتسع بالحب نحو الله والناس حتى المقاومين لنا، بل ونحب كل الخليقة، ونحب نفوسنا في الرب.

وَقُلْتُ: إِلَى هُنَا تَأْتِي وَلاَ تَتَعَدَّى،
وَهُنَا تُتْخَمُ كِبْرِيَاءُ لُجَجِكَ؟ [11]

لا نجد هنا شيئًا من الأساطير التي انتشرت قديمًا، مثل ظهور حيوانا ت بحرية مرعبة ضخمة. إنما في أسلوب أدبي روحي رائع، يصور البحر كما لو وُلد في جو من الهدوء، له دوره الحيوي بالتفاعل مع اليابسة لخدمة الإنسان. مع ضخامة المحيط وشدة اللجج وضع الله قوانين لا يتعداها.

❖ من يستطيع أن يخبر عن أعماق البحار وسعتها وقوة أمواجها الهائلة؟! ومع هذا فهي تقف عند حدود مرسومة لها، إذ قيل : "إلى هنا تأتي ولا تتعدى ، وهنا تدخل ، وهنا تتخم كبرياء لُججك" فيُظهر البحر الطاعة بوضوح، إذ يجرى ليقف الشاطئ في خط واضح صنعته الأمواج، معلنًا لناظريه أنه لا يتعدى الحدود المرسومة له [1].

القديس كيرلس الأورشليمي

يقول إرميا النبي: "أإياي لا تخشون يقول الرب أولا ترتعدون من وجهي أنا الذي وضعت الرمل تخومًا للبحر، فريضة أبدية لا يتعداها، فتتلاطم ولا تستطيع، وتعج أمواجه ولا تتجاوزها" (إر 5: 22). يقدم **ثيؤدورت أسقف قورش** البحر دليلاً على العناية الإلهية.

❖ لكي أقنعك بهذا عُد ثانية إلي البحر، ولاحظ أعماقه وامتداده وأقسامه إلي خلجان وشواطئه وموانيه والجزائر التي في منتصفه، وأنواع السمك الذي فيه وأجناسه وأشكاله وتنوعه وولوعه نحو الشاطئ. لاحظ حدود أمواجه، ولجام العناية التي تضبطها، وتمنعها عن أن تفيض على البر. عندما تندفع الأمواج نحو الرمل تلتزم بالحدود، ملاحظين الناموس الإلهي منحوتًا هناك. إنها تشبه حصانًا روحيًا يكبحه مدربه، فتحني الأمواج رقبتها وتتراجع، كمن تقدم توبة متراجعة عند تلامسها مع الرمل .

---

[1] *Catechetical Lectures, 9:11.*
[2] *On Divine Providence, Discourse 2: 18.*

الأب ثيودورت أسقف قورش

❖ بين أكثر الأمور ضعفًا هو الرمل، لا يقدر البحر أن يقاومه في عنفه، إذ يكون به مُلجمًا.

القديس باسيليوس الكبير

4. جهله كيف يبرز نور الفجر

هَلْ فِي أَيَّامِكَ أَمَرْتَ الصُّبْحَ؟

هَلْ عَرَّفْتَ الْفَجْرَ مَوْضِعَهُ [12]

يقدم الله لأيوب أسئلة مربكة حتى يكتشف عجزه التام عن إدراك حكمة الله، ويشعر أنه ليس من وجه للمقارنة بين تفكيره وتفكير الله. هذه الأسئلة، وإن كان العلم مع تقدم الأبحاث يقدم إجابات على بعضها، لكن تبقى أسرار الطبيعة تفوق كل فكر بشري. ما نعرفه علميًا لا يُقارن بما لم نعرفه بعد.

يتحدث هنا عن بدء ظهور النور في الفجر، كلنا متأكدون من وجود النور ونتمتع به مع الفجر حتى تشرق الشمس.

لم يسأله: هل في سلطانك أن تتعجل ظهور الفجر وبزوغ النور؟ وإنما سأله عن أمرين هما، إن كان الإنسان موجودًا عند أمر الرب بظهور النور، وهل يستطيع أن يحدد موضعًا للفجر. لم يكن الإنسان موجودًا عندما خلق الله النور، وليس في سلطانه أن يأمر النور ليشرق ولا أن يحدد الموضع الذي يشرق عليه. وكما يقول المرتل: "السماوا ت تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه" (مز 19: 1-2).

❖ السماوات (الأجرام السمائيّة) تطيعه، إذ تتحرّك بسلام في خضوع لقوانينه.

تقطع ليلاً ونهارًا الطريق المرسوم لها دون أن تعيق بعضها بعضًا.

الشمس والقمر مع النجوم تجتاز الطريق المرسوم لها، حسب أمره دون أي انحراف.

والأرض المخصبة، بحسب إرادته، تثمر في فصول مناسبة طعامًا وفيرًا للإنسان والوحوش، وكل الكائنات الحيّة التي على وجه الخليقة...

الأعماق (الهاويّة) التي لا يُسبر غورها، وتنظيمات العالم السفلى غير الموصوفة، تخضع لذات القوانين.

البحر الفائق الاتساع، بعمل (الله) يجتمع فلا يعبر الحدود التي وُضعت له، إنّما يمتثل لأوامر (الله).

إذ قال: "إلى هنا تأتي، وفي أعماقك تتحطّم أمواجك"(أي ٣٨ : ١١).

محيط لا يقدر الإنسان أن يجتازه، وعوالم قائمة وراءه[آ] توجّهها إرادة الرب.

فصول الربيع والصيف والخريف والشتاء تتتابع هادئة، الواحد وراء الآخر.

تقوم الرياح بدورها في الوقت المعيّن بغير عائق، والينابيع التي لا تنضب تقدّم أثداءها بغير توقف حياة للبشر. أصغر الحيوانات تجتمع في وئام وألفة.

كل هذه الأعمال نظّمها الخالق العظيم رب المسكونة، تتحرّك في ألفة ووئام، صانعًا خيرًا للجميع، خاصة لنا نحن، إذ نجد ملجأ في حنوه، بربنا يسوع المسيح.

الذي له المجد والعظمة إلى أبد الأبد، آمين[Ñ].

القديس إكليمنضس الروماني

يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** في تفسيره الرمزي أن الكنيسة المقدسة تُدعى فجرًا حيث تتطلع إلى مكافأة الحياة السماوية المشرقة وتتخلى عن ظلمة الخطية، إنها تستنير بأشعة شمس البرّ.

لِيُمْسِكَ بِأَطْرَافِ الأَرْضِ،

فَيُنْفَضَ الأَشْرَارُ مِنْهَا؟ [13]

يصّوَر الفجر بظهوره وسط الظلام ليشرق بألوان جميلة فتتوقف أعمال الخطاة الذين يجدون في ظلمة الليل فرصة لممارسة شرورهم المظلمة.

يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن أطراف الأرض هم المتواضعون الذين يمسك بهم السيد المسيح، أي صيادو السمك الذين يفحمون معلمي الناموس.

تَتَحَوَّلُ كَطِينِ الْخَاتِمِ،

وَتَقِفُ كَأَنَّهَا لاَبِسَةٌ [14].

يحمل الطوب في مصر وبابل وأشور ختما يميز مصانع الطوب عن بعضها البعض. كانت جرار الخمر المصري والأماكن التي توضع فيها المومياء تختم بختم على طين. ووجد في

[آ] يعلّق Lightfoot (ص ٨٤) على هذه العبارة بأنه من المحتمل أن يكون اكليمندس متوقعًا أرضًا في أقصى الغرب وراء المحيط متل جزيرة اتلنتس الخرافيّة التي ظن أفلاطون وجودها في المحيط الأطلسي، أي ربّما قصد أمريكا الحقيقية التي لم تكن مكتشفة بعد.

أوزان الرياح (أي ٢٨ : ٢٥).

[3] *1 Epistle, 20.*

أشور بعض مستندات عامة عليها طين مختوم بحروف معينة وتميز الختم الرسمي. أيضًا الحجرات التي توضع فيها الكنوز كانت تختم بختم على طين. وربما قبر السيد المسيح ختم هكذا (مت 27: 66). وكان الطين يفضل عن الشمع، لأن الأول يزداد صلابة بالنار، أما الثاني فينصهر بها [1].

مع كل صباح جديد تشرق الشمس على الأرض، فتبدو منيرة كأنها ترتدي ثوبًا جديدًا، هكذا يطبع شمس البرّ نوره على كنيسته، فيصيرها فجرًا جديدًا تتمتع مع كل صباح خبرة جديدة في التمتع بحب الله لها. هكذا تظهر صورة المسيح على كنيسته ومؤمنيه الحقيقيين كما يظهر الختم على الطين.

وَيُمْنَعُ عَنِ الأَشْرَارِ نُورُهُمْ،
وَتَنْكَسِرُ الذِّرَاعُ الْمُرْتَفِعَةُ [15].

سبق أن تحدث أيوب عن فزع اللصوص والمجرمين من نور الصباح لأنه يفضحهم (أي 24: 13). هنا يعلن الله عن أشعة نور الصباح، أي أشعة شمس البرّ التي تكسو الكنيسة الحقيقية بثوب برِّه البهي، وفي نفس الوقت يحرم الأشرار من نور بهجتهم، ويكسر ذراعهم التي يرفعونها ضد الله والناس.

نور السيد المسيح الذي يهب حياة أبدية لمؤمنيه، هو دينونة لمقاوميه. يقول السيد المسيح نفسه: "لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم" (يو 15: 22). ويقول الرسول بولس: "لهؤلاء رائحة موت لموت، ولأولئك رائحة حياة لحياة" (2 كو 2: 16).

❖ لمن إذن "**رائحة موت لموتٍ**" إلا للذين لا يؤمنون، والذين لا يخضعون لكلمة (لوغوس) الله؟... مرة أخرى، من هم أولئك الذين يخلصون وينالون الميراث؟ بلا شك إنهم الذين يؤمنون بالله ويستمرون في محبته كما فعل كالب بن يفنة ويشوع بن نون (عد ١٤:٣٠) والأطفال الأبرياء (يونان ٤:١١) الذين ليس لهم إحساس بالشر. لكن من هم أولئك الذين يخلصون الآن، ويتمتعون بالحياة الأبدية؟ أليس الذين يحبون الله، ويؤمنون بوعوده، ويصيرون أطفالاً في الخبث (١ كو ١٤:٢٠)؟

---

[1] *James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, Logos International Plainfield. N J, 1972, p. 214-5.*
[2] *Adv. Haer. 4:28:3*

القديس إيريناؤس

5. جهله لإدراك ظل الموت والظلمة

هَلِ انْتَهَيْتَ إِلَى يَنَابِيعِ الْبَحْرِ،
أَوْ فِي مَقْصُورَةِ الْغَمْرِ تَمَشَّيْتَ؟ [16]

يسأله إن كان يعرف ما هو كامن في قاع البحر وما يحمله من كنوز، وهل يقدر أن يصف ينابيع مياه البحر.

يعود إلى العالم البدائي، ويظهر المحيط وإن كان مدمرًا يتعاون مع الموت، فهل أدرك أيوب أسرار المياه وسّر الموت؟

❖ إنه يشير إلى ارتباك أيوب: "**وفي دروب الفجر (العمق) تمشيت**". أقول لك ليس فقط هل يمكنك أن تنجز أحد هذه الأعمال التي أنا صنعتها، وإنما لا تستطيع حتى أن تعرف كيف تحققت، ولا أن تعرفها أو تتخيلها كما هي حقيقة. بهذه الكلمات كان يعلم أيوب عن المسافة التي تفصل بين أيوب وبنيه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

هَلِ انْكَشَفَتْ لَكَ أَبْوَابُ الْمَوْتِ،
أَوْ عَايَنْتَ أَبْوَابَ ظِلِّ الْمَوْتِ؟ [17]

الآن بعد أن سأله عن أمور تخص الطبيعة نفسها كظهور الفجر، ينابيع البحر، وما يحويه قاع البحار، يسأله عن أمر أكيد يمس حياة الإنسان، ألا وهو الموت، الذي كما قيل عنه أنه يصاحب الإنسان منذ لحظة ميلاده ولا يعرف متى يحل به. يبقى الموت لغزًا في حياة الإنسان، لا يعرف متى يحل به، وبأية وسيلة، ولا يقدر أن يصفه، ولا أن يصف الموضع الذي ترحل إليه نفسه، وكيف يمارس حياته بعد الموت. أمور يقدمها لنا الإيمان، ويكشفها لنا الخالق محب البشر، مع أنه حقيقة تمس حياة كل إنسان!

يرى البعض أنه يقصد **بالموت** الموضع الذي تجتمع فيه النفوس بعد انتقالها، أي مملكة الموتى، أو الجحيم ، أما **ظل الموت** فيشير إلى نفس حركة خروج النفوس وانطلاقها. هذه أمور غامضة بالنسبة للإنسان، لكنها مكشوفة لله.

❖ حقًا كيف نعجب إن كان البشر قد فشلوا بحكمتهم الأرضية أن يدركوا سر الله الآب وربنا يسوع المسيح الذي فيه كل كنوز الحكمة والمعرفة المختفية (كو 2:3)، هذا السرّ الذي ما

كان للملائكة أن تعرفه بغير إعلان لهم!

لأنه من يقدر من ذاته – وليس بالإيمان – أن يتصور متتبعًا الرب يسوع، إذ نزل (الكلمة) من أعالي السماوات إلى أسافل الجحيم، وها هو يصعد من الجحيم إلى السماوات، وفى نفس الوقت يسكن بيننا دون أن ينقص شيئًا عما كان عليه...

لقد وقفت الملائكة أيضًا في دهش عجيب أمام السر السماوي، هكذا عندما قام الرب لم تحتمل أعالي السماوات مجد القيامة من الأموات، هذا الذي قد حبس أخيرًا في رباطات القبر الضيقة، حتى صارت الملائكة في حيرة...!

فقد جاء "الغالب" متزينًا بغنائم مدهشة. جاء الرب في هيكله المقدس بينما تتقدمه الملائكة ورؤساء الملائكة متعجبين إزاء تلك الغنائم التي انعتقت من الموت... وبنصرة الصليب – حيث كان الحكم على كتفيه – حُملت الغنائم إلى نصرة أبدية.

جاء وكأن الأبواب قد ضاقت به... إذ لا تقدر أن تدخل عظمته، لذلك بحثوا عن طرق أوسع وممرات أسهل للرب في عودته، وهكذا لم ينقص الرب شيئًا بسبب إخلاء نفسه (إذ عاد إلى مجده السماوي ومعه غنائمه).

على أي الأحوال، لقد وجدوا أنه يلزم أن يُعد أمام وجه هذا "المنتصر" الجديد طريق جديد، لأنه هو دائمًا كما كان أعظم من غيره. ولكن لأن أبواب البر التي هي أبواب العهد القديم والجديد، التي فيها تنفتح السماوات، هي أبواب أبدية، لذلك فهي بالحق لا تتغير، لكنها ارتفعت لأن الداخل ليس إنسانًا بل العالم كله يدخل في شخص مخلص الكل.

القديس أمبروسيوس

هَلْ أَدْرَكْتَ عَرْضَ الأَرْضِ؟
أَخْبِرْ إِنْ عَرَفْتَهُ كُلَّهُ! [18]

لم يكن بعد قد دار أحد حول الكرة الأرضية، وما كان يمكن لإنسان حتى ذلك الحين أن يعرف أبعادها، مع أن الأرض ذاتها تحسب نقطة وسط عظمة الكون كله الذي أبدعه الله.

أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَيْثُ يَسْكُنُ النُّورُ،
وَالظُّلْمَةُ أَيْنَ مَقَامُهَا [19].

يتعاقب النور الظلمة، والظلمة النور هذا ما يلاحظه الإنسان كل يوم، لكن هل يعرف سّر النور وسّر الظلمة، أين يسكنان.

يستحيل على الإنسان أن يحدد موضعًا خاصًا بالنور الملموس والظلمة، فكيف يمكنه أن يدرك ذاك الذي خلق النور وفصله عن الظلمة. وماذا يمكن للإنسان أن يعرف عن نور البرّ الإلهي وظلمة الشر.

ما يعرفه الإنسان أن الله قادر أن يحول قلب الإنسان من ظلمة الشر إلى نور البرّ، أما كيف يتحقق هذا، فهذا ما لا يستطيع أن يصفه بدقه. في كل يوم نلمس عمل الله هذا حيث يشرق بنور برّه على الخطاة ليحول خطاة إلى قديسين.

حَتَّى تَأْخُذَهَا إِلَى تُخُومِهَا،

وَتَعْرِفَ سُبُلَ بَيْتِهَا؟ [20]

كثيرًا ما يشتاق الإنسان إلى بزوغ نور النهار ليتمم عملاً ما، كما يشتاق إلى ظلمة الليل ليستريح من تعب العمل في النهار، لكنه لا يعرف إلى أين يذهب نور النهار أو ظلمة الليل.

تَعْلَمُ لأَنَّكَ حِينَئِذٍ كُنْتَ قَدْ وُلِدْتَ وَعَدَدُ أَيَّامِكَ كَثِيرٌ! [21]

أراد الله أن يظهر حقيقة الإنسان خارج دائرة نعمته، فيسأل أيوب إن كان يعلم هذه الأمور، إن كان عمره يرجع إلى بدء الخليقة، وكان ذلك الحين مولودًا.

لا يليق بالإنسان أن يناقش الله فيما يفوق قدرته مثل خلقة النور، إنما بإيمان ينصت إلى قوله الإلهي: "أنا مصور النور وخالق الظلمة، صانع السلام وخالق الشر (التأديبات). أنا الرب صانع هذه كلها" (إش 45: 7).

6. جهله للسحب والبَرَدْ والرعد...

أَدَخَلْتَ إِلَى خَزَائِنِ الثَّلْجِ؟

أَمْ أَبْصَرْتَ مَخَازِنَ الْبَرَدِ؟ [22]

بعد أن ناقش الله موضوع الخليقة أشار إلى الظواهر الطبيعية القائمة مثل نزول الثلج وهبوب الرياح وسقوط الأمطار. هذه كلها التي أوجدها الله من أجل كل إنسانٍ. كان يليق بأيوب أن يتأمل هذه الأعمال العجيبة التي لا يمكن للفكر البشري أن يحدها تمامًا، ومع أنها موجودة من أجله، عوض الانشغال بالتجارب التي تحل به. ليس وجه للمقارنة بين ما يسمح به الله للإنسان من ضيق وبين عنايته الإلهية بكل العالم من اجل الإنسان. يليق بالمؤمن أن يتسع قلبه وفكره ليمجد الخالق المدبر كل شيءٍ لأجله.

حينما يسقط الثلج في البلاد الباردة يدهش من الكميات التي لا حصر لها التي تسقط على بلاد بأكملها، فيبدو كأن السماء قد امتلأت مخازنها بالثلج والبَرَدْ.

يلمس سكان المناطق التي تتعرض للثلوج عناية الله بهم، ويرون في الثلوج كنوزًا ثمينة. فهي تحفظ للأرض دفئها فلا تنزل حرارتها إلى ما قبل الصفر بدرجات كثيرة، كما يعطي الثلج خصوبة للأرض. لهذا بعد فترة الثلج مباشرةً نجد النباتات في المنطقة التي كانت مغطاة بالثلج تنمو بسرعة عجيبة.

يستخدم الرب الثلج والبَرَدْ لتحقيق أغراضه كحفظ مؤمنيه من غارات الأشرار، فيُسقط عليهما الثلج والبَرَدْ في يوم القتال كما حدث وقت الطوفان وانصبت المياه من هذه المخازن لتغرق العالم الشرير، وكما رمى على الكنعانيين حجارة عظيمة من السماء (يش 10: 11).

يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** في الثلج والبرد إشارة إلى القلوب الباردة من جهة محبة الله، كما قيل: "تبرد محبة الكثيرين" (مت 24: 12). هذه القلوب يتطلع إليها الرب لا باستخفاف ولا بروح الغضب، وإنما كنوز تحتاج إلى من يحركها. لقد حرك بنفسه قلب شاول الطرسوسي الذي اعترف بأنه كان مجدفًا ومضطهدًا ومفتريًا، وأقام منه الرسول العظيم الملتهب بالغيرة المقدسة.

الَّتِي أَبْقَيْتَهَا لِوَقْتِ الضَّرِّ لِيَوْمِ الْقِتَالِ وَالْحَرْبِ؟ [23]

استخدم الرب هذه المخازن لتأديب الأشرار (خر 9: 18؛ يش 10: 11؛ رؤ 16: 21؛ إش 28: 17؛ مز 18: 12- 13؛ حج 2: 17).

فِي أَيِّ طَرِيقٍ يَتَوَزَّعُ النُّورُ،
وَتَتَفَرَّقُ الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ عَلَى الأَرْضِ؟ [24]

في ظاهرة السحب الرعدية يظهر نور البرق إلى لحظات؛ لكن من يقدر أن يصف بدقة كيف يصدر النور، وما هي سرعته، وما هو جوهره، وكيف يتبدد بسرعة الخ.

يرى البعض أنه يتحدث عن النور المنبعث مع الفجر لينتشر على الأرض. مثل هذه الظاهرة بسيطة يلمسها البشر في حياتهم اليومية ومع هذا لا يدركون أسرارها.

يسأل أيضًا أيوب إن كان يدرك كيف تتوزع الريح الشرقية على المناطق. ولعله ربط بين النور والريح الشرقية بكون مصدرهما هو من الشرق، وينتشران على المناطق والبلاد ولا يستطع أن يتتبع انتشارهما.

مَنْ فَرَّعَ قَنَوَاتٍ لِلْهَطْلِ وَطَرِيقًا لِلصَّوَاعِقِ [25].

يبدو للإنسان كأن لا ضابط للأمطار ولا لتجمع المياه في قنوات متفرعة، ولا عندما تغمر المياه الكثير من الأراضي حتى كأنها قد خرجت عن طاعة الله الذي حدد مسارها.

كل الأمور تسلك بسماحٍ إلهي، وقد قيل عن قلب الملك إنه في يد الله كجداول مياه حيثما شاء يميلها (أم 21: 1).

وكما يوجه الله جداول المياه، هكذا له سلطان على مسار الصواعق.

لِيَمْطُرَ عَلَى أَرْضٍ حَيْثُ لاَ إِنْسَانَ،
عَلَى قَفْرٍ لاَ أَحَدَ فِيه [26].

إن كان الله يحدد حتى أماكن المطر، ففي عنايته بخليقته يسمح بالمطر حتى في الأماكن غير الآهلة بالسكان، لكي تجد وحوش البرية ماءً، أو إن عبر بها مسافر.

لِيُرْوِيَ الْبَلْقَعَ وَالْخَلاَءَ وَيُنْبِتَ مَخْرَجَ الْعُشْبِ؟ [27]

إن كان الله يهتم بالإنسان بصفة خاصة، إلا أنه لا يتغافل المخلوقات الدنيئة التي في البراري، والحيوانات المفترسة. وكما يقول المرتل: "المفجِّر عيونًا في الأودية، بين الجبال تجري. تسقى كل حيوان البر تكسر الفراء (الحمار الوحشي) ظمأها" (مز 104: 10-11).

هَلْ لِلْمَطَرِ أَبٌ، وَمَنْ وَلَدَ مَآجِلَ الطَّلِّ؟ [28]

سبق فتحدث عن البحر العظيم كطفلٍ خرج من الرحم بأمر الله، قمَّطه بالضباب، وكساه بالسحاب، وكأن الله أشبه بمربية حتى للبحر الجماد. الآن يتحدث عن الطل، القطرات غير المحصاة فيصورها كمولود حديث يهتم الله حتى بقطرة الطل! إنه عامل في كل الطبيعة بطبيعته الصالحة الفائقة.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الله كثيرًا ما يستخدم تعبير الولادة حتى بالنسبة للخلائق الجمادات، ليؤكد ليس من خليقة جاءت مصادفة، إنما كل الأمور هي في ذهن الله الكلي الحب والرعاية.

❖ "**من هو أب للمطر؟! ومن ولد قطرات الطل؟!**" (أي 38: 28)

من كثّف الهواء في السحب ، وربطها ليحمل مياه الأمطار فتأتي ذهبية اللون (أي 37: 22) من الجنوب، بنظام واحد تارة ، وفي شكل دوائر متعددة وأشكال متباينة تارة أخرى؟!

من يحصي الغيوم بالحكمة (أي 38: 37)، إذ قيل في أيوب يعرف ان فصال السحاب؟! (أي 33: 16 *LXX*)

من هو "المخرج الريح من خزائنه" (أي 35: 7)، وكما قلنا قبل "من ولد قطرات الندى ومن بطن من خرج الثلج؟!" (مز 135: 7؛ أي 38: 28) فإن مادتها ماء وقوتها كالحجر!

في وقتٍ ما يصير الماء ثلجًا كالصوف (راجع مز 16:147)، وأخرى يذريه صقيعًا كالرماد، وثالثة تصير مادة حجرية. إنه يحكم الماء كما يريد.

❖ طبيعة الماء واحدة لكن عمله متعدد في القوة، فيعمل في الكرمة خمرًا يفرح قلب الإنسان، وفي الزيتونة زيتًا يلمع وجهه، وفي الخبز يسند قلب الإنسان (مز 15:104)، ويوجد في كل أنواع الفاكهة التي خلقها الله[1].

القديس كيرلس الأورشليمي

مِنْ بَطْنِ مَنْ خَرَجَ الْجَلِيدُ؟
صَقِيعُ السَّمَاءِ مَنْ وَلَدَهُ؟ [29]

تتجمد المياه لتصير جليدًا وثلجًا لفترة وجيزة للغاية وبكميات يصعب أو يستحيل حصرها تكشف عن عجز الإنسان عن إدراك ظواهر طبيعية تتم أمامه وبسرعة لا يتوقعها. أية قوة مخلوقة تقدر أن تتمم هذه الظواهر العجيبة؟

كَحَجَرٍ صَارَتِ الْمِيَاهُ. اخْتَبَأَتْ.
وَتَلَكَّدَ وَجْهُ الْغَمْرِ [30].

يتألم **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن اليهود الذين كانوا يشبهون الأمطار التي تروي الأرض، بسبب عدم إيمانهم فقدوا كل حرارة روحية وصاروا أشبه بحجارة باردة ثلجية.

7. جهله للكواكب وأثرها على الأرض

هَلْ تَرْبِطُ أَنْتَ عُقْدَ الثُّرَيَّا
أَوْ تَفُكُّ رُبُطَ الْجَبَّارِ؟ [31]

إذ ربط كثير من الفلاسفة مصائر الناس بحركات الكواكب، لذلك تحدث عن مجموعات الكواكب، فإن الله قد خلق هذه جميعها بحكمة، ومهما درس الإنسان الفلك وتعرف

[1] *Catechetical Lectures, 9:9.*

على بعض أسرار الكواكب، فإنه لا سلطان له عليها، ولا سلطان للكواكب على مصائر الناس.

❖ أتعرف من ذاك الذي يحصي عدد الكواكب ، ويدعوها بأسمائها؟ هل تعرف فوارق المجد الذي لكل منها (1 كو 41:15)، ونظام تحركها، فأثق فيك عندما تنسج نسيج الشئون البشرية، وتسلح المخلوق ضد الخالق؟ [1]

القديس غريغوريوس النزينزي

أَتُخْرِجُ الْمَنَازِلَ فِي أَوْقَاتِهَا،
وَتَهْدِي النَّعْشَ مَعَ بَنَاتِهِ؟ [32]

يقصد بالمنازل الكواكب التي في الجنوب، وبالنعش الكواكب التي في الشمال. مَنْ من البشر له سلطان على تحريك الكواكب. لكن الله وحده يستخدمها، كما جاء في سفر القضاة: "من السماوات حاربوا. الكواكب من حُبكها حاربت سِيسرا" (قض 5: 20).

جاء تعبيرا "المنازل" و"النعش" في الترجمة السبعينية: Mazuroth وكواكب المساء؛ وجاء في نص **البابا غريغوريوس (الكبير)** كوكب الصباح وكوكب المساء. ويرى البابا أن كوكب الصباح هو السيد المسيح الذي أعلن لنا عن الصباح الأبدي، والذي قام في الصباح من الموت وأشرق ببهاء نوره علينا، محطمًا ظلمة فسادنا لاق أن يدعوه يوحنا "كوكب الصبح المنير" (رؤ 22: 16). أما كوكب المساء القادم فهو ضد المسيح هذا الذي يسمح له الرب أن يسود على أبناء الأرض، على القلوب غير المؤمنة والتي تتقبل سيادة ضد المسيح عليها.

❖ جلب الآب كوكب الصباح في حينه، إذ مكتوب: "لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة، مولودًا تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس" (غل 4: 4-5). إذ ولد من عذراء ظهر ككوكب الصباح وسط ظلمة ليلنا. فإنه إذ طرد قتام الخطية أعلن لنا الصباح الأبدي. لكنه أظهر نفسه ككوكب الصباح لأنه قام في الصباح من الموت، وغلب ببهاء نوره على بشاعة ظلمة موتنا. بلياقة دعاه يوحنا "كوكب الصبح المنير" (رؤ 22: 16)، إذ ظهر حيًا بعد الموت. صار لنا كوكب الصبح. أحيانًا في شخصه مثالاً للقيامة. كما أشار إلى النور القادم (المخادع). إنه يسمح لكوكب المساء أن يسيطر على بني الأرض إذ يسمح لضد المسيح أن يسيطر على قلوب اليهود غير المؤمنة... يقول الرب في الإنجيل: "أنا قد أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني. إن أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه" (يو

[1] *Second Theological Oration, 30.*

5: 43). يقول أيضًا بولس: "لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا ولأجل هذا سيُرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب، لكي يُدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سرو بالإثم" (2 تس 2: 10–12). لذلك فإن كوكب المساء لن يسيطر على الذين أرادوا أن يكونوا أبناء السماء.

البابا غريغوريوس (الكبير)

هَلْ عَرَفْتَ سُنَنَ السَّمَاوَاتِ،

أَوْ جَعَلْتَ تَسَلُّطَهَا عَلَى الأَرْضِ؟ [33]

ليس من يعرف سنن السماوات أو يدرك أسرارها، وأحكامها. أما السماء فتدرك ما على الأرض ويكتشف السمائيون الكثير من أسرار محبة الله وخطته نحو البشرية. كأن الله يقول لأيوب: "إن كنت قد سمحت لك بالتجارب، فأنت لا تدرك ما يدور في السماء، لكن السمائيين يدركون لماذا سمحت لك بالضيقات ويعلمون محبتي لك ودفاعي عنك ضد الشيطان.

8. جهله قوة الله في الجو والظواهر الطبيعية

أَتَرْفَعُ صَوْتَكَ إِلَى السُّحُبِ،

فَيُغَطِّيَكَ فَيْضُ الْمِيَاهِ؟ [34]

سبق فرأينا أن السحب تشير إلى أنبياء العهد القديم ورسل العهد الجديد، فالله يتكلم خلال رجاله القديسين كما من السحب، وهو وحده يغطي الإنسان بمياه نعمته وعطية روحه القدوس.

لقد جاء الرب يتكلم بين السحب حيث شهد له الأنبياء ويكرز به الرسل، وقد قبلت الشعوب كمياه كثيرة الإيمان به، وكأنه قد غطاه فيض المياه. لم يكن ممكنًا لأيوب البار ولا لغيره من رجال العهد القديم إدراك هذا السرّ بوضوح كما تحقق بمجيء السيد المسيح.

أَتُرْسِلُ الْبُرُوقَ فَتَذْهَبَ،

وَتَقُولَ لَكَ: هَا نَحْنُ؟ [35]

تشير السحب إلى الرسل الذين جالوا يكرزون بالإنجيل، أما البروق التي تصدر عن السحب فهي الآيات والعجائب التي وهبها الله للرسل للشهادة عن الحق الإلهي. إحدى هذه البروق الصادرة عن السحب، ما قاله بطرس الرسول للأعرج: "ليس لي فضة ولا ذهب، ولكن الذي لي فإياه أعطيك. باسم يسوع المسيح الناصري قم وامشِ" (أع 3: 6–7).

كما أن السحب تخضع لله هكذا البرق يشهد له في طاعة.

مَنْ وَضَعَ فِي الطَّخَاءِ حِكْمَةً،
أَوْ مَنْ أَظْهَرَ فِي الشُّهُبِ فِطْنَةً؟ [36]

41. يترجم البعض الطخاء بالإعصار. أما الشُهب فهي شعلة نار ساطعة.

جاءت الترجمة السبعينية: "**من يعطي النساء مهارة الغزل (النسيج) ومعرفة التطريز؟**"

❖ لاحظوا هذا: إنه يتحدث عن الجانب العملي. إنه يخلط الأمور الصغيرة بالكبيرة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يرى **القديس أمبروسيوس** في هذه العبارة إشارة إلى نسج الصدرية السماوية التي للسيد المسيح بكونه رئيس الكهنة الأعظم، هذه التي تُنسج من قوة الله وحكمته وبرِّه، ومزينة بالحجارة الكريمة. أو هو ثوب العرس السماوي المزين بحجارة متنوعة، ومنسوج بالذهب، إنه نسيج الإيمان العامل [1].

مَنْ يُحْصِي الْغُيُومَ بِالْحِكْمَةِ،
وَمَنْ يَسْكُبُ أَزْقَاقَ السَّمَاوَاتِ [37].

"**أزقاق**" جمع كلمة "زق" أي زجاجة. هل يستطيع إنسان مهما بلغت حكمته أن يحصي الغيوم التي في السماء، ويضعها بدقة، ويحدد حجمها ووزنها؟ ومن يستطيع أن يتحدث عن الأمطار التي تنسكب من السماء كما من زجاجات ضخمة؟

إِذْ يَنْسَبِكُ التُّرَابُ سَبْكًا،
وَيَتَلاَصَقُ الطِّينُ؟ [38]

إن كان الأشرار كالعصافة في مهب الريح (مز 1: 4) أو كالتراب أو الغبار الطائر في الجو، لأنهم بلا محبة تجمعهم معًا بالروح؛ فإن الله في محبته يهبهم روح الحب ليتلاصقوا معًا ككتل الطين النافعة.

9. عناية الله بالحيوانات غير العاقلة

أَتَصْطَادُ لِلَّبْوَةِ فَرِيسَةً،

---

[1] *cf. St Ambrose: Of the Christian Faith, Book 2: 10.*

أَمْ تُشْبِعُ نَفْسَ الأَشْبَالِ [39].

اختيار هذه الحيوانات والطيور (38:39–40:30) لم يكن اختيارًا بلا هدف، لكن يمكن القول إنها تمثل موكب الحيوانات والطيور المقاومة للمجتمع الإنساني في نظر الإنسان في ذلك الحين. لذلك كثيرًا ما صورت الشياطين بأشكال هذه الحيوانات والطيور. عناية الله فائقة حتى بالوحوش المفترسة والطيور التي تهاجم المجتمع البشري. هذه جميعها ليس فقط يعرف الله طرقها، وإنما تخضع له وهو الذي يعولها. فإن كان الله اهتم بالخليقة الجامدة التي أوجدها من العدم، واهتم بقوانين الجو من نزول ثليج أو هبوب رياح أو نزول أمطار، ويهتم بالاعتناء بحيوانات البرية والطيور الجارحة، فكيف لا يهتم بشئون الإنسان الذي من أجله خلق هذه كلها؟

يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن اللبوة هنا تشير إلى اليهودية المتكبرة، إذ تقبل الإيمان بالسيد المسيح خلال كرازة الكنيسة، فإن السيد المسيح نفسه يقوم بإشباع نفوس أبنائها.

حِينَ تَرْبِضُ فِي عَرِينِهَا،
وَتَكْمُنُ فِي غَابَتِهَا لِلْكُمُونِ؟ [40]

يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أنه يتحدث هنا عن الفترة ما بين آلام السيد المسيح وحلول الروح القدس في عيد العنصرة حيث توقف الرسل والتلاميذ عن الخدمة فكانوا كاللبوة التي تربض في عرينها وتكمن في الغابة في حالة كمون. كانوا منتظرين وهم في خوف من المقاومين حتى يلبسوا قوة من الأعالي للبدء في الكرازة.

إنهم يشبهون اللبوة التي تبقى في عرينها مع الأشبال الصغار حتى يأتي الأسد بالفريسة لهم.

مَنْ يُهَيِّئُ لِلْغُرَابِ صَيْدَهُ،
إِذْ تَنْعَبُ فِرَاخُهُ إِلَى اللهِ،
وَتَتَرَدَّدُ لِعَدَمِ الْقُوتِ؟ [41]

عجيب هو الله في رعايته وعنايته بخليقته، إذ يهتم حتى بفراخ الغربان، فيعطيها قوتها (مز 147: 9). يهتم الإنسان بالمخلوقات النافعة له أما الله فيهتم بكل الخليقة. إنه ينصت حتى صياح (نعيب) فراخ الغربان.

يُقال إن الغربان لا تهتم بصغارها، فتنعب الصغار كما إلى الله، والله يعطيها قوتها.

إنها تعلمنا أن نصرخ "يا أبا الآب" (رؤ 8: 15)، فهو يسمع لنا حتى إن لم يسمع لنا والدينا. وكما يقول المرتل: "أبي وأمي تركاني وأما الرب فضمني".

إن كان قد شبه اليهود القادمين للإيمان باللبوة التي يشبع الله احتياجات أشبالها، فإنه يشبه الأمم بالغربان، والله يهتم بهؤلاء وأولئك: "المعطي البهائم طعامها لفراخ الغربان التي تصرخ" (مز 147: 9).

❖ تتقبل الحيوانات طعامها عندما تقتات الأذهان البهيمية على الكتاب المقدس. لكن يُعطي الطعام لفراخ الغربان، أي لأبناء الأمميين عندما تنتعش اشتياقاتهم بمحادثاتنا معهم... صغار الغربان، أي الكارزون القديسون القادمون من كنيسة الأمم، بالحق لا يتكلون على أنفسهم بل على قوة مخلصهم لذلك حسنًا قيل: "عندما يصرخ صغاره لله"، إذ يدركون أنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئًا بقوتهم الذاتية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

من وحي أيوب 38

هب لي أن أدرك عظمة عنايتك

❖ من أجلي وضعت للأرض أساساتها، وأقمتها كما على أعمدة.
ليس من يعرف أسرارها الخفية سواك.
تطلع السمائيون إلى أعمالك من أجلي، فتقدموا كخورس متناغم،
ترنموا وسبحوا بروح التهليل، وهتف الكل من أجل حبك ورعايتك!
وضعت للبحر حدودًا.
أغلقت عليه كما بمتاريس ومصاريع.
كسرت تشامخه وكبرياء لججه!
لأنزل إلى أعماق البحر،
وأتمشى فأُبهر من كنوزه الخفية.

❖ مع كل فجرٍ أقف في دهشة، أرى قبسات النور تبدأ لتشرق.
من يقدر أن يحدد موضعها؟ من يقدر أن يقيس أبعادها؟
يا لك من خالق قدير وعجيب!

❖ تشرق الشمس لتهب بهجة للأرض، مع كل صباح أراها كأنها جديدة!
أتلمس في أشعة الشمس بهاء نعمتك.
تتهلل نفسي بأعمالك اليومية!

❖ أتطلع إلى السحب، من يقدر أن يدرك حجمها!
من يعرف بدقة أوزانها؟
حتى العواصف والثلوج والجليد، كلها لا تفلت من يدك.
إنها تعمل بسماح منك!

❖ كل الطبيعة تسخرها لي،
تهتم حتى بالأمطار لتروي لي الأرض.
يا للعجب! لا تتجاهل حتى حيوانات البرية المتوحشة!
تعتني بي كملكٍ أقمتني على الأرض،
وتعتني بالحيوانات والطيور،
حتى الخليقة الجامدة هي موضع عنايتك!
تقدم للوحوش المفترسة طعامًا في البرية أو في الغابة.
وتسمع نعيب صغار الغربان، وتقوتها!
لك المجد يا راعي الكل بحبك!

اَلأَصْحَاحُ التَّاسِعُ وَالثَّلاَثُونَ

حيوانات البرية والطيور الجارحة

تدعونا للاقتراب من الله

تحدث عن الحيوانات حتى الحشرات التي تنطلق في حرية بلا ترويض، ومع هذا فالله يهتم بها. كما تحدث عن الخيول التي تُروض لاستخدامها في المعارك. وأخيرًا تحدث عن الطيور الجارحة بقدراتها الفائقة لرؤية الفريسة وهي طائرة على مسافات بعيدة، وعاداتها في بناء أعشاش في مرتفعاتٍ عالية.

ما ورد هنا لا يمكن أن يكون تجميعًا لروايات المسافرين أصحاب المعرفة بالحيوانات والطيور في ذلك الحين. إنه يقدم صورة بهية وجميلة لعمل الله في الخليقة، الضخمة والصغيرة، ما يبدو منها نافعًا، وما يبدو منها مفترسًا أو مؤذيًا. إنه الإله العجيب الخالق عجائب فائقة!

يقدم لنا هذا الأصحاح سمات خاصة ببعض الحيوانات والطيور، يقف أمامها المؤمن ليتعلم في تواضع منها:

1. يرى في **وعول الصخور والأيائل** الحاجة إلى الالتجاء إلى السيد المسيح صخر الدهور، والعطش كالأيائل إلى مجاري مياه الروح القدس. يضرب بقدميه الحية القديمة، فيسحق بالمسيح يسوع رأسها، ولا يكون لها سلطان عليه.

2. ويرى **في ولادة الأيائل** في البراري عناية الله الفائقة، فيخدم المؤمن ويشهد لمسيحه، ليصير له أبناء في الإنجيل. جذب النفوس وولادتها بالحق من عمل الله نفسه بالكرازة وفي العماد.

3. في تمتع **الفراء والحمار الوحشي** بالحرية في البرية دعوة للإنسان أن ينطلق إلى السكون فلا يستعبد نفسه للعالم، ولا ينشغل باهتماماته المفسدة للسلام الداخلي.

4. في عدم إمكانية استخدام قوة **وحيد القرن** في سحب المحراث للزراعة، حيث لا يأكل في معلفٍ مع الحيوانات الأليفة، دعوة للهروب من الاعتماد على القوة أو القدرة البشرية في عجرفة وتشامخ وعدم التمتع بطعام الروح أي كلمة الله.

5. في جمال **النعامة** وضخامة جسمها مع غباوتها، فلا تحتضن بيضها، دعوة لطلب

الحكمة لا جمال الجسد.

6. نرى في **الفرس** إخلاصًا وشهامة وعدم خوف من الموت وسط المعارك، فنخجل من أنفسنا، إذ يليق بنا أن نموت مع الرسول كل يومٍ من أجل الرب.

7. يطير **الصقر** نحو الجنوب الدافئ حين يجدد ريشه، ونحن إذ نطلب حرارة الروح ننطلق نحو مسيحنا لنخلع بروحه القدوس إنساننا العتيق ونلبس الجديد الذي يتجدد كل يومٍ.

8. نرى في **النسر** دعوة لاستخدام إمكانياتنا بالنعمة للطيران نحو السماء، والتطلع لا للافتراس بل للتمتع بمن صار ذبيحة لأجلنا. نطير مع القديس يوحنا في العلويات لنرى يوم الرب العظيم، ونتمتع باكتشاف أسرار الله الفائقة، فنحسب النسور المجتمعة حول الصليب!

1. الوعول والأيائل	**4.-1**
2. الحمار الوحشي	**8.-5**
3. الثور الوحشي	**12.-9**
4. النعامة	**18.-13**
5. الفرس	**25.-19**
6. العقاب والنسر	**30.-26**

1. الوعول والأيائل

أَتَعْرِفُ وَقْتَ وَلاَدَةِ وُعُولِ الصُّخُورِ،
أَوْ تُلاَحِظُ مَخَاضَ الأَيَائِلِ؟ [1].

أغلب البشرية لا تنشغل بالحيوانات المتوحشة التي تهيم على وجهها في الصحراء أو في الغابات، إنما ما يشغلها أعمالها الخاصة وحيواناتها من قطعان وخيول وكلاب وقطط الخ. لكن الله خالق الكل يهتم حتى بحيوانات البرية، بالحفاظ عليها وإنجابها وطعامها وشرابها وجحورها.

ينشغل الرجل وزوجته عندما يدركان أن الزوجة قد صارت حاملاً أن يعرفا موعد الولادة، وأن يلاحظا المخاض. وغالبًا ما يرجعان إلى أطباء متخصصين لمتابعة الحمل حتى تتم الولادة. هكذا ولادة الطفل تكلف الإنسان الكثير من العناية والنفقة المادية والإعداد النفسي والمالي، فمن يهتم بالوعول والأيائل عندما تكون حاملاً؟ الله نفسه يرعاها ويهتم بها، أفلا يهتم بالإنسان مخلوقه المحبوب والعزيز عليه جدًا؟

يمكننا أن نقول على مثال الرسول بولس القائل: "ألعل الله تهمه الثيران؟" (1 كو 9: 9)، "ألعل الله تهمه ولادة الوعول ومخاض الأيائل؟" نعم إنه مشغول بالوعول والأيائل البشرية التي تعمل بروحه القدوس، وتجاهد حتى تلد نفوسًا للرب. تضرب بأرجلها رؤوس الحيات لتقتلها، ويضع كل منها رأسه على الآخر ويعمل الكل معًا من أجل ربح كل نفس لملكوت الله. عندئذ يترنم المعلم الروحي مع الرسول بولس قائلاً: "وإن كان لكم ربوات المرشدين في المسيح، لكن ليس آباء كثيرون، لأني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل" (1 كو 4: 15). " أطلب إليك لأجل ابني أُنسيمس الذي ولدته في قيودي" (غل 1: 10).

يقدم لنا **البابا غريغوريوس (الكبير)** تفسيرًا رمزيًا لحبل الوعول والأيائل.

❖ من عادة الأيائل (الإناث) أن يقتلن الحيات اللواتي يجدنهن، وتحاول الحيات أن تعض أقدامهن. يُقال إنه عند عبورهن الأنهار كل منهن تريح رأسها على الأيلة التي أمامها، فلا تشعر بثقل رأسها. لماذا سُئل أيوب بخصوص ولادة الوعول والأيائل إلا لأنها تشير إلى شخصية القادة الروحيين؟

فإنهم بالحق مثل الوعول التي تلد في الصخور، وذلك لأنه خلال تعاليم الآباء التي تدعى صخورًا يلدون نفوسًا بهدايتها... قيل بإرميا عن المعلمين الذين بإهمال يتركون الأولاد الذين وُلدوا لهم: "الإيلة أيضًا في الحقل وُلدت وتُركت" (إر 14: 5).

إنهم مثل الأيائل يعيشون على تحطيم الخطايا، أي على الحيات الميتة، وبتحطيم خطاياهم يلتهبون بالأكثر شوقًا نحو ينبوع الحياة. لهذا يقول المرتل: "كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله" (مز 42: 1).

وكأنه يُقال لأيوب: أنت تعتقد أنك تعمل على مستوى عالٍ، وأنت لم تسبق فتعرف الزمن الذي فيه يُرسل السادة الروحيون إلى العالم ليلدوا أبناء بتعليم الآباء الأولين، وبجهادهم يجمعون لي النفوس الرابحة [آ].

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَتَحْسِبُ الشُّهُورَ الَّتِي تُكَمِّلُهَا،
أَوْ تَعْلَمُ مِيعَادَ وَلاَدَتِهِنَّ؟ [2].

لا ينشغل الإنسان بحساب الشهور التي تكملها حيوانات البرية وهي حامل، ولا يهتم

[آ] استعار البابا غريغوريوس ما ورد عن الأيائل من القديس أغسطينوس في تفسيره المزمور 42.

بموعد الولادة، وحتى إن انشغل فلا يعرف بدقة ميعاد الولادة.

إن كان الإنسان يجهل هذه الأمور التي تحيط به على الأرض التي يسكنها، فهل يظن أنه قادر على إدراك ما في فكر الله وما في قلبه؟ هل يمكنه أن يدرك خطة الله من نحوه ومدى حبه له؟

يَبْرُكْنَ وَيَضَعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ.

يَدْفَعْنَ أَوْجَاعَهُنَّ [3].

ولادة صغار حيوانات البرية شاقة، وليس من إنسانٍ يساعدها، ومع هذا تولد صغارها سالمة خلال عناية الله بها، فتنسى تعبها وأوجاعها.

ولادة الأطفال، خاصة في البلاد المتقدمة، تأخذ جهدًا ضخمًا سواء على مستوى الدول أو الأسر أو الأفراد، كما تكلف العالم الكثير. أما ولادة حيوانات البرية فتكاد لا تكلف أحدًا شيئًا ما.

فالحيوانات "**يبكرن ويضعن أولادهن. يدفعن أوجاعهن**".

ليت المعلمين الروحيين يثقون في عمل الله العجيب الذي يعمل بهم ليلدوا أبناء له في الإنجيل خلال غنى نعمة الله المجانية!

❖ عندما يفكر القديسون في تقدم سامعيهم، يصيرون في حالة حبل، كما في الرحم. فإنني أقدم شخصًا من بين كثيرين يشبه الأيائل، هو بولس، الذي ينطق كمن يزأر من شدة ألم مخاض الولادة. إنه يقول: "يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضًا إلى أن يتصور المسيح فيكم" (غل 4: 19).

البابا غريغوريوس (الكبير)

تَبْلُغُ أَوْلاَدُهُنَّ.

تَرْبُو فِي الْبَرِّيَّةِ.

تَخْرُجُ وَلاَ تَعُودُ إِلَيْهِنَّ [4].

سرعان ما تبلغ أولادهن أي يكبرون. فإن صغار حيوانات البرية أو أغلب الحيوانا ت بصفة عامة لا تحتاج إلى زمنٍ طويلٍ ولا إلى من يعلمها الرضاعة والمشي والحركة الخ. على عكس الإنسان، فإنه يحتاج إلى فترة تدريب طويلة ليتعلم المشي ويعتمد على نفسه. إنها عطية إلهية رائعة للحيوان كما للإنسان. فالحيوان لا يحتاج إلى من يعلمه، لأن والدته تعجز عن تدبير ذلك، أما الإنسان فيحتاج إلى من يعلمه وإلى فترة طويلة لكي وهو يتعلم المشي وطريقة الأكل

الخ.، يتشرب من الأسرة الكثير من العادات، ويتمتع بثقافة جماعية، وينتفع بخبرة سابقيه! لقد وضع الله كل شيء بحكمة، سواء بالنسبة للحيوان أو الإنسان!

"**تخرج ولا تعود إليهن**" إذ تخرج صغار الحيوانات بعد فترة وجيزة تبحث بنفسها عن طعامها، ولا تبقى عبئًا على الأمهات. أما بالنسبة للبشر فيبقى لسنوات تمتد إلى العشرات، تقوم الأسرة بإعالته حتى يتمم دراسته العملية أو تدريبه على مهنة معينة ويستقل عن والديه.

2. الحمار الوحشي

مَنْ سَرَّحَ الْفَرَاءَ حُرًّا،

وَمَنْ فَكَّ رُبُطَ حِمَارِ الْوَحْشِ؟ [5]

يرى بعض الآباء في الفراء والحمار الوحشي اللذين يمرحان في البرية بلا عائق رمزين إلى الذين يسلكون في حياة الوحدة في حرية الروح.

❖ الحمار الوحشي الذي يقطن في عزلة، يعني حياة أولئك الذين يقطنون بعيدًا عن ازدحام الناس. بلياقة قيل "**حرًا**" أيضًا، لأن مشقة السلوك الدنيوي عظيمة، يرتبك العقل بها، حتى وإن كانت أتعابها بالنسبة لهم مقبولة. للتحرر من حالة العبودية هذه يلزم عدم اشتهاء أي شيء في هذا العالم. فإن الناس يسعون وراء الغنى، والعدو يضغط بنوع من نير العبودية الرهيب.

أما من يحرر عنق ذهنه من سلطان الشهوات الزمنية، فإنه يتمتع بنوعٍ من الحرية في هذه الحياة... لقد رأى الرب هذا النير الثقيل عندما قال: "تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (مت 11: 28)... فإن الرب يحل رباطات الحمار الوحشي عندما يمزق من ذهن مختاريه، قيود الأخطار الضعيفة وبرحمته يمزق إربًا كل ما يقيد فكرهم الباهر.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ البرّيّة هي أم السكون، إنها الهدوء والميناء الذي ينجينا من كل المتاعب .

القدّيس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن مجرّد النظر إلى القفر يهب النفس سكونًا، ويقتل شهوات الجسد فينا.

---

[2] *In Matt. hom 50:1.*

مار اسحق السرياني

- قال أنبا مرقس: "**هذا هو السبب في أنّ السكون جيد** : أنّ الإنسان لا يرى فيه ما هو مضرٌّ لنفسه، والشيء الذي لا يُرى لا يصل إلى النفس، وما لا يوجد في النفس لا يحرِّك فيها ذكر المناظر ولا يجعل الأوجاع (أي ميول النفس) تثور فيها، ويتمتع الإنسان في داخله بهدوءٍ عميقٍ وسلامٍ متضاعف (أو يتلذذ في كثرة السلام مز37: 11)".
- سُئل شيخ: "لماذا قال أنبا أنطونيوس لأنبا بولس تلميذه: اِذهب واسكن في صمت حتى تتلقَّى تجارب الشياطين؟ " فقال الشيخ: "لأنّ الكمال يأتي للراهب من السلوك الروحاني، والسلوك الروحاني ينشأ من ميول القلب، ونقاوة القلب تتأتّى من ميول الفكر، وطريقة التفكير تُبنَى على الصلاة غير المنقطعة ومن الصراع مع الشياطين. ولكن الصلاة غير المنقطعة والصراع مع الشياطين، سواء في الأفكار أو في الرؤى، **ليست لهما فرصة لأن توجدا بدون السكون والوحدة**".
- سأل أخٌ أبًا كرونيوس: "ماذا أفعل لكي أعالج النسيان (أو الإهمال) الذي يستعبد روحي، إذ أنني قبل أن أدرك أي شيء أنقادُ إلى الخطية؟ " فقال له الشيخ: "عندما استولى الغرباء على تابوت العهد بسبب شرور بني إسرائيل، أخذوه إلى بيت إلههم داجون، وحينئذٍ سقط داجون على الأرض (1 صم 5)". فقال الأخ: "ما معنى هذا؟ " فقال له الأب: "إذا حاول الشياطين أن يأسِروا روح إنسان بوسائلهم الخاصة، يدفعونه هكذا حتى يقتادوه إلى وجعٍ (أي ميلٍ نفسي) مجهولٍ خفي، وهنا إذا عادت روحه تطلب الله وتذكّرت الدينونة الأبدية، فإنّ الوجع يُطرَد في الحال ويختفي. إنه مكتوب: **بالرجوع والسكون تخلصون، بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم (إش30: 15)**".

بسرتان الرهبان

الَّذِي جَعَلْتُ الْبَرِّيَّةَ بَيْتَهُ وَالسِّبَاخَ مَسْكَنَهُ [6].

غالبًا ما يُحبس الحمار الأليف في حجرة في داخل الحقل أو البيت، لا يتحرك فيها، أما الحمار الوحشي فيجد حريته في الحركة حتى يحسب البرية بيته الخاص، ويسكن في منطقة صالحة.

يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن من يمارس حياة الوحدة والسكون تصير الصحراء كلها بيته، يتحرك فيها في أمان وطمأنينه، ويقطن حتى في الأماكن المالحة التي تلهب الإنسان

بالعطش، فيكون دائم الجوع والعطش إلى العشرة مع الرب.

❖ "**الذي جعلت القفر بيته**، والأرض المالحة مسكنه (خيمته)"... الذين يعيشون في عزلة، أي الذين يتحررون من الشهوات الجسدية، يقيمون بسكون القلب، وذلك كما أعطى الرب البرية بيتًا للحمار الوحشي، فلا تضغط عليه جموع الشهوات الجسدية...

الملوحة تناسب التهاب العطش، فإذ يعيش القديسون في مساكن هذه الحياة (التي لسكون القلب)، ويلتهبون بالدفء اليومي لشوقهم نحو المدينة السماوية فيُقال أنهم يجعلون مساكنهم في أرض الملوحة. إنهم يلتهبون عطشًا على الدوام، كما هو مكتوب: "طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ، فإنهم يشبعون".

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ من هذا العدد من الكاملين، أو إن أمكن أن أطلق عليهم شجرة القديسين، التي أينعت، فأخرجت زهورًا وثمارًا **هم** "**النساك**"...

تكلم عنهم الرب مع أيوب بصورة رمزية قائلاً: " **من سرَّح الفراءَ حُرًّا ومن فكَّ رُبُط حمار الوحش، الذي جعلتُ البرية بيتهُ والسباخ مسكنهُ. يضحك على جمهور القرية. لا يسمع زجر السائق. دائرة الجبال مرعاهُ وعلى خضرةٍ يفتّش** " (أي 39:5–8). أيضا يقول سفر المزامير: "ليقل مفديو الرب الذين فداهم من يد العدوّ" ثم يكمل قائلاً: "تاهوا في البرية في قفر بلا طريق. لم يجدوا مدينةَ سكنٍ. جِياع عِطاش أيضًا أعيت أنفسهم فيهم. فصرخوا إلى الرب في ضيقهم فأنقذهم من شدائدهم" (مز 107:2، 4–6). يصفهم إرميا أيضا قائلاً: "جيّد للرجل أن يحمل النير في صباهُ. يجلس وحدهُ ويسكت لأنهُ قد وضعهُ عليهِ" (مرا 3:27، 28). وتخرج كلمات المرتل من القلب: "صرت مثل بومة الخِرَب. سَهدتُ وصرتُ كعصفورٍ منفرد على السطح" (مز 102:6، 7)[3].

الأب بيامون

يَضْحَكُ عَلَى جُمْهُورِ الْقَرْيَةِ.

لاَ يَسْمَعُ زَجْرَ السَّائِقِ [7].

يضحك الحمار الوحشي على جمهور القرية متى حاولوا القبض عليه، وأحاطوا به، إذ سرعان ما يفلت من أيديهم. "**ولا يسمع زجر السائق** "، فإنه ليس مثل الحمار الأليف الذي

---

[3] *Cassian: Conferences, 18:6:3.*

يخشى غضب من يسوقه، إذ يتعرض للضرب. يشعر الحمار الوحشي أنه أسعد حالًا من الحمار الأليف.

إن أخذنا بالتفسير الرمزي **للبابا غريغوريوس (الكبير)** القائل بأن الحمار الوحشي يشير إلى الذين يسلكون طريق السكون والوحدة. فإن هؤلاء لا تقدر الجماهير أن تحبسهم في مفاهيم ضيقة، ولا تقدر شهوة ما أو خطية أن تسوقه حسب هواها.

دَائِرَةُ الْجِبَالِ مَرْعَاهُ وَعَلَى كُلِّ خُضْرَةٍ يُفَتِّشُ [8].

يعيش السالك بروح السكون الحقيقي كما في دائرة الجبال المقدسة، باحثًا عن المرعى السماوي.

❖ جبال المرعى هي أيضًا قوات الملائكة العلوية، إذ تسندنا بخدمتها لنا ومعاونتها... يُمكن أيضًا أن نأخذ جبال المرعى على أنها عبارات الكتاب المقدس العالية، التي يقول عنها المرتل: "الجبال العالية للوعول" (مز 104: 18). فإن الذين يعرفون كيف يمارسون وثبات التأمل يصعدون القمم العالية...

"**وعلى كل خضرة يفتش**"، فإنه بالحق يجفف كل الأشياء التي تتشكل إلى حين وتجف وتفقد عذوبة الحياة الحاضرة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

3. الثور الوحشي

أَيَرْضَى الثَّوْرُ الْوَحْشِيُّ أَنْ يَخْدِمَكَ،
أَمْ يَبِيتُ عِنْدَ مِعْلَفِكَ؟ [9]

"**الثور الوحشي** "، جاء في كتابات **البابا غريغوريوس (الكبير)** وحيد القرن rhinoceros وهو يرى أنه يشير إلى كبرياء هذا العالم أو قوات مملكته الشريرة التي تحطم البشر بروح الكبرياء. فلا يتوقع المؤمن من قوات الشر أن تخدمه، ولا يبيت في معلفه، حيث توجد كلمة الله كغذاء للنفس. الكبرياء يحطم المؤمن ولا يبنيه، ويفسد مفاهيمه لكلمة الله ، فلا تشبع أعماقه بها.

❖ غالبًا ما يفهم من وحيد القرن الكبرياء، كما تعلمنا من شهادة النبي القائل: "قلت للمفتخرين (الأشرار) لا تفتخروا (تصنعوا شرًا)، وللخطاة لا ترفعوا قرنًا" (مز 75: 4). إذن إلى ماذا يشير وحيد القرن إلا إلى قدرة هذا العالم أو قوات الظلمة ذاتها التي لمملكته، الذين

يتشامخون في كبرياء العجرفة الباطلة...

هنا بحقٍ قيل للطوباوي أيوب كممثلٍ للكنيسة المقدسة: "**أيرضى وحيد القرن أن يخدمك؟ أم يبيت عند معلفك؟**" يُفهم بالمعلف هنا الكتاب المقدس نفسه، الذي تقتات به الحيوانات المقدسة وذلك بطعام الكلمة، قيل عنهم بالنبي: "قطيعك سكن فيه" (مز 68: 10). لهذا فإن ربنا أيضًا عندما وُلد وجده الرعاة في مذود، لأن تجسده الذي ينعشنا نتعرف عليه في الكتاب المقدس الذي للأنبياء.

البابا غريغوريوس (الكبير)

إذ ظن أيوب أنه قادر أن يُخضع كل شيء لإرادته، قال له الله: "لتبدأ بوحيد القرن، ارني ذكاءك وقدرتك، هل تقدر أن تجعل من وحيد القرن حيوانًا أليفًا يخدمك عوض الحيوانات التي فقدتها من جمال وحمير؟ ارني قدرتك: هل تقدر أن تجعل هذا الحيوان يقترب إلى معلفك، ويأكل من الطعام الذي كنت تقدمه؟

أَتَرْبِطُ الثَّوْرَ الْوَحْشِيَّ بِحَبْلٍ إِلَى خَطِّ الْمِحْرَاثِ؟

أَمْ يُمَهِّدُ الأَوْدِيَةَ وَرَاءَكَ؟ [10]

كأنه يقول له: إن كنت لا تقدر أن تستخدم وحيد القرن عوض الجِمال والحمير، هل يمكنك أن تستخدمه عوض الثيران، فتربطه في المحراث لحرث الأرض (التلم هو خط المحراث).

أَتَثِقُ بِهِ لأَنَّ قُوَّتَهُ عَظِيمَةٌ،

أَوْ تَتْرُكُ لَهُ تَعَبَكَ؟ [11]

وحيد القرن كحيوان بري أكثر قوة من الحمار، ومن الثور، فهل يمكن للإنسان أن يستبدل حماره أو ثوره بوحيد القرن ليخدمه؟

يليق بالإنسان أن يدرك أنه إن كان قد فقد خدمة الحيوانات المفترسة، إنما بسبب خطيته، فإذ تمرد على الله تمردت هذه الحيوانات عليه. وإن كانت الحيوانات الأليفة تخضع له وتخدمه إنما ذلك من قبل مراحم الله عليه ومحبته.

يرى البعض أن أغلب الحيوانات الخادمة للإنسان والأليفة أضعف بصفة عامة عن الحيوانات المفترسة. وكأن التعامل مع الإنسان يفقد الحيوان قوته وقدرته. في قصة رمزية دُهش نمر عندما رأى قطًا يحمل ذات شكله، لكنه صغير الجسم وضعيف. فسأله عن سرّ ضعفه الشديد. أجابه القط: معاشرته للإنسان أذلته وأضعفته.

أَتَأْتَمِنُهُ أَنَّهُ يَأْتِي بِزَرْعِكَ،

وَيُجْمَعُ إِلَى بَيْدَرِكَ؟ [12]

يمكن للإنسان أن يأتمن الحيوانا ت الأليفة، فيترك صبيًا صغيرًا يقود حماره أو ثوره، ويُلقي على الحمار الأحمال، كما يربط الثور في ذراعي محراث يقوده صبي. لكنه لا يأتمن وحيد قرن للقيام بمثل هذه الأعمال، بأن يأتي به إلى الحصاد ويضعه عليه.

4. النعامة

جَنَاحُ النَّعَامَةِ يُرَفْرِف.

أَفَهُوَ مَنْكِبٌ رَؤُوفٌ أَمْ رِيشٌ؟ [13]

بالنسبة للنعامة فهي طائر كبير الحجم جدًا يدعوها البعض جمَلا بأجنحة. من يراها وهي ترفرف بأجنحتها الكبيرة يظن أنها قادرة على الطيران وبسرعة فائقة، لكنها مع ضخامة جناحيها وجمال ريشها تعجز عن الطيران.

❖ جناحا **النعامة مثل جناحي "مالك الحزين" وجناحي الصقر** ، من يقدر أن يجهل كيف يفوق مالك الحزين heron والصقر بقية الطيور في سرعة طيرانه؟

للنعامة جناحان يشبهان أجنحتهما، لكن ليس لها سرعة طيرانهما. فإنها بالحقيقة لا تقدر أن ترتفع عن الأرض وتمارس طيرانًا حقيقيًا. هكذا كل المرائين الذين يتظاهرون بسلوك الصالحين ولهم ذات المظهر الصالح، ليس لهم سلوك صالح حقيقي. وكأن الله يقول: لك مظهر جناحيك، فتبدو كمن يقدر أن يرتفع، لكن ثقل سلوكك ينحدر بك إلى أسافل العمق.

جسما الصقر ومالك الحزين صغيران، لكن يسندهما أجنحة كثيفة. لهذا يطيران بسرعة لأن ما يثقلهما قليل وما يسندهما للطيران كثير... شخصية الإنسان المختار يُشار إليها حسنًا بمالك الحزين والصقر. مادام المختارون يعيشون في هذه الحياة لن يمكنهم أن يكونوا غير مصابين بخطيةٍ ما، مهما بدت صغيرة. لكن مادامت قليلة فيهم هذه التي تثقل إلى أسفل يكون لهم فيض من فضيلة العمل الصالح الذي يرفعهم إلى الأعالي.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لأَنَّهَا تَتْرُكُ بَيْضَهَا،

وَتُحْمِيهِ فِي التُّرَابِ [14].

وَتَنْسَى أَنَّ الرِّجْلَ تَضْغُطُهُ

مع ما للنعامة من ريش جميل فتتبختر كالطاؤوس في كبرياء، لكنها تسلك في غباوة بدون حكمة. إذ لا يقترن جمالها ولا ضخامة حجمها بالحكمة. فهي لا تبالي بصغارها، إذ تعرض بيضها للخطر. إنها لا تتوارى في مكان منعزل لتصنع لنفسها عشًا كالعصفور والسنونة (مز 84: 3)، ولا ترقد على البيض حتى يفقس. تترك بيضها على الأرض في أي مكان، يمكن أن يفقس بفعل دفء الشمس والرمل، ولا تهتم أن تقوم هي بتدفئته.

إنها صورة مؤلمة لبعض المؤمنين الذين لا يبالون بخلاص أولادهم سواء حسب الجسد أو الذين ولدوهم في الإنجيل، بل يتركونهم كما في تراب هذا العالم، لكن نعمة الله كثيرًا ما تطلبهم وتسندهم بدفء شمس البرّ، حتى يتمتعوا بالحياة المقامة.

❖ ترك البيض في الأرض هو عدم الاهتمام بتربية الأبناء الذين ولدوهم بالاهتداء، برفعهم عن العمل الأرضي بتقديم النصائح. ترك البيض في الأرض هو عدم مساندتهم بتقديم مثال للحياة السماوية للأبناء.

ماذا يقصد بالتراب سوى الخاطي؟... ماذا يشير إليه التراب إلا عدم ثبات الأشرار؟ لهذا فإن الرب يدفئ البيض الذي يُترك في التراب، إذ يُشعل نار حبه للنفوس الصغيرة المحرومة من الرعاية الجادة للكارزين، حتى حينما تقطن بين الخطاة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

أَوْ حَيَوَانَ الْبَرِّ يَدُوسُهُ! [15]

في غباوة تترك النعامة بيضها في التراب، دون اعتبار أن تطأه رجل إنسان أو يحطمه حيوان. وإن كان الله في حبه يبعث حرارة الشمس لتدفئته حتى يفقس.

يرى **البابا غريغوريوس** بتفسيره الرمزي أن بعض المبشرين بعد أن يقدموا لله أبناء خلال كرازتهم، يتركون الذين قبلوا الإيمان كما في التراب، وسط الأشرار، ولا يبالون بما يتعرضون له من وطأة الأقدام عليهم حيث يحاول الأشرار تثبيط هممهم، كما يتعرضون لوحشٍ مفترسٍ يحطمهم، أي لتجارب إبليس الشرير.

تَقْسُو عَلَى أَوْلاَدِهَا كَأَنَّهَا لَيْسَتْ لَهَا.

بَاطِلٌ تَعَبُهَا بِلاَ أَسَفٍ [16].

لا نعجب إن كانت النعامة تقسو على صغارها كأنها ليست لها، فيصير كل تعبها بلا ثمر، على خلاف غالبية الطيور والحيوانات التي تعرض نفسها للخطر حتى الموت من أجل

صغارها. لكن ما نعجب له أن الإنسان العاقل يتجاهل أبناءه حسب الجسد أو الروح، وكأنهم ليسوا له، وتصير حياته كلها بلا طعم.

❖ ذاك الذي لا يتمتع بنعمة الحب يتطلع إلى قريبه كأنه غريب، حتى وإن كان قد ولده لله.

يا لأحشاء الحنو التي حملها بولس عندما كان يركض من أجل أبنائه بدفء الحب العظيم هكذا: "(الله) شاهد لي كيف بلا انقطاع أذكركم، متضرعًا دائمًا في صلواتي عسى الآن أن يتيسر لي مرة بمشيئة الله أن آتي إليكم، لأني مشتاق أن أراكم" (رو 1: 9-11)... فإنه لم يكن مثل النعامة، ينسى أولاده، إنما كان يخاف جدًا على تلاميذه إذ يعانون من اضطهادات أثناء كرازتهم يستخفون بالإيمان... لقد حسب جراحات جسده فيه كلا شيء خشية إصابة قلوب أبنائه بجراحات.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لأَنَّ اللهَ قَدْ أَنْسَاهَا الْحِكْمَةَ،

وَلَمْ يَقْسِمْ لَهَا فَهْمًا [17].

لقد سمح الله ألا تتمتع النعامة الضخمة الجميلة بالحكمة، بينما تتمتع بها النملة الصغيرة التي نستخف بها. لقد أراد لنا أن نتعلم من كليهما أن نطلب الحكمة ونعتز بها ونمارسها.

إذ تمثل النعامة الشخص المرائي الذي له المظهر الجميل الصالح دون القلب المقدس لم تتأهل لنوال الحكمة.

فالله في حبه يود أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون، مقدمًا الحكمة لكل من يطلبها بإخلاص واشتياق. فإن لم نبالِ بها تُنزع عنا حتى الحكمة الطبيعية.

عِنْدَمَا تُحْوِذُ نَفْسَهَا إِلَى الْعَلاَءِ،

تَضْحَكُ عَلَى الْفَرَسِ وَعَلَى رَاكِبِهِ [18].

بالرغم من استخفاف النعامة بصغارها، لكن إذ يحدق بها خطر ما ترفع جناحيها وتنطلق بسرعة فائقة، حتى تسخر بالفرس وراكبه.

❖ ليكن الله هو رجا ؤكم، قدرتكم على الاحتمال، قوتكم. ليكن كفارتكم، تسبيحكم، غايتكم وموضع راحتكم، وعونكم في جهادكم...

الجبار هو الإنسان المتغطرس الذي يرفع نفسه (متشامخًا) على الله، كما لو كان شيئًا

في ذاته وما يخصه. مثل هذا الإنسان لا ينجو بقوته الذاتية.

الآن، لديه فرس رشيق وقوي، سليم وسريع الخطى، إذا ما حدث هجوم أما يستطيع أن ينجي راكبه من الخطر الم لحق به؟ ليسمع: "خلاص الفرس كاذب"... يلزم ألا يعدك الفرس بالنجاة...

يمكننا أن نأخذ الفرس رمزًا لأية ممتلكات في هذا العالم، أو لأي نوع من الكرامة رتكل عليها في كبرياء، حاسبين خطأً أنكم كلما ارتفعتم يزداد أمانكم وعلوكم. ألا تدركون بأي عنف سوف تُلقَون، كلما ارتقيتم إلى أعلى يكون سقوطكم بأكثر ثقلٍ... فكيف إذن يتحقق الأمان؟ إنه لا يتحقق بالقوة ولا بالسلطة ولا بالكرامة ولا بالمجد ولا بالفرس.

القديس أغسطينوس

5. الفرس

هَلْ أَنْتَ تُعْطِي الْفَرَسَ قُوَّتَهُ،
وَتَكْسُو عُنُقَهُ عُرْفًا؟ [19]

بعد أن تحدث عن الحيوانات المفترسة وطيور البرية قدم له مثَلا بحيوان أليف خادم للإنسان وهو الفرس.

يسأله إن كانت الخيول تُستخدم لحماية الإنسان في المعارك، فمن الذي أعطاها القوة. إنها ليست عطية من الإنسان، لكنها من قبل الله. مع هذا فمن يعتمد على الخيل دون التطلع إلى الله واهب القوة يفقد النصرة. يقول المرتل: "باطل هو الفرس لأجل الخلاص، وبشدة قوته لا ينجي" (مز 33: 17) ، كما قيل: "لا يُسر بقوة الخيل" (مز 147: 10؛ راجع هو 14: 3؛ مز 20: 7 ؛ إش 31: 1، 3).

تستخدم الخيول في الكتاب المقدس لتحمل معانٍ كثيرة، منها:

1. **الاتكال على الكرامة الزمنية** : "قد رأيت عبيدًا على الخيل، ورؤساء ماشين على الأرض كالعبيد" (جا 10: 7). فالعبيد هنا يشيرون إلى الأشرار المستعبدين للخطية، لكنهم يتشامخون بالمراكز الزمنية والكرامة الباطلة.

ب. **تحمل معنى صالحًا** ، كما قيل: "الفرس مُعد ليوم الحرب؛ أما النصرة فمن الرب" (أم 21: 31). الفرس هنا يشير إلى إمكانيات المؤمن وطاقاته التي تواجه مقاومة إبليس وتغلب خلال عمل الله بها.

ج. **تشير الخيول أيضًا إلى الكارزين :** "سلكت البحر بخيلك، كوم المياه الكثيرة" (حب 3: 15).

يرى البابا غريغوريوس (الكبير) إن الفرس في هذا الموضع (أي 39: 19) تعني الكارزين الصالحين الذين يكسبون النفوس بعمل الله بهم وفيهم.

مع ما للفرس من قوة كان الإنسان يعتمد عليها في الدفاع عن نفسه وعن بلده وممتلكاته، لكن يمكن لصبي صغير أن يقودها دون تمرد من جانبه.

أَتُوثِبُهُ كَجَرَادَةٍ؟ نَفْخُ مِنْخَرِهِ مُرْعِبٌ [20].

يسأل الله أيوب إن كان يقدر أن يخفيه كجرادة صغيرة، فإن نفخات أنفه في المعارك مرعبة! يهجم على العدو ولا يخشى الخطر على حياته.

يَبْحَثُ فِي الْوَادِي وَيَقْفِزُ بِبَأْسٍ.

يَخْرُجُ لِلِقَاءِ الأَسْلِحَةِ [21].

سبق أن تحدث عن وحيد القرن الذي بقوته يسخر بالإنسان، ولا يقوم بخدمته، أما هنا فيقدم الفرس الذي مع قوته العظيمة يخضع للإنسان، ويعمل لخدمته على حساب حياته نفسها. يخرج للقاء الأسلحة بلا خوف من الموت!

جاء النص في الترجمة السبعينية: "**يضرب بحافره في أرض السهل مبتهجًا**". إنه كمن يطلب السماويات فيضرب الأرض بحافره بكل قوة وجسارة، غير خاضع لشهوات جسده. بحق يقول سليمان الحكيم: "هيئ عملك في الخارج، وأعده في حقلك، بعد تبني بيتك" (أم 24: 27).

يَضْحَكُ عَلَى الْخَوْفِ وَلاَ يَرْتَاعُ

وَلاَ يَرْجِعُ عَنِ السَّيْفِ [22].

عَلَيْهِ تَصِلُّ السِّهَامُ وَسِنَانُ الرُّمْحِ وَالْحَرْبَةِ [23].

من أجل الإخلاص لصاحبه يضحك الفرس على الموت، ولا يرتاع من هجمات الأعداء، سواء بالسيف أو الرمح، ولا يتراجع بل يستمر في تقدمه إلى الأمام وسط المعركة، يبعث في راكبه روح الشجاعة!

حقًا يقف الإنسان في خزي حينما لا يستهين بالموت من أجل إخلاصه وحبه لخالقه!

يقدم لنا الرسول بولس نفسه مثلًا رائعًا للحب حتى الموت، إذ يقول: "من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف؟ كما هو مكتوب من أجلك نُمات كل النهار، قد حُسبنا مثل غنمٍ للذبح" (رو 8: 35–36).

فِي وَثْبِهِ وَغَضَبِهِ يَلْتَهِمُ الأَرْضَ،
وَلاَ يُؤْمِنُ أَنَّهُ صَوْتُ الْبُوقِ [24].

إن كان الفرس في المعركة مملوء حمية وحماسًا ورباطة جأش، يلتهم الأرض، أفلا يليق بالمؤمن في معركته الروحية أن يتسم بالشجاعة واليقين في عمل الله معه.

"**ولا يؤمن أنه صوت البوق**" ماذا يعني هذا؟ عندما كرز الرسل بالإنجيل ضرب رئيس الكهنة بالبوق، لا للعمل لحساب الرب، وإنما لإبطال عمل الكرازة بالملكوت. "ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع" (أع 5: 40). أما الرسل فأدركوا أن هذا ليس بصوت البوق الحق، لذا قالوا: "لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا" (أع 4: 20).

عِنْدَ نَفْخِ الْبُوقِ يَقُولُ: هَهْ!
وَمِنْ بَعِيدٍ يَسْتَرْوِحُ الْقِتَالَ صِيَاحَ الْقُوَّادِ وَالْهُتَافَ [25].

❖ حينما يحصل (المؤمن) على سلاح الرب، فإنه بمجرد أن يسمع بوجود الحروب ويشعر بها يتقدم "بصياحٍ وهتافٍ" كما يقول في أيوب (أي 39:25) لأن نفس صوت صلاته يوقع الأعداء ساقطين على الأرض[4].

القديس مقاريوس الكبير

6. العقاب والنسر

أَمِنْ فَهْمِكَ يَسْتَقِلُّ الْعُقَابُ،
وَيَنْشُرُ جَنَاحَيْهِ نَحْوَ الْجَنُوبِ؟ [26]

يتسم العقاب بسرعة طيرانه وقوته، وهو من الطيور الجارحة، ينشر جناحيه ويطير نحو الجنوب، هربًا من المناطق الباردة في الشمال، خاصة عندما ينزع ريشه ويستبدله بريش جديد. من الذي وهبه هذه الحكمة سوى الله؟[5]

❖ ما هو إذن الصقر الذي يتمتع بريشه (الجديد) في الجنوب إلا كل قديسٍ يلتهب عندما يتلامس مع نسمة الروح القدس، فيطرح عادة الحوار القديم، ويأخذ شكل الإنسان الجديد؟ ينصح بولس قائلاً: "خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد" (كو 3: 9-10). وأيضًا: "وإن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدد يومًا فيومًا" (2 كو 4: 16).

---

[4] *Sermon 2: 23.*
[5] *Matthew Henry's commentary.*

أن ننشر أجنحتنا نحو الجنوب يعني أن نفتح قلوبنا في الاعتراف، بحلول الروح القدس، فلا نجد بعد مسرتنا في إخفاء أنفسنا بالدفاع عنها، بل نفضحها باتهامنا لها.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ من يقدر أن يميز طبيعة طيور السماء؟! كيف يتمتع بعضها بأصوات ملحنة، وآخر مرقش بكل الألوان في أجنحتها، والبعض يهيم في الهواء كأنه بلا حراك مثل النسر. فإنه بأمر إلهي "**ينشر (العقاب [Ó]) جناحيه نحو الجنوب**". من يقدر ان يرى الارتفاع الشامخ للصقر؟!... فكيف تريد ان تفهم خالق الكل؟![Õ]

القديس كيرلس الأورشليمي

أَوْ بِأَمْرِكَ يُحَلِّقُ النَّسْرُ وَيُعَلِّي وَكْرَهُ؟ [27]

يقدم لنا النسر – ملك الطيور – مثالًا للإمكانيات الجبارة التي يقدمها الله حتى لهذا الطائر، كرمز لإمكانيات الإنسان الذي يستطيع أن يستخدمها للبنيان لحساب ملكوت الله في داخله وفي قلوب الآخرين، أو للهدم والعنف والافتراس.

يبرز هنا سمات النسر، وهي:

1. **تحليقه عاليًا جدًا** أثناء طيرانه بقوة أجنحته. من أين جاء بهذه الإمكانية، هل هي عطية من الإنسان للنسر؟ لكنها غريزة طبيعية وهبه الله إياها.

الذي خلق النسر بين الطيور لأجل الإنسان ووهبه إمكانية التحليق في العلاء، ألا يهب الإنسان أن يرتفع بروح الله القدوس لينعم بالإنطلاق نحو السماويات؟

يستخدم النسر الطيران عاليًا لكي يختفي عن الأنظار، وبقوة بصره وسرعة حركته ينقض فجأة على الفريسة. هكذا الإنسان الشرير يستخدم الإمكانيات المقدمة له لأذية الآخرين عوض معاونتهم ومساندتهم.

2. **يجعل وكره في الصخور العالية** على سن الصخر، حتى لا يصل أحد إلى صغاره.

يَسْكُنُ الصَّخْرَ وَيَبِيتُ عَلَى سِنِّ الصَّخْرِ وَالْمَعْقَلِ [28].

يليق بالمؤمن أن يجعل عشه في المسيح يسوع، الصخرة الحقيقية، فلا يقترب إليه الشر.

[Ó] hawk أي الصقر.

[7] *Catechetical Lectures, 9:12.*

أما الذي في تشامخ وكبرياء يتعالى ويظن أنه أقام لنفسه صخرة لا يقترب منها أحد، فيسلك في الشر آمنًا، يسمع الصوت: "إن رفعت كنسرٍ عشك، فمن هناك أُحدِرك يقول الرب" (إر 49: 16)

3. **حدة بصره**، فالمؤمن تنفتح بصيرته الداخلية ليرى عربون السماء ويتمتع بها. أما الشرير فيستخدم حدة بصره للتطلع إلى أسفل، وقلبه مملوء بالعنف والافتراس.

مِنْ هُنَاكَ يَتَحَسَّسُ قُوتَهُ.

تُبْصِرُهُ عَيْنَاهُ مِنْ بَعِيدٍ [29].

4. **تمتص فراخه الدم منذ صباها وتعيش مع النسر الكبير على الفريسة.**

فِرَاخُهُ تَحْسُو الدَّمَ،

وَحَيْثُمَا تَكُنِ الْقَتْلَى فَهُنَاكَ هُوَ [30].

يتعطش الكل إلى سفك الدم كطعامٍ يومي لهم. أما المؤمنون فيجتمعون كالنسور المقدسة حول السيد المسيح الذبيح لأجل إقامتهم أبديًا. يصير المسيح طعامهم الروحي: "حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النسور" (مت 24: 28).

❖ في الكتاب المقدس كلمة نسر تشير أحيانًا إلى أرواح حقودة، مفسدة للنفوس؛ وتشير أحيانا إلى قوات العالم الحاضر. لكنها أحيانًا تشير إلى مفاهيم القديسين الحاذقة، أو إلى الرب المتجسد، تطير بسرعة فوق السفليات وتطلب العلويات.

يشهد إرميا للأرواح الراقدة في ترقبٍ: "طاردونا أخف من نسور السماء" (مراثي 4: 19)... يرمز أيضًا إلى القوة الأرضية، كما قيل بالنبي حزقيال: "نسر عظيم كبير الجناحين، طويل القوادم، واسع المناكب ذو تهاويل، جاء إلى لبنان وأخذ فرع الأرز، قصف رأس خراعيبه" (حز 17: 3-4). فإنه بهذا النسر الذي بالحقيقة إلى من يشير إلا نبوخذنصر ملك بابل؟...

بكلمة "نسر" يُشار إلى فهم القديسين الحاذق، أو طيران صعود المسيح. لهذا فإن النبي عينه (حزقيال) عند وصفه الأربعة الإنجيليين الذين رآهم، تحت مظهر خلائق حية أعلن أنها ظهرت له في شكل وجه إنسان وأسد وثور ونسر، بالتأكيد أشار بالنسر المخلوق الرابع الحي، يوحنا، الذي في طيرانه ترك الأرض، وخلال الفهم الحاذق اخترق أسرارًا داخلية برؤيته للكلمة...

لنتطلع إلى مبنى النسر نفسه، عش الرجاء في العلويات. يقول بولس: "سيرتنا نحن

هي في السماوات" (في 3: 20). وأيضًا: "وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات" (أف 2: 6)... فكما أن من يصعد جبلًا يتطلع إلى أسفل، فيرى الأمور السفلية صغيرة، هكذا كلما تقدم الإنسان إلى درجات عليا، مجاهدًا أن يثبت اهتمامه في العلويات، يجد بذات الجهد أن مجد الحياة الحاضرة كلا شيء، ويرتفع فوق أماكن الأرض.

البابا غريغوريوس (الكبير)

من وحي أيوب 39

خليقتك تدعوني للقاء معك!

❖ من أجلي خلقت الأرض وكل ما عليها.
هوذا حتى الحيوانات والطيور تدعوني لألتقي بك!
هب لي مع **وعول الصخور**، أجري إليك،
وأختفي فيك يا صخر الدهور.

❖ هب لي مع **الأيائل** أعطش إليك.
فأضرب بك رأس الحية.
ولا يتسلط إبليس عليَّ.
بك أسحقه، إذ أسقطته من السماء كالبرق،
وإن بدا منيرًا، لكن إلى لحظة وينكشف خداعه.

❖ هب لي أن أكون إيلة ولود.
أنجب بالإنجيل لك أبناء!
إنه عملك يا راعي الكل!

❖ لأتعلم حتى من **الحمار الوحشي** حرية البرية.
لماذا أحبس نفسي في مربض الحيوانات.
لأنطلق إلى برية الروح،
ولتَطِر نفسي بالفرح والتهليل إليك.

❖ أرى **وحيد القرن**، فترتعب نفسي من السقوط في الكبرياء.
لماذا أتشامخ بما وهبتني من قوة وقدرات ومواهب؟

لماذا لا ألتزم بروح التواضع أن أقترب من المذود.
أنت طعام نفسي.
أنت شبعي وسروري!

❖ أرى **النعامة** الجميلة الضخمة،
فأخشى أن أنشغل بالمظاهر الخارجية دون حكمة الروح.
أخشى أن أسلك في غباوة، فأترك الصغار في التراب.
لا أقدم للضعفاء دفء الحب وقوة الروح!

❖ احسبني **كفرس مقدس**، أحملك في قلبي يا أيها الفارس الفريد.
لا أخشى المعارك الروحية، ولا أضع لموت الجسد حسابًا.
لا أرتبك من رماح العدو،
ولا أخشى سيف إبليس!
بك أغلب وأكلل!

❖ لأجدد مع **الصقر** على الدوام ريشي.
أخلع على الدوام الإنسان القديم وكل أعماله،
وألبس دومًا الإنسان الجديد.
ليتجدد كل يوم بعمل روحك القدوس.
لأتغنى بك قائلاً:
هوذا الكل قد صار جديدًا!

❖ لأطير مع **النسر** في السماويات.
لتنطلق أعماقي إلى عربون الأبدية.
لتتطلع عينا قلبي إلى الأكاليل المعدة.
لأرتمي في أحضانك وأحيا بك ومعك!

اَلأَصْحَاحُ الأَرْبَعُونَ

هزيمة إبليس "بهيموث" المتشامخ

لا نجد أحيانًا تفسيرًا لخلقة بعض المخلوقات، لكن تبقى حكمة الله عاملة فوق إدراكنا [٣٩: ١٦-١٨]، لهذا يليق بأيوب ألا ينسب خطأ ما إلى طرق الله [١-٢].

كاد أن يقف أيوب صامتًا، وإن أجاب ففي اختصار شديد. لقد أراد أن يكون صامتًا إلى حين [٣-٥]، لكنه لم ينل إجابات مباشرة على أسئلته. استمر الله في الحديث، سائلاً أيوب إن كان يريد أن ينال السلطان الإلهي ليقوم بتدبير أفضل للحياة، الفكر الذي أهلك الأشرار [٩-١٤].

ليس من الصعب على الله أن يسحق الأشرار، كما يظهر من تقديم عينة لحيوانٍ مفترسٍ يتسم بالقوة: بهيموث [١٥-٢٤].

1. الإجابة الأولى لأيوب 1-5.

2. الحديث الثاني لله 6-24.

1. الإجابة الأولى لأيوب

أعطى الله الفرصة لأيوب لكي يجاوب على تساؤلاته، لكن أيوب لم يكن ممكنًا أن يجيب على أي سؤال. لقد عرف قدر وزنه. ففي أيام عظمته وغناه "العظماء أمسكوا عن الكلام، ووضعوا أياديهم على أفواههم. صوت الشرفاء اختفى، ولصقت ألسنتهم بأحناكهم" (29:9-10). الآن أدرك أيوب حقيقة وزنه. قال: "ها أنا حقير، فماذا أجاوبك؟ وضعت يدي على فمي" (4:40). جاءت كلمة حقير هنا بالعبرية لتُترجم تافهًا أو خفيف الوزن (بلا وزنٍ lightweight). لم يكن ما يشغله خطاياه، فلم يقل: "أخطأت"، إنما كان كمن قد أختطف في السّر الإلهي، فأدرك حقيقة نفسه أمام خالقه ومدبِّر حياته.

وَقَالَ الرَّبُّ لأَيُّوبَ: [1]

هَلْ يُخَاصِمُ الْقَدِيرَ مُوَبِّخُهُ،
أَمِ الْمُحَاجُّ اللهَ يُجَاوِبُهُ؟ [2]

يسأل الله أيوب: هل للمخلوق أن يملي إرادته على خالقه؟ أو يعترض على حكمته ومشيئته؟ يليق بالشخص أن يجاوب سريعًا مستنكرًا أن يخاصم القدير أو يقف أمام حكمة الخالق.

كأن الله يقول له: إنك إلى الآن لم تدرك حكمتي من جهة سماحي بالتجربة أن تحل عليك. إنك تتطلع إلى سموَّك وبرَّك ولم تضع في اعتبارك حكمتي ورعايتي لك. أما تعلمت من حيوانات البرية والطيور الجارحة أن تلتصق بي؟

فَأَجَابَ أَيُّوبُ الرَّبَّ: [3]

لقد اقتنع أيوب، فرؤيته لله قد تجاوزت كل الحدود وأصبح لديه تقدير جدير لعالم الله بما فيه من آفاق جديدة وتوافق وانسجام.

يعترف أيوب الآن بأن الله يستطيع أن يفعل كل شيء وإن مقاصده تتم وقد أذاب قلب أيوب، فرأى نفسه مدعوًا إلى أن ينحني تحت يد الله القديرة. والآن يخضع بتواضع لحكمة الله، وبدخوله إلى الشركة معه ينتقل إلى دائرة النور والرجاء. تكلم الرب وجاءت قدرته، فأدخلت عجز الإنسان في الحكمة الحقيقية. حين كشف الله عن نفسه لأيوب، جعل أيوب يكشف نفسه. تخلى أيوب عن حكمته البشرية فترك صورة الإله المحارب ورجع إلى صورة الإله الصديق الذي جاء إليه وسط العاصفة. وصمت الله من جديد بعد أن رآه أيوب.

هَا أَنَا حَقِيرٌ فَمَاذَا أُجَاوِبُكَ؟

وَضَعْتُ يَدِي عَلَى فَمِي [4].

لقد فاق أيوب كل أهل زمانه في الفضيلة، واستطاع في الحوار أن يغلب أصدقاءه، لكن إذ تحدث الله معه اعترف بحقارته وضعفه، واضطر أن يضع يده على فمه ليصمت في سكون رهيب.

يقدم لنا أيوب درسًا في الحوار مع الله، فإننا حتى وإن كنا في عينيه أبرارًا نصمت حتى لا نبرر أنفسنا بالكلام، بل نترك حياتنا أو سلوكنا العملي بنعمته أن يتكلم معه. الحديث معه بلغة العمل أفضل منه باللسان.

❖ تعلم القديسون أن يضبطوا فلتات اللسان أمام عيني الله، بتقديم حياة صالحة. إنهم يتعلمون الامتناع عن الكلمات المبالغ فيها وذلك بثقل أعمالهم الصالحة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ أيوب نفسه لم يصمت بخصوص خطاياه.. إذ هو عابد حقيقي لله، فبلا شك قدم اعترافه في الحق [1].

القديس أغسطينوس

❖ لنتأمل ما هو الإنسان: يقول الوثنيون إنه حيوان عاقل، مائت، قادر على التعقل والمعرفة. دعونا لا نأخذ تعريفنا له منهم بل من أين؟ من الكتب المقدسة... اسمع كلماتها: "كان هذا الرجل كاملاً ومستقيمًا يتقي الله ويحيد عن الشرّ (أي 2:1). هذا بحق هو الإنسان! مرة أخرى يقول آخر: "الإنسان عظيم، الإنسان الرحوم ثمين" (ام 6:20 *LXX*). الذين لا يتجاوبون مع هذا الوصف، فإنهم لن يقدروا على نوال المعرفة، ويرفض الكتاب المقدس أن يتعرف عليهم كبشرٍ، بل يدعوهم كلابًا، وخيلاً، وحيات وثعالب وذئاب، أو أي حيوان خسيس. إن كان هكذا هو الإنسان، فإن من يحيا في الملذات ليس بإنسانٍ، لأنه كيف يمكنه أن يكون هكذا ذاك الذي لا يفكر في شيءٍ يليق به؟ الترف والوقار لا يمكن أن يقترنا معًا، الواحد يدمر الآخر. حتى الوثنيون يقولون: "البطن التخمة لا تحمل ذهنًا بارعًا" [2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

مَرَّةً تَكَلَّمْتُ فَلاَ أُجِيبُ،
وَمَرَّتَيْنِ فَلاَ أَزِيدُ [5].

في توبة صادقة يقول أيوب إنه تكلم مرة بخصوص ما حلَّ عليه من تجارب دون القدرة على تفسير الحكمة منها.

لقد عاتبت الله، وأردت أن أدخل كما في محاكمة، فأعرض قضيتي عليه. وربما كررت ذلك عوض المرة مرتين، لكنني الآن "**لا أزيد**"، لا أعود أكرر ما سبق قلته.

أيوب الذي كان يلح في طلب اللقاء مع الله ليحاوره، الآن إذ رأى الرب حلَّ به صمت رهيب.

❖ إن فحصنا كلمات الطوباوي أيوب السابقة نجد أنه لم ينطق بشرٍ قط... لكنه إذ قيَّم نفسه بميزان الله الكلي الدقة اعترف أنه أخطأ في حديثه للمرة الثانية...

البابا غريغوريوس (الكبير)

---

[1] *On Nature and Grace, 73.*
[2] *Homilies on Timothy, homily13.*

❖ إن اعترفت أنك خاطي، يكون الحق فيك، فإن الحق نفسه هو نور. حياتك لا تشرق ببهاءٍ كاملٍ، لأنه توجد خطايا فيك، لكنك إذ تبدأ تستنير يصير لك الاعتراف بالخطايا... قبل كل شيء إذن الاعتراف ثم الحب. لأنه ماذا يُقال عن الحب؟ "المحبة تستر كثرة من الخطايا" (1 بط 4: 8)... الكبرياء يطفئ الحب، والتواضع يقويه، الحب يطفئ الخطايا، والتواضع يسير في صحبة الاعتراف.

أخبر البشر من أنت، أخبر الله من أنت. فإن لم تخبر الله من أنت، فسيدينك على ما يجده فيك... أتريده يغفر لك؟ اعرف أن تقول لله: "احجب وجهك عن خطاياي". قل له أيضًا كلمات المرتل نفسه: "أنا عارف بآثامي" (مز 51: 3، 9) [1].

القديس أغسطينوس

2. الحديث الثاني لله

في حديثه الثاني مع أيوب أوضح له أنه ليس من وجه للمقارنة بين المخلوق وخالقه، فليس من حق المخلوق أن يستجوب خالقه.

فَقَالَ الرَّبُّ لأَيُّوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ: [6]

الآنَ شُدَّ حَقْوَيْكَ كَرَجُلٍ.
أَسْأَلُكَ فَتُعْلِمُنِي [7].

جاءت الترجمة السبعينية للآية 8: "**ألا تظن إني تعاملت معك لهدف آخر سوى إعلان برّك؟**" كأن الله يكشف لأيوب بكل قوة عنايته الفائقة وحبه له، فإن كان قد سمح له بتجاربٍ هذه مقدارها فإنما غايتها أن يتبرر أيوب ويتمتع بالنصرة على إبليس.

حينما يدافع أيوب عن نفسه ضد الضربات التي سمح له بها الله يتهم العدالة الإلهية، لكن إن قبل التجربة بشكرٍ يبرره الله ويمجده، وتُحسب لا لتأديبه بل لتزكيته.

❖ من يصارع مدافعًا عن نفسه ضد ضربات الله يسعى أن يتجاهل أحكام الله التي أوقع الضربات. وعندما يقول إنه لم يُضرب من أجل أخطائه ماذا يفعل سوى اتهام الضارب؟ ضربات السماء لم تصب الطوباوي أيوب لتنزع أخطاءه، بل بالحري لتضيف إلى استحقاقاته، حتى أن ذاك الذي في وقت الهدوء أشرق بقداسة عظيمة هكذا يعلن فضيلة الصبر المخفية داخله... لكنه ظن أنه ضُرب ظلمًا عندما لم يجد في نفسه ما يتطلب

[1] *Homily, on 1 John.*

إصلاحه. فلئلا في براءته ينتفخ بالكبرياء انتهره الصوت الإلهي بينما كان ذهنه متحررًا من الشر، ولكنه كان مثقلاً بالضربات، فاستُدعي إلى أسرار الأحكام الإلهية... فالقديس لم يكن على خلاف مع الله في أية خطية، بل على اتفاق معه ولكن في شيء من الصعوبة بسبب الضربات.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لَعَلَّكَ تُنَاقِضُ حُكْمِي.
تَسْتَذْنِبُنِي لِتَتَبَرَّرَ أَنْتَ! [8]

❖ في نهاية الصراعات أعلن (الله) نصرة المصارع في إعلانٍ سامٍ، وكشف سّر أحزانه، قائلاً: "ألا تظن إني تعاملت معك لهدف آخر سوى إعلان بّرك؟ هذا هو بلسم جراحاته، هذا هو إكليل الصراع، هذه هي مكافأة صبره[1].

القديس غريغوريوس النزينزي

❖ يحتمل الصديقون التجربة هنا، لأنهم نزلاء وغرباء، وفي مدينة أجنبية. يحتمل الأبرار تلك الأشياء من أجل الامتحان. ماذا قال الله لأيوب: "أما تعتقد إنني أنذرك إلا لكي تظهر بارًا"؟ (أي 3:40 *LXX*) أما الخطاة فإنهم إذ يعانون من أية محنة، إنما يعانون من العقوبة عن خطاياهم. لذلك ففي كل الظروف سواء كانت مرة أو غير مرة فلنقدم الشكر لله. فكلا الحالين هما مفيدان. فإن الله لا يفعل شيئًا عن كراهية أو عداوة من نحونا، إنما ما يفعله هو من قبيل رعايته واهتمامه بنا .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لو لم يحارب أيوب في المعركة وينال النصرة لما نال إكليل البرّ، ولما سمع قول الرب: أما تظن أني أتحدث معك لأطلب شيئا سوى أن تظهر أنك بار؟ (أي 40: 8 *LXX*)[2]

القديس جيروم

❖ أظن أن الريح يعني التجارب. فالتجارب تُظهر أن في كومة المؤمنين يوجد البعض كقش والآخرون حنطة. عندما تُغلب نفسك من تجربة ما، لا تحولك التجربة إلي قش. بالحري

---

[1] *On the Great Athanasius, 18.*
[2] *Homilies on Timothy, homily 8.*
[3] *Letter 108: 18.*

لأنك أنت قش، خفيف الوزن، وغير مؤمن، لذا تكشف التجربة عما أنت فيه وكنت مختفيًا. وعلى النقيض، عندما تحتمل التجارب بشجاعة، فالتجارب لا تجعل منك مؤمنًا وصبورًا، بل بالحري تكشف فضيلتي الصبر والشجاعة اللتين كانتا مختفيتين فيك. يقول الرب: "هل تظن إنني أنذرك لسبب آخر سوى أن تظهر بارًا" (أي 40: 8 *LXX*)[1].

العلامة أوريجينوس

هَلْ لَكَ ذِرَاعٌ كَمَا لله،
وَبِصَوْتٍ مِثْلِ صَوْتِهِ تُرْعِدُ؟ [9]

يعاتب الله أيوب، بأنه ليس من وجه للمقارنة بين ذراع الرب وصوته، وذراع أيوب وصوته. فإن الله قدير في عمله وقدير في كلماته.

❖ عند الحديث عن صوت الله وذراعه لنحذر جدًا لئلا يتخيل ذهننا شيئًا ماديًا فيه. فإن من يحده في إطار الجسم ذاك الذي هو غير مادي يملأ الكل ويحتضن الكل، فإنه يسقط في بدعة الانثروبومرفيت (تشبيه اللاهوت بالإنسان). لكن الله القدير إذ يقرِّبنا إليه، يتواضع ليعلمنا الأمور العالية ويتنازل إلى الأمور السفلية... لهذا ففي كتابه المقدس يستخدم أحيانًا تشبيهات تارة من أجسام البشر، وأحيانًا من أذهاننا، بل وأحيانًا من الطيور...

البابا غريغوريوس (الكبير)

تَزَيَّنِ الآنَ بِالْجَلاَلِ وَالْعِزِّ
وَالْبِسِ الْمَجْدَ وَالْبَهَاءَ [10].

قد يتزين الإنسان بلباس المجد والبهاء، فيرهب غيره من البشر، ويجتذب العظماء كأصدقاء له، لكن هذا لا يساوي شيئًا أمام مجد الله وجلاله.

❖ يحيط الله نفسه بالجمال، الذي كُتب عنه: "الرب قد ملك، لبس الجلال" (مز 93 :1). إنه يرتفع عاليًا فينا، عندما نتأكد أن طبيعته لا تُفحص بأذهاننا. إنه مجيد، هذا الذي يحوي فرحًا وليس في حاجة إلى مديحٍ. إنه ملتحف بثياب جميلة، إذ يخصص طغمات الملائكة القديسين لخدمة جماله. لقد خلقهم وأقام كنيسته كثوبٍ مجيدٍ، ليس فيه دنس أو غضن. لذلك قيل له بالنبي: "جلالاً لبست. اللابس النور كثوبٍ" (مز 104: 1-2).

---

[1] *Homilies on Luke, hom. 26: 4.*

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَرِّقْ فَيْضَ غَضَبِكَ
وَانْظُرْ كُلَّ مُتَعَظِّمٍ وَاخْفِضْهُ [11].

كأنه يقول له: "ليس من وجه للمقارنة بيني وبينك؛ فإن كنت في حالة سخطٍ وغضبٍ، هل تستطيع بنظرة منك أن تحطم مقاوميك المتشامخين؟" فقد قيل: "فإن لرب الجنود يومًا على كل متعظمٍ وعالٍ، وعلى كل مرتفع فيوضع" (إش 2: 12). ليس من متشامخ يقدر أن يقف أمام نظراته.

إن كان أيوب قد أبكم أصدقاءه إلى حدٍ ما خلال الحوار الطويل ولفترة طويلة، فإن نظرة واحدة من الله تهز كل كيان المتكبرين المتشامخين عليه.

اُنْظُرْ إِلَى كُلِّ مُتَعَظِّمٍ وَذَلِّلْهُ
وَدُسِ الأَشْرَارَ فِي مَكَانِهِمِ [12].

كأن الله يقول لأيوب: "أنا أعلم أن طلبتك لم تكن عن تشامخٍ وكبرياءٍ. أنا أعرف قلبك المتواضع، حتى وإن عاتبتني وقت ضيقتك وطلبت تفسيرًا لما حلَّ بك. إن كنت قد تضايقت بسبب تشامخ أصدقائك عليك واتهامهم لك ظلمًا، فلا تخف. إن أردت فقد سمحت لك أن تنظر إليهم بعين الإيمان فستغلبهم. تستطيع أن تغلب الأشرار المتكبرين في أماكنهم قبل أن يتحركوا لمواجهة نظراتك.

إن ظنوا أنهم أكثر منك كرامة أو غنى أو سعادة، لأنه لم يحل بهم ما حلّ بك، فسينسحقون دون أن تنفعهم أمجادهم الزمنية وإمكانياتهم المادية ونسلهم.

❖ يرتبك المتعظمون عند نظرة الرب، سواء هنا حيث برحمته يكشف عن أخطائهم ويدينها، أو هناك حيث يعاقبهم بعدله. لكن **الكبرياء نفسه هو مكان الأشرار**. مكتوب: "الكبرياء بدء كل خطية" (سيراخ 10: 13)، حيث يقطن في الموضع الذي يقيم فيه الشر، وإن كان يصعب جدًا التمييز بين الشر والكبرياء. من يكون متكبرًا جدًا يفكر بالشر في خالقنا. الشرير يُداس إذن في مكانه، إذ يتحطم بذات الكبرياء الذي رفعه... غالبًا، بينما يتقدم المتكبر في مجده الباطل ضد الله، ينحدر داخليًا في بؤس حقيقي.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لست أريدكِ أن تكوني متكبرة بسبب، بل بالحري أن تكوني خائفة. إنك تسافرين كصبيةٍ

معها ذهب. لتخشَ اللص. هذه الحياة الزمنية هي سباق. هنا نتنافس لكي نكلل فيما بعد. لا يدخل أحد بين الحيات والعقارب وهو متأكد أنه يكون في أمان[1].

❖ ليس فقط الزنا والدعارة هما اللذان يدنسان من يمارسهما، لكن الكبرياء أيضًا يدنس الإنسان أكثر منهما .

❖ يُوهب التواضع لكل شخص حسب درجة عظمته. الكبرياء مضر لكل أحدٍ. إنه يطلب أن يفسد بالذات من هم عظماء![2]

القديس چيروم

❖ واضح أن الفخر المبالغ فيه كان من سمات الرسل الكذبة[3].

❖ التشامخ مع الخطيّة طامة كبرى ... إن كان الذي يعمل صلاحًا يفقد تعبه إن انتفخ، فكم يكون إثم الذي يضيف إلى خطاياه خطيّة التشامخ؟ لأن مثل هذا لا يقدر أن يمارس التوبة[4].

القدّيس يوحنا الذهبي الفم

أُطْمُرْهُمْ فِي التُّرَابِ مَعًا

وَاحْبِسْ وُجُوهَهُمْ فِي الظَّلاَمِ [13].

إذ يظن المتكبرون أنهم قد غلبوا وانتصروا يطلب الله من أيوب ألا يخاف منهم، بل يطمرهم في التراب، يدفنهم كما في قبرٍ مظلمٍ ولا تعود أسماؤهم تُذكر. وذلك كما طمر موسى النبي المصري المتكبر في الرمل (خر 2: 12).

تُحبس وجوههم في الظلام حيث لا يستطيعون الوقوف أمام الله النور الحقيقي، بل يهبطون إلى الظلمة الخارجية، ظلمة الهاوية.

❖ الله، بحكمه العادل يخفي المتكبرين والأشرار في التراب، إذ يسمح لقلوبهم أن تبتلعها الأمور الأرضية حسب اختيارهم، مستخفين بحب خالقهم.

بلياقة يضيف: "**وفي نفس الوقت أحبس وجوههم في الحفرة** "... إذ يُحدر نية قلوبهم

---

[1] *Letter to Eustochium. PL 22:395 ff.*
[2] *In Ioan 16:4.*
[3] *On Vriginity, ch 31 PL 40 ; 413.*
[4] *In 2 Cor. hom 22:2.*
[5] *In Rom. Hom. 5.*

عندما تريد أن تتشامخ على البشر. فإن من ينحدر وجهه نحو الهاوية يتطلع إلى الأمور السفلية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يا للجنون؟ ألا يدرى هذا الإنسان المتكبر أن مجده يزول ويتبخر كالحلم، وأن العظمة والسلطان ليست هي إلا سراب خداع[آ].

القديس باسيليوس الكبير

فَأَنَا أَيْضًا أَحْمَدُكَ،
لأَنَّ يَمِينَكَ تُخَلِّصُكَ [14].

الله يريد أن يمدح خليقته، إنه يعتز بها، ويطلب كرامتها، لكن هل يقدر أيوب بالرغم من شهادة الله عن استقامته أن يخلص نفسه بذراعه أو بيمينه، أي بقوته الذاتية؟ من يستخف بمساندة الله له، إنما يعتمد على قوته الذاتية فلا ينال مديحًا من الله.

يليق بالمؤمن أن يترنم: "لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض، ولا ذراعهم خلصتهم، لكن يمينك وذراعك ونور وجهك، لأنك رضيت عنهم" (مز 44: 3).

❖ في اللحظة التي فيها لا نزال وسط المعركة نُحارب ونُجرح، نسأل أنفسنا: من الذي يغلب؟ **الغالب أيها الإخوة هو ذاك الذي يعتمد علي الله الذي يسنده وهو يحارب، ولا يعتمد علي قوته**. للشيطان خبرته في الحرب، لكن إن كان الله معنا فسنغلبه. يحارب الشيطان بذاته، فإن حاولنا أن نفعل ذات الأمر، فسيغلبنا. إنه مُحارب مُختبر، لهذا يليق بنا أن نستدعي القدير ليقف ضده.

ليقطن فيك ذاك الذي لا يُغلب ، فستغلب ذاك الذي اعتاد أن ينتصر. من هم الذين يغلبهم؟ أولئك الذين قلوبهم فارغة من الله .

❖ يعرف الله سعيكم وإرادتكم الصالحة، وينتظر جهادكم، **ويسند ضعفكم، ويكلل نصرتكم**[Ñ].

القديس أغسطينوس

[آ] راجع الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، 1989، ص 309. عظة 20.

[2] *Com. on 1 John, 4:3.*

[3] *Robert Llewelyn, The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year, Springfield, Illinois, 1989, p. 56.*

هُوَذَا فَرَسُ الْبَحْرِ (بهيموث) الَّذِي صَنَعْتُهُ مَعَكَ.
يَأْكُلُ الْعُشْبَ مِثْلَ الْبَقَرِ [15].

جاءت بهيموث في صيغة الجمع "بهيمة behemah" أي حيوان. ولا تزال تستخدم في مصر لتعني حيوانًا أليفًا مثل الغنم والحمير والخيول الخ، وهي تختلف عن الكلمة العبرية chaytow الخاصة بحيوانات البرية المتوحشة.

يرى البعض أنه يشير هنا إلى فرس البحر أو البرنيق أو جاموس البحر hippopotamus.

يرى آدم كلارك أن هذا الحيوان من الحيوانات المنقرضة، ويدعى mammoth.

يتسم هذا الحيوان بضخامة جسمه مع قوته، فلا يقدر إنسان أن يدخل معه في مصارعة، فكيف يريد مقاومة خالقه.

ظن البعض أنه يشير هنا إلى الفيل بسبب ضخامة جسمه وقوته، لكن كثير من الدارسين رفضوا ذلك.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن بعض المفسرين فسروا هذه العبارة بمفهوم روحي، وأن هذا الحيوان يشير إلى الشيطان.

إن كان يشير إلى الشيطان، فإنه يأكل عشبًا كالبقر، بمعنى إنه إذ يسيطر الجسد على النفس البشرية يصير الإنسان كعشب الحقل، مأكلاً للشيطان!

أفاض الله في حديثه مع أيوب عن بهيموث رمز عدو الخير إبليس. ولعله أراد أن يوجه نظره إلى هذا العدو. فعوض التذمر على أحكام الله يليق بأيوب أن يدرك وجود عدو خطير يود أن يفترس البشرية كلها. وأنه هو الذي طلب السماح أن يجربه، لكن هذه التجارب تحول إبليس إلى ألعوبة يسخر بها حتى الأطفال الصغار.

❖ يثير شيطان الزنا الشهوة الجسدية، ويشن هجومه على النساك، ويجاهد لكي يتخلوا عن نسكهم، زارعًا في نفوسهم بأن نسكهم هذا بلا نفع.

فإذا ما استطاع أن يدنس النفس، يبتدئ يهيئها لقول وسماع بعض الأحاديث (الشريرة) حتى يبدو كما لو أن العمل (الشرير) ذاته ماثل أمام أعينهم [آ].

القديس مار أوغريس البنطي

[آ] القديس مار أوغريس البنطي: إلى أناتوليس Anatolius عن "الأفكار الثمانية"، 3.

هَا هِيَ قُوَّتُهُ فِي مَتْنَيْهِ،
وَشِدَّتُهُ فِي عَضَلِ بَطْنِهِ [16].

يشير هنا إلى قدرته الفائقة بالرغم من ضخامة جسمه قوته في متنيه (الحقوين) وشدته في سرة بطنه.

قوة الفيل في رقبته، والأسد في مخالبه، والفرس والثور في صدريهما، أما القوة الرئيسية لهذا الحيوان ففي متنيه. قيل في ناحوم: "شدد الحقوين، مكِّن القوة جدًا " (نا 2: 1). يليق بالمؤمن أن يميت حقويه، فلا يسمح للجسد أن يشتهي ضد الروح (غل 5: 7).

❖ إن أردنا أن نأكل لحم الحمل، يلزمنا أن نميت أحقاءنا، أي أعمال الجسد، ونحطم فينا ما قاله أيوب عن الشيطان: "**ها هي قوته في متنيه، وشدته في عضل بطنه**" (أي 40: 16). يليق بنا ألا نسمح للجسد أن يشتهي ضد الروح (غل 5: 17)، بل بالروح نميت أعمال الجسد، وبهذا التطهير نتمتع بجسد الحمل[1].

القديس جيروم

في رسالة إلى أوستوخيوم كتب **القديس جيروم** موضحًا أن التقشف ليس بذات قيمة في ذاته، إنما هو وسيلة هامة لضبط النفس والعفة.

❖ الخالق رب الكل لا يسر بالدمدمة والمعدة الفارغة..... إنما هذه أمور لازمة كوسيلة لحفظ العفة. كان أيوب له معزته لدى الله، كاملاً ومستقيمًا أمامه (أي 2: 3)، ومع هذا اسمعوا ما يقوله عن الشيطان: "قوته في حقوية (أعضائه الجنسية)، وشدته في السرة" (أي 40: 16). اخترت هذه العبارات من أجل الرقة في التعبير، لكن المقصود بها الأعضاء الجنسية التناسلية للجنسين. سليل داود، الذي يجلس على عرشه حسب الوعد، قيل أنه من ثمرة بطنه (حقويه) (مز 132: 11). والخمسة وسبعون النفوس التي من سلالة يعقوب والتي أتت إلى مصر قيل عنها أنها خارجة من صلبه (تك 46: 26). هكذا عندما انخلع حق فخذ يعقوب عندما صارع مع الرب توقف عن إنجاب أبناء. مرة أخرى أُمر الإسرائيليون أن يحتفلوا بالفصح بأحقاء ممنطقة ومماته (خر 12: 11). قال الله لأيوب: "أشد حقويك كرجلٍ" (تك 38: 3). يوحنا لبس منطقة من جلد (مت 3: 4). والتزم الرسل أن يمنطقوا أحقاءهم ليحملوا سراج الإنجيل (لو 12: 35). عندما أخبرنا حزقيال عن أورشليم أنها

[1] *On Exodus, The Vigil of the Pasch, homily 91.*

وجدت في سهل التيه، مغطاة بالدم، استخدم الكلمات: "سرتك لم تقطع" (حز 16: 4-6). لذلك فإن الشيطان في هجومه على الرجال قوته في متنه، وفي هجومه على النساء شدته في سرته. أتريدون برهان على تأكيداتي هذه؟ خذوا أمثلة لذلك. كان شمشون أكثر شجاعة من الأسد وأثبت من الصخرة..... لكن في حضرة دليله زالت مقاومته وانمحت. داود كان إنسانًا قلبه على مثال قلب الله، شفتاه كانتا دائما تسبحان للقدوس، المسيح القادم، ومع هذا إذ تمشي على سطح بيته فتنة عري بشبع وأضاف القتل إلى جريمة الزنا. لاحظوا كيف أن الإنسان حتى في بيته لا يقدر استخدام عينيه دون أن يحدق به خطر [1].

القديس جيروم

❖ ومن الواضح أيضًا للجميع أن الزنا لا يتم إلا بعمل جسدي، إذ يقول الله عن هذا الزوج الطوباوي أيوب: "ها هي قوتهُ في مَتْنَيهِ وشدَّتهُ في عضل بطنهِ" (أي40:16) .

الأب سرابيون

يَخْفِضُ ذَنَبَهُ كَأَرْزَةٍ.

عُرُوقُ فَخْذَيْهِ مَضْفُورَةٌ [17].

يحرك ذيله (ذنبه) كشجرة أرز قوية، وقد قيل عن التنين: "ذنبه يجر ثلث نجوم السماء، فطرحها إلى الأرض" (رؤ 12: 4).

قوي، متى وطأ إنسانًا بقدميه سحقه، إذ "**عروق فخذه مضفورة**".

يصور لنا **القديس مار يعقوب السروجي** كيف لا يطيق إبليس خلاص الإنسان، فإذا ما رأى خاطئا يسلك طريق التوبة يطلب من جنوده أن يكثفوا جهودهم لتحطيمه بالأفكار الشريرة والمجد الباطل، وبكل وسيلة ممكنة. لقد كتب القديس إلى زانيتين تدعيان لانطيا وماريا، تابتا وصارتا حبيستين يحذرهما من حروب إبليس ومقاومته لهما بكل عنفٍ.

❖ الآن يأمر قائد جند اليسار المؤذية (يأمر إبليس جنوده) بسبب عدائه لكما:

لا تحاربوا الطاهرين ولا الكاملين، ولا أحد أعدائي الأقوياء، لكن هاتين اللتين هما من خاصتي، واحتقرتاني، وسخرتا مني. وهما قائمتان في درجة القديسين.

أجلبوا عليهما قطع الرجاء، املأوهما بالكسل.

---

[1] *Letter 22, to Eustochium, 11-12.*
[2] *Cassian: Conferences,,, 5:4..*

ازرعوا فيهما الحسد لبعضهما البعض لتخضعا للضعف، وتحترقا بشهوة الطعام.
أيقظوا أفكارهما ليحبا أعمالهما الأولى. أقلقوهما بأفكار الزنى.
أعيقوا صلواتهما، لئلا تكون قوية لتكمّلا عهودهما...
أوقفوهما على جرف العظمة، واربطوهما بمحبة المجد...
احملوهما على الظن أنهما صارتا صالحتين.
أرسلوا المرضى عندهما لتصليا عليهم، واحملوا الآخرين ليقولوا: إننا شُفينا بصلواتكما، اخدعوهما بأنهما ليستا تائبتين بل هما فاضلتان [آ].

القديس مار يعقوب السروجي

عِظَامُهُ أَنَابِيبُ نُحَاسٍ،
وَأَضْلاَعُهُ حَدِيدٌ مُطَرَّقٌ [18].

ليس من يقدر أن يحطم عظامه ولا من يمزق ضلوعه، فعظامه أشبه بأنابيب نحاس، وأضلاعه حديد مطرق.

❖ ماذا يقول سفر أيوب عنه هو مخيف ومرعب (أي 40: 18؛ 41: 7). جنباه نحاس، وظهره حديد مسبوك، أحشاؤه من حجارة صنفرة. هذا وأكثر منه يقول عنه الكتاب المقدس. هذا هو قائد الفرق الشيطانية العظيم والقدير. ولكن ماذا يدعوه صاحب القوة الحق والفريد؟ إنه "ثعلب صغير!" (نش 2: 15). كل الذين مع الشيطان، قواته بكاملها هي موضع سخرية. الله يدعوهم بذات الاسم "الثعالب الصغيرة" ويحث الصيادين ضدهم .

القديس غريغوريوس النيسي

هُوَ أَوَّلُ أَعْمَالِ اللهِ.
الَّذِي صَنَعَهُ أَعْطَاهُ سَيْفَهُ [19].

جاء النص في الترجمة السبعينية: "**هذا هو أول أعمال الرب، والذي جعله سخرية ملائكته**". وقد اعتمد البعض على هذه العبارة في ادعاء أن الشيطان خُلق شريرًا، ولم يسقط بإرادته. وقد فند **القديس أغسطينوس** هذا الرأي في كتابه "التفسير الحرفي للتكوين[Ñ].

[آ] الرسالة السابعة والثلاثون.

[2] *Commentary on Song of Songs, homily 5.*
[3] *St. Augustine: The Literal Meaning of Genesis, Book 11. Ch 20 ff.*

من ينكر أن الله خلق إبليس من أعظم الطغمات السماوية، لكنه بإرادته صار أضحوكة وموضع سخرية الملائكة.

❖ يُقال عن الشيطان "**بدء أعمال الرب، الذي جعله سخرية ملائكته**" ليس لأنه هو أول خليقة أوجدها، ولا لأنه منذ البداية كان مخلوقًا شريرًا. لكن الله إذ يعلم أنه ستصير له إرادة شريرة تميل إلي أذية الصالحين، خلقه ليكون نفعًا للصالحين. هذا هو معني الكلمات "**يسخر به ملائكته**"، إذ يُسخر بالشيطان وذلك عندما يحاول أن يحطم الذي اختاره بإرادته نافعًا لخدام الله بالرغم من سوء نيته. حقًا لقد رأى الله ذلك عند خلقته إياه[1].

القديس أغسطينوس

كان إبليس كوكبًا عظيمًا ومرموقًا بين السمائيين " **زهرة بنت الصبح**" (إش 14: 12)، لا يتمتع بالنور فحسب، وإنما كان يشرق بنوره على الغير كأنه نور مشرق في الصباح، وذلك كعطية إلهية، لكنه تشامخ على الله خالقه وواهبه النور ، وظن أنه يقدر أن يرتفع على مستوى الله نفسه، بل ويصير أعظم منه، فسقط ليصير ظلامًا عوض النور ، إذ عزل نفسه بنفسه عن الله مصدر النور. أراد أن يجلس على جبل صهيون (مز 48: 2)، جبل الله المقدس، حسب نفسه كالله في العظمة فتعالى فوق السحاب!

❖ الذين يقولون إن الشيطان ليس خليقة الله مخطئون. فبقدر ما هو شيطان ليس خليقة الله، أما الكائن نفسه (كمخلوق) فهو خليقة الله. وذلك كالقول بأن القاتل ليس خليقة الله، لكنه كإنسان هو خليقة الله .

❖ واضح تمامًا من هذه الكلمات (إش 14: 12) أن ذاك الذي كان قبلاً لوسيفر، والذي ظهر في الصباح سقط من السماء. فلو أنه – كما يدعى البعض – كان كائنًا من الظلمة، لماذا قيل عنه أنه كان مثل لوسيفر Lucifer أو حامل النور؟ أو كيف يقوم في الصباح من ليس فيه نور قط؟[2]

العلامة أوريجينوس

❖ قول السيد المسيح: "**لأن رئيس هذا العالم**"، يعني به إبليس، وقد دعاه الناس الأشرار بهذا

---

[1] *Literal Meaning of Genesis, 11: 22.*
[2] *In Job. tome 2. c 7.*
[3] *De Principiis 1:5.*

الاسم، ليس لأنه يرأس السماء والأرض، وإلا لقلب الخلائق وعكسها، وإنما يرأس الذين قد أسلموا إليه ذواتهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ نفهم من هذه الكلمات أنه يوجد ملك واحد، وهو خالق الكون كله. بينما على الجانب الآخر يوجد **رئيس هذا العالم** الذي يسمى نفسه ملك الظلمة. تخدم ربوات من الملائكة الملك الحقيقي، بينما يلتف حول رئيس قوى الظلمة ربوات من الشياطين (كو 13:1). تتبع الرئاسات والسلاطين والفضيلة ملك الملوك ورب الأرباب. وفي الآخرة حين يُسلم المسيح المُلك لله الآب بعد أن يكون قد أباد كل رئاسة وكل سلط ان وكل قوة للعدو، فإنه لابد أن يملك إلى أن يضع جميع الأعداء تحت موطئ قدميه (1 كو 15:24، 25) [1].

القديس غريغوريوس النيسي

لأَنَّ الْجِبَالَ تُخْرِجُ لَهُ مَرْعًى،
وَجَمِيعَ وُحُوشِ الْبَرِّ تَلْعَبُ هُنَاكَ [20].

يرى البعض هنا صلاح الله العجيب، فمع ضخامة جسم هذا الحيوان، ومع قدرته لكنه ليس مفترسًا كالأسد أو النمر. لو كان مفترسًا يعيش على لحوم الحيوانات، فمع ضخامة جسمه لاحتاج إلى افتراس الكثير من الحيوانات، لأنه يحتاج إلى كمية هائلة من الطعام. لكن طعامه هو العشب الذي يوجد بوفرة على الجبال. وإذ يعيش على الخضروات لا تخشاه وحوش البر الأضعف منه جسمانيًا، بل تلعب معه.

تَحْتَ السِّدْرَاتِ يَضْطَجِعُ فِي سِتْرِ الْقَصَبِ وَالْغَمِقَةِ [21].

❖ الأشجار العظيمة تستظل به (بالشيطان) وهو ينام بجوار القصب والأسل والبردي (أي 40: 21). إنه ملك على كل الأشياء التي في المياه أي على كرسي اللذة والترف .

القديس جيروم

تُظَلِّلُهُ السِّدْرَاتُ بِظِلِّهَا.
يُحِيطُ بِهِ صَفْصَافُ السَّوَاقِي [22].

---

[1] *Homilies on Song of Songs, 14.* ترجمة الدكتور جورج نوّار

[2] *Against Jovinianus, 2:4.*

إذ تلعب معه وحوش البر لا يحتاج أن يكمن في أماكن مظلمة أو يختبئ في كهوف حتى ينقض فجأة على فريسته. إنما في أمان يضطجع تحت الأشجار المظللة (السدرات). ينام في سلام، وتلتف حوله الحيوانات متهللة، تلعب معه.

إذ لا يؤذي أحدًا لا يحتاج إلى كهوف تحميه، بل يستتر بالقصب وغيره من المزروعات التي بجوار المياه.

يقدم لنا **البابا غريغوريوس (الكبير)** تفسيرًا رمزيًا لهذه العبارة، فيقول: [يجد بهيموث نوعًا من الراحة في أولئك الذين يصيرون باردين بانسحابهم من نور الشمس الحقيقي، لذلك يقول عنه "**ينام تحت الظل** "... أما الأماكن الرطبة (صفصاف السواقي)، فهي أذهان الناس الأرضيين، حيث رطوبة الشهوات الجسدية. في هذه الأذهان يغرس بصمات شره، ويغطس في أذهانهم كما في أرض رطبة. الأماكن الرطبة هي الأعمال الشهوانية. فالقدم لا تتزحلق على أرضٍ جافةٍ، وإنما عندما تسير على أرضٍ زلقةٍ، حيث يصعب مساندتها. فالذين لا يقدرون أن يقفوا باستقامة يعبرون هذه الحياة في مواضع رطبة].

هُوَذَا النَّهْرُ يَفِيضُ فَلاَ يَفِرُّ هُوَ.
يَطْمَئِنُّ وَلَوِ انْدَفَقَ الأُرْدُنُّ فِي فَمِهِ [23].

إذ يحتاج هذا الحيوان الضخم إلى كمية ضخمة من الماء يُخيَّل للمرء أنه قادر على شرب نهرٍ بأكمله. إذا فاض النهر لا يهرب، بل في روية يشرب منه بغير خوفٍ أو فزعٍ.

يظن بهيموث أنه قادر أن يشرب نهر الأردن كله إن اندفق في فمه.

يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن المياه تشير إلى الشعوب، فقد فتح إبليس فمه ليشرب النهر كله، أي كل الجنس البشري، بكونهم شرابه، ومن حقه أن يبتلعهم. وإذ جاء السيد المسيح إلى نهر الأردن فتح العدو فمه ليشرب الأردن النازل فيه السيد. باطلاً حاول العدو أن يقتنص السيد المسيح، إنما سحق السيد المسيح رأس التنين في مياه الأردن.

مازال العدو يفتح فمه ليبتلع نهر الأردن كله، أي ليقتنص الذين نالوا سرّ العماد وصاروا أبناء الله، لكنهم في تهاونهم يخدعهم ليرتدوا إلى البنوة لإبليس.

تحدث **القديس كيرلس الأورشليمي** عن عطية المعمودية كتحريرٍ من سلطان إبليس – الوحش الساكن في أعماق المياه، قائلاً: [جاء في أيوب أنه كان في المياه الوحش الذي "اندفق الأردن في فمه" (أي 40: 23)، وكان يجب تحطيم رؤوسه (مز 74: 14). لهذا نزل (السيد) وربط القوي في المياه حتى ننال فيها القوة، إذ يكون لنا السلطان أن ندوس على الحيات

والعقارب (لو 10: 19). كان الوحش عظيمًا ومرعبًا "لا يقدر إناء سميك أن يحتمل حرشفة واحدة من ذيله[آ]" (أي 41: 7 *LXX*)، ثائرًا ضد كل من يلتقي به . لقد نزل "الحياة" إليه ليلتقي معه فيسد هناك فم الموت، وعندئذ نخلص نحن، قائلين : أين شوكتك يا موت؟! أين غلبتك يا قبر؟! (1 كو 10: 55). لقد نزعت شوكة الموت بالمعمودية ! ها أنتم تدخلون المياه حاملين خطاياكم، وبابتهال النعمة إذ نختم نفوسكم، لا يعود يبتلعكم الوحش المرعب .]

هَلْ يُؤْخَذُ مِنْ أَمَامِهِ؟

هَلْ يُثْقَبُ أَنْفُهُ بِخِزَامَةٍ؟ [24]

ما هي الخزامة التي تثقب أنف عدو الخير؟ يقول **البابا غريغوريوس (الكبير)** [ما هي إلا مشورات القديسين الجادة؟ إنها تثقب أنوف بهيموث هذا... الرب يثقب أنوفه بخزامات، إذ ينزع عنه قوته، محطمًا حيلة المخادعة بمفاهيم القديسين الحازمة].

يا للعجب الله يسمح بوجود إبليس، ولا يأخذني من أمامه. فهو يعلم أنني به أنتصر عليه. أضرب بحربة الصليب أنفه المتشامخ فأحطمها. بروح الرب أعيش غالبًا ومنتصرًا. أتغنى بروح النصرة على الشيطان الساقط من السماء كالبرق!

❖ يصوب الشيطان سهامًا ضدي، لكن أنا معي سيف.

هو معه قوس، **أما أنا فجندي أحمل سلاحًا ثقيلاً...**

إنه حامل قوسٍ لكنه لا يجسر أن يقترب إليّ، إذ يلقى بسهامه من بعيد[Ñ].

❖ لقد فقدتم الفردوس، لكن الله وهبكم السماء، حتى يؤكد حنوه، وأنه ي هزم إبليس، مظهرًا أنه حتى إن أتقن عشرات الألوف من الخطط ضد الجنس البشري، فإنها لن تفيده، حيث يقودنا الله دائمًا إلى كرامة أعظم.

أنتم فقدتم الفردوس (جنة عدن)، والله فتح لكم السماء.

لقد سقطتم تحت الدينونة بالتعب إلى حين، وقد كُرمتم بالحياة أبديًا.

يأمر الله الأرض أن تنبت شوكًا وحسكًا، أما تربة الروح، فتنبت لكم ثمرًا. ألا ترون أن الربح أعظم من الخسارة؟[Ò]

[آ] عوض أي 26:40.

[2] *Cat. Lect. 3:11,12.*

[3] *Baptismal Instructions, 3:11.*

[4] *Sermon in Gen. 7, PG 5: 614 C –D.*

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يخبرهم بولس أن يكونوا شجعانًا وأقوياء مثل المصارع وجندي المسيح، يفعلون كل شيء بالحب لله ولبعضهم البعض.

القديس ديديموس الضرير

❖ لنضع على رؤوسنا خوذة الخلاص، لكي لا نُجرح ونموت في المعركة.

لنمنطق أحقاءنا بالحق، فلا نوجد ضعفاء في القتال.

لنقم ونوقظ المسيح، فيهدئ الأمواج عنا.

لنأخذ الترس تجاه **الشرير**، كاستعدادٍ لإنجيل مخلصنا (أف 6: 15-16).

لنقبل من ربنا السلطان أن **نسود على الحيات والعقارب** (لو 10: 19)...

لنفرح في رجائنا في كل وقتٍ (رو 12: 12)، حتى يفرح بنا ذاك الذي هو رجاؤنا ومخلصنا...

لنأخذ لأنفسنا سلاحًا للمعركة (أف 6: 16)، هو الاستعداد للإنجيل.

لنقرع باب السماء (مت 7: 7)، فيُفتح أمامنا وندخل فيه.

لنسأل الرحمة باجتهاد، فننال ما هو ضروري لنا.

لنطلب ملكوته وبره (مت 6: 33).

لنتأمل في ما هو فوق، في السماويات، حيث المسيح صاعد وممجد.

لكن لننسَ العالم الذي هو ليس لنا، حتى نبلغ الموضوع الذي نحن مدعوون إليه.

لنرفع أعيننا إلي العلا، لنرى الضياء المتجلي.

لنرفع أجنحتنا كالنسور، لنرى حيث تكون الجثة (مت 24 28)...

عدونا حاذق يا عزيزي، ومحتال ذاك الذي يقاتلنا. يُعد نفسه للهجوم على الشجعان الظافرين، ليجعلهم ضعفاء. أما الواهون الذين له فلا يحاربهم، إذ هم مسبيون مُسلمون إليه.

من له جناحان يطير بهما عنه، فلا تبلغ إليه السهام التي يقذفها نحوه؟

يراه الروحيون يحارب، ولا يتسلط سلاحه على أجسادهم.

لا يخافه كل أبناء النور، لأن الظلمة تهرب من أمام النور. أبناء الصالح لا يخشون الشرير، لأنه أعطاهم أن يطأوا عليه بأقدامهم (تك 3: 15) [1].

---

[1] *Demonstrations, 6.*

القديس أفراهاط

❖ لم تستطع أية خطية صادرة عن بلاء شيطاني أن تقترب من جسم الرب. صمد الرب أمام تجارب العدو، لكي يرد النصرة للبشرية. جعل من الشيطان ألعوبة، كما أعلن داود: "لوياثان هذا خلقته ليلعب فيه" (مز 104: 26)، وأيضًا: "يسحق المتهم الباطل" (مز 72: 4). وأيضًا "كسرت رؤوس لوياثان على المياه" (مز 74: 13-14). وفي سفر أيوب أعلن الرب أن لوياثان هذا سيصير ألعوبة ويُصطاد في هذه التجربة، قائلاً: "تصطاد لوياثان بشصٍ" (أي 41: 1)[1].

الأب خروماتيوس

من وحي أيوب 40

من ينقذني من إبليس سواك؟

❖ في وسط ضيقاتي تتمرر نفسي.
أدخل معك في عتاب مرّ.
أنسى حقيقة نفسي،
إني تراب حقير أمام خالق عظيم.

❖ لقد أخطأت في تفكيري كما في كلماتي.
تكلمت مرة ومرتين،
تساءلت: لماذا تُنجح طريق الأشرار؟
لماذا تسمح لي بالضيقات؟
لكنني لا أعود أزيد الكلام.
صمت أمامك،
ذراعك قوي وصوتك يرعد.
جلالك وبهاؤك من يقدر أن يصفهما

❖ اكتشفت حقيقة نفسي الضعيفة،
وعرفت عنف إبليس عدوي.

---

[1] *Chromatius: Tractate on Mathew, 14:5.* صديق القديس جيروم وروفينوس

من يقيمني سواك؟

من يخلصني من هذا العدو إلا أنت يا محب البشر؟

❖ لتشددني فأميت حقويَّ،

ولا أسمح لشهوات الجسد أن تحطم شهوات الروح.

قوة العدو في حقويه وسرة بطنه!

احفظني منه، وقدس حقوي وبطني.

❖ خلقته كوكبًا منيرًا،

وفي شره انحدر إلى الهاوية.

يود أن يسحبني معه.

من يخلصني منه سواك؟

يفتح فمه، ليبتلع كل بني البشر.

ليتني أختفي فيك، فلا يقترب إليَّ.

لأنعم بصليبك، فأثقب أنفه.

أحيا بروحك القدوس،

فأكسر أنفه المتشامخ!

اَلأَصْحَاحُ الْحَادِي وَالأَرْبَعُونَ

التنين الذي لا يُروض

يُفتتح هذا الأصحاح بحديث ممتع لله موجه لا إلى أيوب وحده، بل إلى كل البشرية، ليكشف لها عن الإمكانيا ت الجديدة التي صارت لنا بالمسيح يسوع. فإن كان عدو الخير "لوياثان" يفتخر على البشرية بقدراته وسلطانه، فإن مسيحنا اصطاده بصنارة، وجعله كعصفورٍ صغيرٍ يلعب به الأطفال ولا يخشونه.

في هذا الأصحاح يعاتب الله أيوب الذي في أكثر من مرة يطلب الوقوف أمام الله وجهًا لوجه لكي يحاوره فيما حلّ به من ضيقات. هنا يقدم الله لأيوب تساؤلات كثيرة محورها: هل تستطيع أن تواجه تمساحًا في النهر وتصطاده، فكيف تطلب مواجهة الخالق؟

إن كان لوياثان أو تمساح النهر مرعب للغاية، ومدمر لحياة الإنسان، فإنه يرمز لإبليس العدو الحقيقي للإنسان. فليس من إنسان يقدر أن يدخل في مواجهة ضد إبليس دون مساندة الله له، فكيف يقدر أن يدخل في معركة مع الله نفسه واهب الغلبة للإنسان حتى على إبليس وكل قواته؟

1. من يقف أمام لوياثان 1–10.

2. وصف لوياثان 11–34.

1. من يقف أمام لوياثان

أَتَصْطَادُ التِّمسَاحَ بِشِصٍّ،

أَوْ تَضْغَطُ لِسَانَهُ بِحَبْلٍ؟ [1]

في حديث الله مع أيوب عن الشيطان يريد أن يؤكد له أنه مع كل ما اتسم به من قوةٍ وعنفٍ، لكنه بالنسبة للمؤمن ليس إلا شبه سمكة يُمكن اصطياده بصنارة صغيرة.

لوياثان، ويقصد به هنا الشيطان، وقد كثرت الآراء من جهة هذا الاسم نذكر منها:

1. حيوان مائي ضخم، عنيف ومفترس، وقد جاء في الترجمة السبعينية Dralaonate، أي تنين dragon، كما جاء في السريانية والعربية القديمة. وقد شبه النبي الكذاب وضد المسيح بالتنين البحري والتنين البري (رؤ 13).

2. نوع قاتل وفريد من الحيات السامة. ورد في بعض القصص اليهودية أن حية ضخمة تلتف حول الأرض كلها تبث سمومها.

3. نوع من الحيتان الفتَّاكة.

4. يُقصد به تمساح نهر النيل، كما قال Bochart.

5. يرى Hasaeus أنه ليس بحوتٍ، بل Orca وهو مسخ (حيوان مهول غريب الشكل) مائي، مسلح بأسنان حادة يُرعب الحيتان.

6. يرى Grotius أنه سمكة ضخمة جدًا تدعى mular أو musar، وُجدت في البحر الأبيض المتوسط.

7. يرى البعض مثل Schultens أنه اسم رمزي يمثل حيوانات مرعبة قديمة، يقصد به الشيطان.

8. يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن اسمه يمكن أن يُدعى Leviathan كنوعٍ من السخرية، إذ تعنى الكلمة شيئًا ضخمًا ورهيبًا.

يعتمد القائلون بأنه التمساح على الآتي:

1. لا توجد حيتان بالبحر المتوسط والأنهار في تلك المنطقة، وإنما وُجد التمساح في نهر النيل وبعض أنهار آسيا وأفريقي ا، فغالبًا لم يكن لدي أيوب معرفة بالحيتان، وإنما بالتماسيح. حقًا أن المتكلم هو الله وهو عالم بكل ما خلقه، لكنه لا يحدث أيوب عن حيوان لم يسمع عنه ولا عرفه.

2. السمات الواردة هنا عن لوياثان تنطبق على التمساح بكونه متوحشًا وعنيفًا ولا يمكن السيطرة عليه. فمه مخيف وحجمه ضخم للغاية، مسلح بصفٍ ضخم من الأسنان، ومُغطى بحراشيف متقاربة معًا، يتميز بعينيه الرهيبتين. لا يمكن اصطياده بالطرق العادية لاصطياد الوحوش المفترسة. طوله عادة ما بين 18 و 20 قدمًا، لكنه يبلغ أحيانًا الثلاثين قدمًا. تبلغ عدد أسنانه الحادة جدًا 30 فأكثر في كل فكٍ. يُعتبر من أرعب الحيوانات البحرية. غالبًا ما يسبح على سطح الماء ليقتنص أي حيوان يجده، وإذ لم يجد طعامًا يقترب من الشاطئ ويختبئ بين أوراق البردي، حتى متى اقترب أي حيوان ليشرب هجم عليه وسحبه في الماء ليغرقه ويأكله. يشتهر باصطياده النمور القادمة لتشرب.

3. مما يؤيد افتراض أنه التمساح ما ورد في (أي 40: 15) عن بهيموث، وهو حيوان بحري. ولعل الاثنان كانا يقطنان في ذات المنطقة فإن كان بهيموث هو فرس البحر أو

البهموت أو مارد البحر hippopotamus الذي كان في نهر النيل، فإن لوياثان هو التمساح الموجود في ذات النهر. جاء في بعض الرسومات في Herculaneum مناظر طبيعية مصرية حيث نرى التمساح راقدًا بين القصب (المائي) وفرس البحر على النباتات في جزيرة. وأيضًا الموزييك الشهير في Praeneste يمثل نباتات وحيوانات مصر وأثيوبيا. يشير فرس البحر والتمساح معًا في مجموعة واحدة في نهر النيل. يشير هيرودو ت إلى أن بعض المصريين يعتبرون التمساح مقدسًا، وآخرون يهاجمونه. أحيانًا يعاملونه بتكريم زائد ويقدمون له أسماك وأطعمة ثمينة، ويزينون رأسه بأقراطٍ وقدميه بأساورٍ وحلقان ذهبية مطعمة بحجارة ثمينة. يروضونه بلطفٍ شديد، وبعد موته يطيبونه بأطياب ثمينة، هذا في مناطق مثل طيبة وOwbite و Arsinoite و Maabdeh مقابل مدينة منفلوط الحالية. وفى مناطق أخرى كانوا يتعاملون معه بشيء من الاشمئزاز الشديد، فلا يتركون فرصة يمكنهم فيها تدميره.

يرى Gesenws أن لوياثان مشتقة من لوي Laowah، حيث ينحني كائن ما حول آخر ويلتف حوله، ربما ليدمره أو يفترسه.

يذكر هيرودوت أن من بين طرق اصطياد التمساح أن يضعوا قطعة لحم خنزير في شصٍ (صنارة)، ويلقونها على الماء لتطفو ثم يأتوا بخنزير حي على الشاطئ ويضربونه حتى يصرخ. فيأتي التمساح على صوت صراخه نحو الشاطئ ليقتنصه، وإذ يجد قطعة اللحم يبتلعها فيسحبونه بالصنارة نحو الشاطئ، وأول ما يفعلونه به هو أن يملأوا عينيه بالطين حتى يمكنهم السيطرة عليه.

ليس للتمساح لسان، أو له لسان صغير جدًا ملتصق بالفك السفلي، ولكن كما أنه في اصطياد السمك تسحب السمكة الصنارة التي بها الطُعم خلال لسانها، هكذا يسأل الله إن كان يمكن سحب لوياثان بلسانه.

يرى Thevenot أن البعض كانوا يحفرون بعض الحفر على الشاطئ ويغطونها بعصي، وإذ يسقط التمساح في إحداها لا يقدر أن يخرج منها. يتركونه لمدة عدة أيام بلا طعام، وبعد ذلك يربطون فكه بحبال يعقدونها حوله ثم يقومون بسحبه.

يوجه الله أنظارنا إلى عدو البشرية كله ا، فإنه إن كان يصعب صيد لوياثان بصنارة وسحبه من لسانه بحبل، فماذا يفعلون مع إبليس؟

إبليس عنيف للغاية ويصعب الغلبة عليه، لكن ابن الله الحي نزل إلى أرضنا، وإذ تجسد صار جسده هذا أو ناسوته هو ال صنارة التي يصطاده بها. ظن إبليس في المسيح أنه

مادام يحمل جسدًا كسائر بني البشر، وله نفس بشرية، فله سلطان عليه، يدخل به إلى مملكة الظلمة التي له. هيج أتباعه على صلبه، حاسبًا هذا نصرة عليه، ولم يدرك الشص الموضوع له، إذ بالصليب شهر به، وأفقده سلطانه، وسحب منه الأسرى الذين سقطوا تحت سلطانه.

ترك الرب لعدو الخير وأتباعه أن يجدفوا عليه ، ويقدموا اتهامات ضده، ولم يدرك العدو أنه بهذا انسحب بلسانه لينحدر إلى جهنم هو وملائكته الذين شاركوه تجديفه على مخلص العالم.

❖ أُصطيد لوياثان بصرنارة صيد، وذلك عندما أُمسك بطُعم جسد مخلصنا، إذ بالوخز ة الحادة للاهوته قد طعنته للحال. لقد أمسكت السنارة كما بحنجرة من يبتلعها، عندما ظهر طُعم الجسد للمفترس كي يمسك به في وقت آلامه، فقبض اللاهوت عليه ليقتله.

❖ لتفهم يا أيوب ما أفعله أنا، إذ أرسل ابني وحيد الجنس في الجسد لموت المُفسد، ففي ابني يظهر الجسد القابل للموت، بينما لا تظهر قوة خلوده، هذا نوع من الصرنارة التي تحطم من يبتلعه، وذلك بإخفاء حذاقة القوة التي بها يجرحه.

"تضغط لسانه بحبلٍ".... فإن الخطايا يُرمز لها بالحبل كقول النبي: "ويل للجاذبين الإثم بحبال البُطل" (إش 5: 18)... أيضًا "الحبل" يعبر عن الإيمان، كما يشهد سليمان القائل، "الخيط المثلوث لا ينقطع سريعًا" (جا 4: 12). فإن الإيمان بالحق الذي ينسجه فم المبشرين بمعرفة الثالوث يبقى ثابتًا في المختارين. إنه ينقطع فقط في قلب الشرير. هنا يمكن أن تفهم كلمة الحبل الإيمان أو الخطية. لأن ربنا المتجسد ربط فم لوياثان بحبلٍ، إذ ظهر في شبه جسد الخطية ودان كل تعاليمه الخاطئة... خلال شبه جسد الخطية برد الحوار المخادع في الجسد رُبط لسان لوي اثان إذ عُرف الحق الذي له صمتت التعاليم الباطلة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ الآن يا أحبائي قد ذُبح الشيطان، ذاك الطاغية الذي هو ضد العالم كله... لا يعود يملك الموت، بل تتسلط الحياة عوض الموت، إذ يقول الرب: "أنا هو الحياة" (يو 6:14)، حتى امتلأ كل شيءٍ بالفرح والسعادة، كما هو مكتوب: "الرب قد ملك فلتفرح الأرض"... الآن إذ بطل الموت وتهدمت مملكة الشيطان امتلأ الكل فرحًا وسعادة.

❖ إن كان الشيطان عدو جنسنا قد سقط من السماء وتحوّل إلى مجالنا السفلي، فقد صار له

سلطان على الأرواح زملائه الذين يستخدمهم كأتباعه يعملون بالخداعات لأجل المعصية. لا يعملون فقط في الذين ينخدعون، وإنما يحاولون إعاقة المرتفعين إلى فوق، وكما يقول الرسول: "حسب رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية" (أف ٢: ٢). لقد **جاء الرب ليطرد الشيطان ويطهِّر الهواء منه** ، مهيئًا الطريق إلى السماء وذلك "بالحجاب أي جسده" (عب ١٠: ٢٠). كقول الرسول: أي نوع من الموت يقدر أن يحقق هذا، إلاَّ الموت الذي يتم في الهواء، أقصد بالصليب!... لقد لاق جدًا أن يحتمل الرب هذا الموت، فبرفعه (على الصليب) طهر الهواء من شر إبليس وكل أنواع الشياطين، إذ يقول: "رأيت الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء" (لو ١٠: ١٨)، بهذا صنع افتتاحًا جديدًا لطريق السماء، إذ يقول أيضًا: "ارفعوا أبوابكم أيها الرؤساء ولترتفع الأبواب الدهرية" (مز ٢٤: ٧ – السبعينية). فإن الكلمة لم يكن في حاجة إلى فتح الأبواب إذ هو رب الكل، ولا يُغلق شيء من أعماله أمامه، إنما نحن الذين في حاجة إلى فتح الأبواب، إذ حملنا في جسده. لقد قدم الموت لحسابنا، ممهدًا لنا الطريق إلى السماوات[1].

❖ لأن الرب تلامس مع كل جزء من الخليقة وحررها وأعتقها من كل خداعات الزيف والوهم كما يقول القديس بولس إذ **جرد بنفسه الرياسات والقوات، ظافرًا بهم على الصليب**. حتى لا ينخدع أحد بعده بل يجد في كل مكان كلمة الله الحقيقي .

القديس البابا أثناسيوس الرسول

❖ صمد الرب أمام التجارب التي من العدو لكي يرد النصرة للبشرية. بهذا جعل الشيطان ألعوبة، وكما أعلن داود: "لوياثان الذي خلقته ليلعب فيه (مز 104: 26)... وأيضاً: "كسرت رؤوس لوياثان على المياه" (مز 73: 13-14). يعلن الرب في سفر أيوب أن لوياثان هذا يصير ألعوبة، ويُمسك في هذه التجربة " **تصطاد لوياثان بشصٍ** " (أي 41: 1)[2].

الأب خرموتيوس

❖ يُخدع الشيطان إذ يجرح نفسه بذات لدغته، ويُحصن ذاك الذي يظن أنه يضعفه، يحصنه ضده. فقد حُصن القديس أيوب بالأكثر عندما جرحه، ذاك الذي غطى كل جسمه بالقروح،

---

[1] *De Incar. 25.*
[2] *De. Incarn. 45*
[3] *Tractates on Matt. 14: 5. (صديق روفينوس وجيروم)*

فاحتمل لدغات الشيطان ولم يؤثر فيه سمه. لذلك حسنًا ق يل له: "تصطاد التنين بشصٍ، وتلعب به كطائرٍ. تربطه كما يفعل صبى بعصفور، وتضع يدك عليه" (أي 1:41، 5، 8 *LXX*).

إنكم ترون كيف سخر به بولس، كصبي كما ورد في النبوة، وضع يده على حفرة الثعبان، ولم تؤذِه الحية. لقد سحبه من موضعه الخفي، وجعل من سمه دواءً، فصار السم لتحطيم الجسم دواءً لشفاء الروح. فما يؤذى الجسم يفيد الروح (1 كو 5:5).

إذًا، لأترك الحية تضرب ما هو أرض ي في (جسدي)، أتركها تعض جسدي وتُسبب ازرقاقًا فيه، فسيقول الرب عني: "ها هو في يدك، ولكن احفظ نفسه" (أي 2: 6).

يا لقدرة الله! إنه يسلم حفظ نفس الإنسان في يد الشيطان الذي يريد هلاكه!... فبوصايا السيد جعل الشيطان حافظًا لغنمه، فبغير إرادته صار ينفذ وصايا السماء، وبقسوته يطيع وصايا الوداعة![1]

- **شدة عظيمة هكذا وحزن جسيم حلّ بالشياطين وجنودهم في يوم صلب إلهنا** ، لأنه عند موته ونزوله إلى الجحيم صنع فيهم ما صنعه بفرعون والمصريين، وعتق بني آدم من حبسهم كما عتق بني إسرائيل من أرض مصر .

القديس أمبروسيوس

- على الرغم من كثرة افتخار (إبليس) في الكلام والوقاحة، قبض عليه المخلص بصنارة كتنينٍ عظيمٍ (أي 41: 1)، وكدابة وُضع الرسن في فكيها، وكهارب أوثق منخره بخطام، وثقب شفتيه ببرة (أي 41: 2)، فأوثقه الرب كعصفورٍ حتى نسخر منه (أي 41: 5)، ومعه الشياطين رفقائه كالحيات والعقارب (لو 10: 19) كي نسحقها وندوسها تحت أقدامنا[2].

البابا أثناسيوس الرسولي

أَتَضَعُ أَسَلَةً فِي خَطْمِهِ،
أَمْ تَثْقُبُ فَكَّهُ بِخِزَامَةٍ؟ [2]

"**أتضع أسله في خطمه**" جاءت في الترجمة السبعينية: "**أتضع طوقًا في فتحه انفه**".

---

[1] *On Repentance 1: 13:64-65.*
[2] *On Belief in the Resurrection 2:110.*
[3] *Vita antonii, 24.*

ويرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن فتحتي أنفه تشيران إلى خداعه، بينما يشير الطوق إلى كلية القدرة للقوة الإلهية.

إن كان عدو الخير لا يكف عن أن ينفث بخداعاته وحيله كما بأنفه ، كي يسقط الإنسان في سلسلة من الخطايا، فيحل به اليأس ولا يقوم، فإن مراحم الله القديرة تبطل هذه الخداعات فيمتلئ الإنسان رجاءً في غفران خطاياه، ويقوم بنعمة الله العاملة فيه.

يرى البعض أنه يتحدث هنا عن أدوات الزينة التي كان المصريون يزينون بها التمساح كإله. لكن واضح أن الحديث هنا ليس عن تأليه التمساح وزينته، إنما عن عنفه وعدم القدرة على ترويضه.

أسلة agmon، والترجمة الدقيقة تعني نوعًا من الحبال. وكأنه يعنى هنا أن لوياثان يحمل قوة عجيبة حيث يستحيل وضع حبل حول أذنه لربط فكيه. كانت العادة في الشرق أن يضعوا حلقة في أذن الثيران والجاموس، ويجرونه بها.

خزامة choach، وهي في حقيقتها طوق. كان ولا يزا ل توجد عادة أن يوضع طوق حديدي قوي في فك السمكة الكبيرة حال اصطيادها، ويربط الصياد حبلاً في الحلقة، ويترك السمكة في الماء، حتى يسحبها متى وجد من يشتريها [1].

أَيُكْثِرُ التَّضَرُّعَاتِ إِلَيْكَ،
أَمْ يَتَكَلَّمُ مَعَكَ بِاللِّينِ؟ [3]

حين يسقط الإنسان في السبي ينسحق ويتذلل، لكن ليس كذلك عدو الخير، الذي لا يستسلم ولا يتذلل بتوسلات كثيرة، فإنه لا يخضع سريعًا. وكأنه أشبه بحيوانٍ مفترسٍ، حتى بعد اصطياده لا يهدأ مترجيًا أن يفترس من اصطاده. عدو الخير شرس لا يعرف لغة الحنو.

❖ إن كانت هذه الكلمات موجهة إلى شخص الابن، فإن (الشيطان) ينطق بكلمات لينه موجهة للمتجسد، إذ يقول: "أنا أعرفك، من أنت؟ قدوس الله" (لو 4: 34). لوياثان هذا يكثر التضرعات إليه حين قيل له بواسطة لجيئون: "إن كنت تخرجنا فلأذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير" (مت 8: 31).

البابا غريغوريوس (الكبير)

[1] *James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, Logos International Plainfield. N J, 1972, p. 215.*

❖ الشيطان دائمًا مجتهد حتى عندما يحل به الخطر أن يفقد غنيمته [1].

❖ لماذا يعود ليهاجم؟ ماذا نتعلم من هذا؟ فإننا وإن سقطنا ألف مرة، فإن الشيطان لن يتوقف، بل يستمر في الحرب دون أي تردد.

❖ لاحظوا أنه يطوف في كل لحظة في العالم. يعلمنا زكريا أن الملائكة تجول على الأرض (زك 1:10-11). أما هذا البائس فلا يكتفي بالطواف، فإن العناية الإلهية أيضًا تمارس هذا العمل، إنما يطوف لكي يُدان بالأكثر (لشروره)، ولكي نكون نحن في أكثر حذرٍ. لهذا السبب دُعي "رئيس ظلمة هذا الدهر" (أف 6:12)؛ أي رئيس الشر.

تكلم أيها الشيطان، ماذا فعلت؟ يقول: لقد قمت بجولة في الأرض، لقد درت فيها، وها أنا هنا.

ماذا جلبت؟ لم يجلب شيئًا نافعًا أو صالحًا، لهذا لم يجب لماذا قام بالجولة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

إن كان عدو الخير لا يعرف الخنوع، لن يهدأ عن المقاومة، حتى وإن غُلب مرة ومرات، لكن السيد المسيح أخرج شياطين من كثيرين، وفي مذلة كانت الشياطين تارة تعترف به أنه قدوس الله لعله لا يعذبهم، وتارة أن يسمح لهم بالدخول في الخنازير، كما كانوا يقول: لماذا أتيت لتعذبنا؟ هكذا من يحمل السيد المسيح في داخله، ترتبك أمامه الشياطين، وكأنها تتضرع إليه أن يكف عن محاربته لهم بصلواته وشركته العميقة مع المخلص.

إذ نقطع عهدًا عمليًا متجددًا مع الله ينهار عدو الخير حيث يتحرر المؤمنون من العهد الذي سبقوا فقطعوه معه. والعجيب عوض أن كانوا عبيدًا لإبليس، يصير هو عبدًا لهم، حتى إن بث سمومه وحيلة وخداعه ضدهم، إذا بهذا كله يتحول لبنيانهم وتزكيتهم وتمجيدهم.

❖ خلال الآلام صعد الرب إلى العُلي وسبى سبيًا، وأعطى الناس عطايا (مز 68: 18؛ أف 4: 8)، ووهب الذين يؤمنون به سلطانًا أن يدوسوا على الحيَّات والعقارب وكل قوَّة العدو، أي سلطان على قائد الارتداد .

القدِّيس إيريناؤس

❖ هنا **الحماية الواقية** تسير جنبًا إلى جنب مع السماح بالضرب، ويتحقق التدبير الإلهي

---

[1] *Homilies on Corinthians, 43:5.*
[2] *Adv. Haer 5:24:2:20:3.*

خلال الحماية، وخلال التخلي عن العبد المختار، فبينما يتخلى عنه يحرسه... هكذا سُلم القديس في يد الخصم (أي 2: 6)، أما نفسه فمحفوظة في يد (الله) معينه، فإنه من ضمن القطيع الذي قال عنه الحق في الإنجيل: "لا يخطفها أحد من يدي" (يو 28:10).

علاوة على هذا، فإنهم لا يرون لوسيفر يقوم، هذا الذي قال عنه إشعياء: "لوسيفر الذي أشرق في الصباح"، ثم يكمل: "قُطع إلى الأرض" (إش 12:14)، مشيرًا إلى أنه لا يعود يستعيد كرامته السابقة. بسقوطه من السماء على الأرض أراد دمار الإنسان، لكن **الله يُعطي من لا يُخدع سلطانًا أن يدوس على الخائن بقدميه، ويحطمه إلى أجزاء.**

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

هَلْ يَقْطَعُ مَعَكَ عَهْدًا،
فَتَتَّخِذَهُ عَبْدًا مُؤَبَّدًا؟ [4]

يشير إلى الحيوان المذكور، أنه حتى وإن سقط في الفخ لن يدخل مع الإنسان في ميثاقٍ، ولن يقبل أن يخدمه كعبدٍ؛ إنه لا يُروض.

كثيرًا ما نظن أننا أقوياء، لن تضرنا الخطية، ولا يقدر العدو أن يخدعنا، فنتهاون مع الخطية ونفتح الباب لعدو الخير، ظانين أن مُستعبد ويمكن أن يخدمنا.

لقد فتحت حواء الباب للوياثان، ودخلت في حوارٍ مع الحية، وأرادت أن تقيم عهدًا ومعها زوجها ونسلها مع إبليس وجنوده. ظنت أنه سيخدمها العدو، إذ يكشف لها الطريق للتمتع بالألوهة والمعرفة، فإذا بها تسقط في مذلة العبودية له. الحوار مع عدو الخير والدخول معه في عهود لن يجدي، بل ينحدر لنا إلى الهلاك الأبدي.

لقد قدم إبليس عروضًا كثيرة للسيد المسيح أثناء التجربة على الجبل، وإذا رفض كل عروضه، "تركه إبليس، وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه" (مت 4: 11).

❖ لست وحدك صانع الشر، بل يوجد من يدفعك إليه بعنف. إنه الشيطان الذي يقترح عليك الشر دون أن تكون له سيادة إلزامية على من يقبله. لذلك يقول المبشر : "إن صعدَت عليك روح المتسلط فلا تترك مكانك" [آ].

أغلق بابك واطرده بعيدًا عنك فلا يصنع بك سوءًا ، أما أن قبلت فكر الشهوة بغير مبالاة فستتغلغل جذوره فيك، ويفتن ذهنك بخياله، ويهوي بك في هاوية الشرور.

[آ] جا 10: 4. راجع أيضا أف 4: 27 "ولا تعطوا إبليس مكانا".

قد تقول: أنا مؤمن، لا تقدر الشهوة أن تصعد إليّ حتى وإن فكرت فيها كثيرًا!

أما تعلم أن جذع الشجرة بالمقاومة المستمرة يستطيع أن يحطم حتى الصخرة؟! فلا تسمح للبذرة أن توجد فيك حتى لا تمزق إيمانك وتحطمه. اقتلع الشر بجذره قبل ما يزهر، لئلا بإهمالك في البداية تحتاج بعد ذلك إلى فؤوس ونار.

عالج عينيك في الوقت المناسب عندما يلتهبان، لئلا تصير أعمى وتحتاج إلى طبيب![1]

القديس كيرلس الأورشليمي

أَتَلْعَبُ مَعَهُ كَالْعُصْفُورِ،

أَوْ تَرْبِطُهُ لأَجْلِ فَتَيَاتِكَ؟ [5]

الطير الذي يُروض يمكن اللعب به لأجل التسلية والترفيه، لكن الأمر ليس هكذا بالنسبة للوياثان. لأجل التسلية تُصطاد الطيور وتوضع في أقفاص لتقف حولها الفتيات الصغيرات يتمتعن برؤيتها. في بعض البلاد غير المتقدمة يقوم الآباء بربط الطيور بخيط لكي ما يلهو به أطفالهم كنوعٍ من التسلية.

يظن عدو الخير في نفسه أنه رئيس هذا العالم، ليس لأحدٍ سلطان عليه، ولم يدرك أن الكلمة المتجسد، إذ يقدم نفسه ذبيحة عن العالم كله، فقد ملكوته، وصار كأسير لا حول له ولا قوة يسحبه الأطفال الصغار بشجاعة ليطأوه بأقدامهم.

يقيم الله من المؤمنين جيش الخلاص الروحي، الذي لا عدو له سوى إبليس وملائكته. يدرب مؤمنيه على القتال الروحي، ويهب حتى الأطفال الصغار إمكانية النصرة، فيُقال عن الكنيسة التي كانت كعظام جافة مُلقاة في وسط بقعة: "فدخل فيهم الروح، فحيوا، وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جدًا جدًا" (زمنية 37: 10)؛ كما يُقال عنها: "كأورشليم مرهبة، كجيشٍ بألوية" (نش 6: 4).

يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن الشيطان في خداعه يستخدم كل وسيلة لخداع الإنسان، فيظهر بكونه الذي يأكل عشبًا مثل الثور، وكأنه حيوان ذو أربع أرجل، مرة أخرى يظهر بكونه لوياثان في المياه يُصطاد ب صرنارة، وأخيرًا يظهر كطائرٍ في الجو. إنه يتعقب الإنسان أينما وُجد سواء على الأرض، أو في البحر، أو طائرًا في الجو. إنه في غباوة

[1] *Catechetical Lectures, 23:3.*

الحيوانات بالرغم من حيله الخطيرة القاتلة والجذابة، لكن في غباوة فقد مجده وأبديته، وهو خبيث كالتنين في البحر لا يكف عن أن يؤذي بكل وسيلة، وهو متكبر يرتفع قلبه ويتشامخ كمن يطير في الأعالي.

❖ بالتأكيد لعب به الرب كطائر إذ أظهر له الطُعم بآلام ابن الله الوحيد، لكن اصطاده في الشبكة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ نجد في أيوب هذا المخلوق يلهو به الملائكة السمائيون، وقد أعطى الرب تلاميذه سلطانًا أن يدوسوا على الحيات والعقارب وكل قوة العدو[1].

ثيؤدورت أسقف قورش

❖ إننا نتطلع في دهشةٍ أمام محبته التي بلا حدود ولا يُنطق بها، وطول أناته اللانهائية، وغفرانه في كل لحظة لخطايانا التي نعترف له بها بلا حساب، ودعوته لنا بالرغم من عدم استحقاقنا السالف بل بنعمته ورحمته. كذلك فرص الخلاص التي يقدمها لنا بغير حدود، واهبًا لنا التبني، متعهدًا إيانا منذ الطفولة بالنعمة ومعرفة نواميسه. ووهب لنا أن نغلب به العدو (الشيطان) خلال إرادته الصالحة فينا، مقدمًا لنا السعادة الأبدية والأكاليل الدائمة. كذلك تعهده بتدبير التجسد من أجل خلاصنا واتساع عجائب أسراره التي يقدمها للأمم جميعًا .

الأب موسى

❖ في المعارك العادية لا يقوم القادة بتسليح النساء أو الأطفال أو الشيوخ ، أما قائدنا الرب المسيح، فيوزع هذا السلاح الملوكي (الذي هو اقتناء المسيح نفسه) على الكل بالتساوي. عندئذ يعلمهم حيل إبليس العسكرية[2].

الأب ثيؤدورت

❖ اتبع العريس السماوي، لتصمد أمام الأعداء غير المنظورين.

لتثر حربًا ضد الرئاسات والسلاطين (أف 6: 12)، فتسحبهم أولاً عن نفسك، فلا

---

[1] *Commentary on Ps. 104.*
[2] *Cassian: Conferences 1:15.*
[3] *Epistle to the Ephesians 6:11.*

يكون لهم نصيب فيك، وبعد ذلك تطردهم عن أولئك الذين يطيرون إليك طالبين الحماية بمشورتك.

اطرحهم تحت قدميك كقائدٍ لهم ومدافعٍ عنهم.

هل تجحد تلك المجادلات التي ضد الإيمان بالمسيح.

حارب بكلمة التقوى ضد المشورة الشرِّيرة الرديئة. وكما يقول الرسول: "هادمين ظنونًا وكل علوٍ يرتفع ضدّ معرفة الله" (2 كو 10: 5). ضع ثقتك فوق الكل، في ذراع الملك العظيم، الذي بمجرَّد رؤيته يخاف أعداؤه ويرتعدون [1].

القدِّيس باسيليوس الكبير

هَلْ تَحْفُرُ جَمَاعَةُ الصَّيَّادِينَ لأَجْلِهِ حُفْرَةً،

أَوْ يَقْسِمُونَهُ بَيْنَ الْكَنْعَانِيِّينَ؟ [6]

إذ كان لوياثان مصدر رعب، ويمثل خطرًا عظيمًا، لم يهتم الصيادون باقتناصه بأية وسيلة، إذ متاعب صيده لا توازي مكاسبهم إن قسموه بين التجار.

يقصد بالجماعة هنا جماعة الصيادين الذين يشتركون معًا لاقتناصه في شبكة أو فخٍ معين.

"**يَقْسِمُونَهُ بَيْنَ الْكَنْعَانِيِّينَ؟** " جاء في الترجمة السبعينية: "هل تتغذى الأمم عليه؟" وجاء في الفولجاتا: "هل يَّقطعه الأصدقاء؟"

عُرف الكنعانيون كتجارٍ، فهل يقومون بتقسيمه أجزاء، ليبيعوه؟

أَتَمْلأُ جِلْدَهُ حِرَابًا،

وَرَأْسَهُ بِإِلاَلِ السَّمَكِ؟ [7]

يُصطاد السمك الكبير عادة بالحراب، لكن يصعب صيد التمساح بالحراب، لأنه لا يمكن جرحه بالحربة إلا إذا أصابته في بطنه التي يصعب بلوغها. فظهره مغطى بحراشيف قوية للغاية لا يمكن للحربة أن تخترقها.

هنا يلمح إلى آلة تمثل حربة على شكل سمكة لها لسانان، كثيرًا ما توجد منقوشة على الآثار المصرية. هذه الحربة كانت عبارة عن عصا رفيعة طولها ما بين عشرة وأثنى عشرة قدمًا، بها ريش مزدوج في النهاية مثل السهم الحديث. ولها طرفان حادان طولهما حوالي قدمين

[1] *An Introduction to the Ascetical Life, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 10-11).*

يطوقهما سمكة. يدفع صياد السمك بها في نهر النيل وهو في قارب مسطح بين قصب البردي ونبات اللوتس عندما يرى فريسته التي بها زعانف ويسحب الآلة بيده اليمنى ويحركها على شكل قوس بيده اليسرى [1].

ضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ.
لاَ تَعُدْ تَذْكُرُ الْقِتَالَ! [8]

يلزم الطوباوي أيوب مهما كان بره أن يتذكر المعركة التي دارت بينه (في شخص أبويه آدم وحواء ونسلهما) وبين الشيطان، فبسبب مرارتها لا يحاول الإنسان أن يدخل مرة أخرى في معركة مع هذا التمساح. يقول له: ألمسه إن كنت تجرؤ على ذلك. جيد لكن تتذكر المعركة السابقة قبل أن تبدأ في المحاولة للقيام بمعركة جديدة، وإلا كانت النتائج وخيمة.

- تنبأ أيوب القديس عن مجيء الرب، الذي قال عنه بالحق أنه يهزم لوياثا ن العظيم (أي 41: 8)، وقد حدث! فقد ضرب لوياثا ن المرعب، الشيط ان، وطرحه إلى أسفل، وأذله في آخر الأزمنة بآلام جسده المكرّمة .

القديس أمبروسيوس

يحذر الله الطوباوي أيوب من الدخول في معركة بقوته الذاتية ضد إبليس، ظانًا أنه قادر أن يضع يده عليه، أي يتسلط عليه ويغلبه.

- ماذا لو أن الله القدير خفف الاثقال التي نحملها، لكنه يسحب عنا عونه، ويتركنا وسط تجارب لوياثان هذا؟ إلى أين نذهب عندما يثور عدو قوى ضدنا، إن لم نحتم بأية حماية لخالقنا؟

إن رأيت سيف المقاوم يهاجمك لا ترتعب من ضربات أب لك. فإنك ترى أن الضربات التي أضربك بها، لكنك لا تدرك خطورة العدو الذي أحررك منه بواسطة ضرباتي لك. .. إذن لتحتفظ أكثر فأكثر بالصمت وأنت تحت تأديب أب، فترى بالأكثر أنك ضعيف بالنسبة لهجمات العدو. عندما تُضرب بإصلاحي لك، لكي ما تقتني الصبر وأنت تحتمله، تذكر عدوك ولا تحسب ما تعانيه بالأمر الشاق، فبالآلام الخارجية تتحرر أنت من الآلام الداخلية.

---

[1] *James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, Logos International Plainfield. N J, 1972, p. 215.*
[2] *Of the Christian Faith, 5:2:30*

البابا غريغوريوس (الكبير)

هُوَذَا الرَّجَاءُ بِهِ كَاذِبٌ.
أَلاَ يُكَبُّ أَيْضًا بِرُؤْيَتِهِ [9].

ليس من رجاء للغلبة عليه، إذ هو رجاء باطل. فما أن يتطلع الإنسان إلى هذا العدو حتى يسقط. مجرد التطلع إليه ينزع عن الإنسان رجاءه وشجاعته. هذا ما يحدث عند التطلع إلى التمساح.

❖ لا تتحقق النصرة بكمية المال ولا بالاعتزاز بالقوة، ولا بعلو المجد، إنما يهب الرب عونه مجانًا للذين يطلبونه بالأحزان المكثفة. هكذا كان بولس الذي حمل أحزانه، موضوع فخره. لهذا صار قادرًا أن يقول: "**حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي**"...
أترون إلى أين تقودكم الأحزان؟ إلى **الرجاء الذي لا يخيب** (رو 5: 3)[1].

القديس باسيليوس الكبير

❖ لا ندع اليأس يتملكنا، إذ لنا حوافز كثيرة في رجاء صالح، حتى وإن أخطأنا كل يوم، فلنتقرب إليه، متوسلين ومتضرعين، طالبين المغفرة من خطايانا، لأنه هكذا نبتعد عن الخطية أكثر، كلما حان الوقت العتيد الآتي، وهكذا نطرد الشيطان، ونستدعي محبة ورأفات الله، وننال بركات الدهر الآتي بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للإنسان .

القدِّيس يوحنا الذهبي الفم

لَيْسَ مِنْ شُجَاعٍ يُوقِظُهُ،
فَمَنْ يَقِفُ إِذًا بِوَجْهِي؟ [10]

ليس من إنسان حكيم يثير التمساح، وإن يدخل معه في معركة، فكيف يقف أمام الله نفسه كخصمٍ ويقاوم خطته وأحكامه وحكمته. إن كان هذا هو الموقف مع مخلوق أوجده الله ليكون تحت قدمي الإنسان الذي وهبه الله سلطانًا على الخليقة، فكيف يأخذ الإنسان موقف التمرد على خالقة؟ من يقدر أن يقف أمام الله في غضبه؟

❖ يقصد بالقوي الشيطان، وما هو بيته إلا مملكته على الأرض، وأما أمتعته فهي أولئك الناس الذين يتشبهون بإبليس أبيهم في شرورهم وأعمالهم. وكما أننا ندعو القديسين أوانٍ مقدسة

---

[1] *Hom. 20 On Ps. 59.*
[2] *Homilies on Matthew, 22:8.*

وأمتعة مكرسة، كذلك يمكن تسمية الأشرار أمتعة إبليس وآنيته، لأنهم يشتركون معه في الخبث والشر. دخل المسيح الكلمة وحده بيت إبليس، هذا العالم الأرضي، و ربط الشيطان، في "سلاسل الظلام وطرحه " (2 بط 2: 4). خلص لاوي فلم يعد بعد أسيرًا في مملكة الشيطان، وأصبح بتوبته جديرًا بالبركات الإلهية، فنتعلم أن التوبة هي السبيل السوي للخلاص والفداء، فقد قيل: "التفتوا إليّ وأخلصوا يا جميع أقاصي الأرض " (إش 45: 22)[1].

❖ حسبك ما أشار به حبقوق وهو يندد بأعداء الرسل: "ويل للمُكثر ما ليس له، وللمثقِل نفسه رهونًا، ألا يقوم بغتة مقارضوك، ويستيقظ مزعزعوك، فتكون غنيمة لهم" (حب 2: 6). فقد جمع الشيطان في حظيرته كل سكان الأرض وهم ليسوا له، وجعلهم يسجدون له، ويعبدونه، فتثقَّل وتعظَّم، ولكن استيقظ البعض ليسلبوه غنائمه، فقد ألقى الرسل بشبكة تعليمهم على المأسورين والخطاة، فرجعوا بها إلى الله مملوءة بأهل العالم قاطبة.

القديس كيرلس الكبير

❖ "يقضي لمساكين الشعب، يخلص بني البائسين، ويسحق **المفتري**" (مز 72: 4). بحق يُدعى الشيطان "**المفتري**"، فقد افترى على كل من الله، فبسبب الحسد ادعى أن الله، منع الأكل من شجرة (معرفة الخير والشر)، وافترى على أيوب بأكاذيب، قائلاً "هل حقًا مجانًا يتقى أيوب الله؟... أبسط يدك الآن، ومس كل ما له، فإنه في وجهك يجدف" (أي 1: 9، 11). في المزمور الثامن أعطاه اسمي "عدو ومنتقم"، بينما يدعوه هنا (مز 72: 4) مفتريًا[2].

ثيؤدورت أسقف قورش

2. وصف لوياثان

مَنْ تَقَدَّمَنِي فَأُوفِيَهُ؟

مَا تَحْتَ كُلِّ السَّمَاوَاتِ هُوَ لِي [11].

يرى البعض أن العبارة هنا تعني: "**من يصنع إحسانًا فأرده له؟**"

يرى آخرون أنه يقصد من يستطيع أن يتنبأ مقدمًا عما سيحدث. فإن كان الإنسان لا

---

[1] *In Luc hom 21.*
[2] *In Luc hom 23–24.*
[3] *Commentary on Ps.72.*

يقدر أن يتنبأ مقدمًا بما سيحدث وهو يصطاد وحشًا كاسرًا، فكيف يظن أنه قادر أن يخضع الخالق نفسه، أو يرد له إحساناته؟ من يظن أن قادر أن يهبني شيئًا، وأنا مالك كل شيء؟ يليق بالإنسان أن يخضع للخالق، ويقبل كل شيء بشكرٍ.

لاَ أَسْكُتُ عَنْ أَعْضَائِهِ،

وَخَبَرِ قُوَّتِهِ وَبَهْجَةِ عُدَّتِهِ [12].

هنا يبدأ في تقديم وصف تفصيلي عن لوياثان الذي سبق فتحدث عنه في هذا الأصحاح بصفة عامة. يقول: إنني لا أستطيع أن أصمت عن الحديث عن فمه وأسنانه وحراشيفه وجفون عينيه وفتحات أنفه، ورقبته، وقلبه.

لم يُصف الحيوان المشار إليه هنا لإبراز جماله، وإنما كمن له قوة عظيمة وشرس للغاية: "**خبر قوته، وبهجة (نعمة) عدته** "، أو جمال أسلحته. موضوع حديثه ليس جمال الحيوان، وإنما أسلحة دفاعه.

مَنْ يَكْشِفُ وَجْهَ لِبْسِهِ،

مَنْ يَدْنُو مِنْ مَثْنَى لَجَمَتِهِ؟ [13]

ليس من يقدر أن يكشف وجه لباسه أو غطاءه، إي ينزع ثوبه القاسي المخادع، لكي يرى جلده الداخلي، ولا من يجسر أن يضع لجامًا لفكيه كما يحدث مع الحيوانات الأخرى عند تلجيمها. ليس ممكنًا أن يجسر ويأتي بلجامٍ مضاعف لضبط صفيّ أسنانه.

❖ لوياثان هذا يجرب أذهان المتدينين بطريقة ما، وأذهان الذين تكرسوا لهذا العالم بطريقة أخرى. فهو يقدم علانية للأشرار الشرور التي يشتهونها، ولكنه يلقى خفية الشباك للصالحين ، ويخدعهم تحت مظهر القداسة... لهذا فإن الرسول بولس، إذ رأى البعض يكرسون أنفسهم لخدمة بطونهم تحت ثوب الكرازة، يقول: "لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور، فليس عظيمًا إن كان خدامه أيضًا يغيرون شكلهم كخدامٍ للبّر" (2كو 11: 14). خشي يشوع هذا التغيير عند رؤيته ملاكًا فسأله من أي جانب هو، قائلاً: "هل لنا أنت أو لأعدائنا؟" (يش 5: 13).

البابا غريغوريوس (الكبير)

مَنْ يَفْتَحُ مِصْرَاعَيْ فَمِهِ؟

دَائِرَةُ أَسْنَانِهِ مُرْعِبَةٌ [14].

يدعو فمه "**مصراعي فمه**"، فإنه كبابٍ له مصراعان.

ينطبق هذا بالأكثر عن التمساح، فيقول Bochait أن أسنان التمساح تبلغ الثلاثين، وهو عدد كبير وأحجامها كبيرة أن قورنت بحجم جسمه، بعضها يبرز من الخارج، والبعض مسنن كالمنشار، متى امسك بالفريسة لا تقدر أن تنجو منه.

جاءت الترجمة السبعينية: "**من يفتح مصراعي وجهه؟**"

❖ "مصراعًا وجهه" هم المعلمون الأشرار الذين يدعون أبواب وجهه، إذ يدخل كل واحدٍ خلالهم حتى يُرى لوياثان هذا كما لو كان قوته الملوكية... فإذ تُقبل كرازتهم الباطلة، ينفتح باب الهلاك للسامعين البائسين.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَخْرُهُ مَجَانٌ مَانِعَةٌ مُحَكَّمَةٌ مَضْغُوطَةٌ بِخَاتِمٍ [15].

صفوف حراشيفه مثل دروع تغطيه، يضم جسمه 17 صفًا، ليس من إمكانية لاختراق جسمه إلا عن طريق عينيه أو حنجرته (حين يفتح فمه)، أو بطنه.

يرى Umbreit و Prof. Lee إن كلمة " **فَخْرُهُ**" هنا في الأصل العبري geewoh وهي مثل gewah أو gevah التي تعني ظهرًا back حيث يتغطى ظهر التمساح بالحراشيف.

إذ يغلق التمساح فمه يصير كما لو كان مختومًا بالشمع، فلا يتسرب هواء من بين فكيه ومن بين أسنانه.

❖ الشيطان قاسٍ وعديم الشفقة، وفي أعماقه لا يهدأ أبدًا، لأن الكتاب المقدس يقول عنه: " **قلبه قاسٍ كالحجر، وهو يقف مثل سندان الحداد الصلب** " (أي 41: 15 *LXX*). لكن القديسين وطأوه تحت أقدامهم بقوة المسيح، لأنه قال: "ها أنا أعطيكم سلطانًا لتدوسوا الحيات والعقارب. وكل قوة العدو، ولا يضركم شيء" (لو 10: 19). لذلك يقول المسيح "الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك" [1].

القديس كيرلس الكبير

الْوَاحِدُ يَمَسُّ الآخَرَ،
فَالرِّيحُ لاَ تَدْخُلُ بَيْنَهَا [16].

---

[1] *Commentary on Luke, Homily 144.*

كُلٌّ مِنْهَا مُلْتَصِقٌ بِصَاحِبِهِ،
مُتَجَمِّدَةٌ لاَ تَنْفَصِلُ [17].

❖ حراشف الخطاة صلبه ومترابطة معًا، حتى تبدو أنه لا تقدر أية نسمة حياة أن تخترق فم الكارزين. فإن الذين يمارسون ذنوبًا مشابهة يجتمعون معًا، في دفاع شرير، يصيرون معًا في اتفاقٍ عنيدٍ، حتى يحمي الواحد الآخر بدفاعٍ مشتركٍ عن خطاياهم. إذ يخاف كل واحدٍ على نفسه عندما يرى غيره يُنتهر أوّ بُقوَّم... وإذ يحمون بعضهم البعض في شركة في شرورهم بدافعهم الشرير لا يسمحون لنسمة النصح المقدس أن تبلغ إليهم بأية وسيلة... الاتحاد يقوي الانحراف، ويجعلهم بالأكثر غير قابلين للتقويم، وبالتالي يصيرون متفقين معًا بالإجماع.

البابا غريغوريوس (الكبير)

عِطَاسُهُ يَبْعَثُ نُورًا،
وَعَيْنَاهُ كَهُدْبِ الصُّبْحِ [18].

الحيوانات البرمائية تغطس في المياه تكتم أنفاسها لمدة طويلة وفجأة تتنفس بقوة فتكون كما لو كانت تعطس، بينما توجه أعينها نحو الشمس فتبدو كما لو كانت تشع نارًا، أو تطرد النفس فيبدو كما لو كان أشعة شمس.

"**هدب (جفون) الصباح**": يبرز المصريون عيني التمساح إلى قدام وكأنها تشير إلى الصباح المبكر. عندما يصعد التمساح إلى السطح أول ما يبرز منه هو عيناه قبل كل جسمه فيكون كظهور الصباح.

يرى البعض أنه إذ يبقى التمساح مدة طويلة تحت الماء يصعد إلى السطح ليطرد باندفاع قوي الماء من فتحتي انفه، فتظهر كأنها قوس قزح.

حين يكون التمساح في الماء تظهر عيناه باهتتين أو كليلتين أما عند صعود نحو السطح فتظهران متألقتين جدًا.

❖ **قال أنطونيوس:** تظهر الشياطين غالبًا على هذا النحو، كما كشف الرب لأيوب بقوله: عيناه كهدب الصباح، ومن فمه تخرج مصابيح مشتعلة، وشرار نارٍ يتطاير منه. من منخريه يخرج دخانًا من قدرٍ منفوخٍ أو من مرجلٍ. نَفَسَه يشعل الجمر، واللهيب يخرج من فمه" (أي 41: 18-21). هكذا يظهر رئيس الشياطين، كما قلت سابقًا، مرعبًا، ومتكلمًا

بافتخارٍ وعجرفةٍ، كما أدانه الرب حين قال لأيوب: "**يحسب الحديد كالتبن، والنحاس كالعود النخر**" (أي 41: 27). "يحسب البحر كأنه حمام ماءٍ، وقعر الهاوية كأنه أسير له، واللجة كأنها ممر له (أي 41: 24–25). وكما قال على لسان نبي: "وقال العدو: أتبعهم فألحقهم" (خر 15: 9). وقال على لسان نبي آخر: "سأقبض بيدي على المسكونة كلها، مثلما أقبض على العش، وسأرفعها كما يرفع المرء البيض المهجور" (إش 10: 14). هذه الأمور تفتخر بها الشياطين، ويعدون بها الذين يتقون الله ليخدعوهم. لذا لاق بنا نحن المؤمنون ألا نخاف من ظهورات (إبليس) ولا نأبه بكلماته، لأنه كذاب ولا يتكلم بالصدق أبدًا [1].

القديس أثناسيوس الرسولي

مِنْ فَمِهِ تَخْرُجُ مَصَابِيحُ.
شَرَارُ نَارٍ تَتَطَايَرُ مِنْهُ [19].

يوصف الحيوان هنا كمن يتقيأ نارًا، فإنه إذ يفتح فاه وتظهر أنيابه، يبث نارًا على من هم حوله. أو كمن يتنفس فيُخرج نسمات عنيفة نارية تقتل الفريسة وتحرقها.

❖ تصدر المصابيح عن فمه، إذ يشعل (المعلمون الأشرار) عقول سامعيهم بمحبة الآراء الخاطئة، وبينما يبدو كأنهم مشرقون بالحكمة إذا بهم يحرقون بالشر.

البابا غريغوريوس (الكبير)

مِنْ مِنْخَرَيْهِ يَخْرُجُ دُخَانٌ،
كَأَنَّهُ مِنْ قِدْرٍ مَنْفُوخٍ، أَوْ مِنْ مِرْجَلٍ [20].

ينطبق هذا التشبيه على الفرس المستخدم في المعارك، أنها تُخرج من أنوفها دخان نار حارق.

❖ نسمة لوياثان المكثفة تخرج من فتحتي أنفه، لأن شر كبريائه يصدر بقوة من نفخات خبثه الواضحة... يُقال عن الدخان أنه يخرج من فتحتي الأنف، وذلك بخداع معجزاته، الذي يولد شكًا إلى لحظة، حتى في قلوب المختارين. يخرج الدخان من فم لوياثان من أجل العجائب الكاذبة حتى يوجد ضباب مرتر يفسد أعين حتى أصحاب العقول الصالحة.

البابا غريغوريوس (الكبير)

---

[1] *Vita antonii, 24.*

نَفَسُهُ يُشْعِلُ جَمْرًا،

وَلَهِيبٌ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ [21].

استخدم ذات الوصف الشعري عند الحديث عن غضب الله (مز 18: 8).

❖ ما هو هذا الذي يدعوه جمرًا إلا أذهان الناس الفاسدين، الملتهبة بالشهوات الأرضية؟ إنهم يكونون على نارٍ عندما يطلبون أي أمرٍ زمن يٍ، بالتأكيد لأن اشتياق اتهم التي لا تسمح لأذهانهم أن تكون في هدوء واتزان تلهبهم. نسمة لوياثان تلهب الجمر عندما تقو ي اقتراحاته السرية عقول البشر نحو الملذات الشريرة.

إن نسمته أشعلت البعض بمشاعل الكبرياء، وآخرين بالحسد، وآخرين بالشهوة، وآخرين بالطمع. ألهب مشعل الكبرياء في ذهن حواء، عندما اقترح عليها أن تستخف بكلمات وصية الرب. وأشعل ذهن قايين بلهيب الحسد عندما حزن لقبول ذبيحة أخيه، حتى بلغ إلى ارتكاب خطية قتل الأخ. أشعل قلب سليمان بمشاعل الشهوة، هذا الذي غلبه بمحبة النساء، وقادته إلى عبادة الأصنام، ونسي تقديم الكرامة اللائقة بخالقه عندما اجتذبته ملذات الجسد. أيضًا ألهب ذهن أخآب بحب الطمع عندما حثه– في تعجلٍ– أن يطلب كرم الغير، ودفعه هذا إلى جريمة القتل.

لهيب الفم بالحق هو بعينه تقديم اقتراح سري.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فِي عُنُقِهِ تَبِيتُ الْقُوَّةُ،

وَأَمَامَهُ يَدُوسُ الْهَوْلُ [22].

"**فِي عُنُقِهِ تَبِيتُ الْقُوَّةُ** "، أي أن القوة تقيم على الدوام هناك. بينما تستقر القوة حول عنقه، إذ ينفث رعبًا يتهلل الرعب ويرقص طربًا قدامه، ينشر الرعدة على من هم حوله.

❖ نفهم من هذه الكلمات أنه يوجد ملك واحد، وهو خالق الكون كله. بينما على الجانب الآخر يوجد **رئيس هذا العالم** الذ ي يسمى نفسه ملك الظلمة. تخدم ربوات من الملائكة الملك الحقيقي، بينما يلتف حول رئيس قوى الظلمة ربوات من الشياطين (كو 13:1). تتبع الرئاسات والسلاطين والفضيلة ملك الملوك ورب الأرباب. وفي الآخرة حين يُسلم المسيح المُلك لله الآب بعد أن يكون قد أباد كل رئاسة وكل سلط ان وكل قوة للعدو، فإنه لابد أن

يملك إلى أن يضع جميع الأعداء تحت موطئ قدميه (1 كو 24:15، 25)[1].

القديس غريغوريوس النيسي

❖ ماذا تعنى الرقبة التي للوياثان هذا سوى بسط كبريائه، حيث يتشامخ على الله، مع التظاهر بالقداسة، كما ينقخ بكبرياء السلطة؟ يشهد النبي إشعياء عن هذا الكبرياء المُعبر عنه بالرقبة هذا الذي وبخ بنات أورشليم قائلاً: "يمشين ممدودات الأعناق" (إش 3: 16). يقال إن القوة تبقى (تبيت) في الرقبة التي للوياثان هذا، وبسبب السلطان ا لذي أضريف إلى كبريائه. فإنه يواصل كبريائه المتشامخ وكل خططه الخبيثة بقوة سلطانه الزمني.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ بمثل هذه الكلمات (يو 31:12؛ 30:14؛ 11:16) يشير إلى الشيطان **كرئيس** ليس على خلائق الله، بل على الخطاة، هؤلاء الذين يشير إليهم هنا باسم " **هذا العالم**". عندما يستخدم اسم "العالم" بمعنى الشرير. يشير السيد فقط إلى محبي هذا العالم، الذين كُتب عنهم في موضع آخر: "محبة العالم عداوة لله" (يع ٤: ٤). **حاشا لنا أن نفهم الشيطان أنه رئيس العالم كمن يسيطر على تدبير أمور كل العالم، السماء الأرض وما فيهما** . مثل هذا العالم قيل عنه عندما تحدثنا عن المسيح الكلمة: "كوّن العالم به" (يو ١: ١٠). العالم كله من أعلي السماوات إلى أسافل الأرض يخضع للخالق ليس للهارب؛ للمخلص لا للمخرب؛ للمنقذ لا للمستعبِد؛ للمعلم لا للمخادع .

❖ أما رئيس هذا العالم (الشيطان)، المسيطر حيثما وجد الضلال والاضطراب، فيبتعد عن إنسان تسود حياته السلام والترتيب الكامل ويسيطر عليها ابن الله. فعندما ينشأ هذا السلام من الداخل ويثبت، فإن جميع الاضطهادات التي يثيرها رئيس هذا العالم من الخارج، **لا تستطيع أن تهز شيئًا من ذلك البناء الداخلي** ، بل تؤدي قوة البناء من الداخل إلى فشل مكائد إبليس من الخارج. لذا أكمل الرب قائلاً : "**طوبى للمطرودين من أجل البرّ. لأن لهم ملكوت السماوات**"[2].

❖ **لأنهُ إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن**

---

[1] *Homilies on Song of Songs, 14.* ترجمة الدكتور جورج نوّار

[2] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 79: 2.*

[3] *Sermon on the Mount, Book 1:2:9.*

تخدموا **الله والمال**[آ]. فمن يعبد المال يخدم الشيطان الذي لقبه ربنا **(رئيس هذا العالم)** وذلك لسيطرته بضلاله على الأشياء الأرضية" فالإنسان إما أن "يبغض" هذا الواحد "ويحب الآخر" أي الله. أو يلازم الواحد "الشيطان" ويحتقر الآخر "الله". **لأن من يخدم المال يخضع للشيطان القاسي المهلك** . فإذ يرتبك بشهوته للمال يخضع للشيطان ويلازمه رغم عدم محبته له، لأنه من منا يحب الشيطان؟! ويكون بذلك يشبه إنسانًا أحب خادمة لدى شخص عظيم، فبالرغم من عدم محبته لسيدها إلا أنه يخضع لعبوديته القاسية بسبب محبته للخادمة .

القديس أغسطينوس

مَطَاوِي لَحْمِهِ مُتَلاَصِقَةٌ،
مَسْبُوكَةٌ عَلَيْهِ لاَ تَتَحَرَّكُ [23].

عادة طبقات اللحم التي عند العنق وعند البطن رخوة وضعيفة، أما هذا الحيوان فإن طبقات اللحم عند رقبته متلاصقة، مسبوكة كما من الحديد، قوية.

يا لها من صورة بشعة، فكما ينمو جسد الم سيح ليضم كل يوم نفوس تتمتع ببرّ المسيح وقداسته وتصير شريكه معه في المجد، هكذا ينمو أيضًا جسم إبليس ليضم من هم أكثر شرًا من السابقين، ويتلاحم الكل معًا كمط اوي لحم إبليس المتلاصقة معا، وكأنها صارت كتلة واحدة كالحديد مسبوكة معًا لا تتحرك نحو التوبة والرجوع إلى الله. اتحاد الأشرار معًا مفسد للنفوس، يغلق الباب أمام الكثيرين للتفكير في جدية نحو التمتع بالحق الإلهي.

إن كان السيد المسيح قد ضمنا إليه لنكون أعضاء جسده الواحد، وذلك بتمتعنا بالإيمان به، وولادتنا بالروح أبناء لله في مياه المعمودية. رسالتنا أن نضم بالحب كل يوم الذين يخلصون ويتمتعون معنا بالشركة معه في الحياة الجديدة المقامة التي وهبنا إياها. هكذا فإن **مطاوي جسم الشيطان هم الذين قبلوا البنوة له** ، واتحدوا معه خلال أعماله، وهم لا يكفون عن سحب الكثيرين معهم ليكونوا أعضاء في جسم إبليس يشاركونه مصيره الأخير أكثر منهم فالشرير يُسر حين يضم معه من يصير أشر منه.

❖ جسم لوياثان (الأشرار فعلاً) كله فاسد، إذ ليس لديهم اشتياق نحو مدينتهم الروحية.

[آ] إله المال.

[2] *Sermon on the Mount, Book 2:47.*

مطاوي جسم لوياثان هم الذين ينضمون إلى هؤلاء الأشخاص في حياة شريرة، بل ويسبقون الأولين في طريق الشر... في جماعة لوياثان هذا الشريرة، هؤلاء هم أعضاء جسمه الذين بأفعالهم الشريرة يضمون إليه من هم يصيرونهم أكثر شرًا منهم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

قَلْبُهُ صُلْبٌ كَالْحَجَرِ،
وَقَاسٍ كَالرَّحَى [24].

يقول السيد المسيح: "إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم" (مت 3: 9). ما هي هذه الحجارة التي تهب لإبراهيم أولاداً سوى عبدة الأصنام، الذين يعبدون الحجر، وأبناء إبليس الذين يحملون قلبه الصلد الحجري (أي 41: 24)، ليصيروا أولاد الله حاملين إيمان إبراهيم.

يرى البعض أن الحيوانات المفترسة الضخمة، مشاعرها ضعيفة، وقلبها قاسٍ إن صح التعبير، لا تبالي بصرخات الفريسة، والدماء المسفوكة منها وهي بين أنيابها.

يختار هنا حجر الرحى السفلي، لأنه يلزم أن يكون أقسى وأثقل من الحجر العلوي، حتى يحتمل حركة الحجر العلوي وضغطه عليه.

ربما يتساءل البعض: ألا تُعطى فرحته للشيطان أن يتوب؟ منذ سقوطه وهو ليس فقط في تصميم على مقاومة الله، وإنما يتزايد عنفًا في موقفه، بل ويثير البشرية للتشبه به، ومشاركته عنفه وقسوة قلبه، فمع الزمن يمتلئ بالأكثر كأس شره ولا يبالي بالعقاب الأبدي أنما يجد مسرته أن يشاركه بنو البشر هذا المصير.

❖ قلب العدو القديم سيبقى كالحجر، فإنه لن يلين بأية ندامة للتوبة. إنه سيتهيأ فقط لنفخات العقوبة الأبدية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ إنه عنيف، لا يعرف الشفقة ولا يمكن تهدئته في القلب. وكما يقول عنه الكتاب المقدس: "**قلبه قاسى كحجر، يقف كالسنديان لا يُضرب**" (*LXX* 24:41). لكن المسيح يضعه تحت أقدام القديسين. يقول: "ها أنا أعطيكم سلطانًا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة ا لعدو، ولا يضركم شيء" (لو 19:10)[1].

[1] *Commentary on Luke, homily 144.*

القديس كيرلس الكبير

❖ هكذا أيضًا يُغير الشيطان نفسه في شكل ملاك نور (كو 14:11)، لا لكي يصعد مرة أخرى إلى حيث كان، إذ **قلبه صلب كالسنديان**[1]، فصارت إرادته عاجزة عن أن تتوب. إنما يفعل هذا بقصد إغراق السالكين في حياة ملائكية في ظلمات العمى والكفر المهلك.

ذئاب كثيرة تجول في ثياب حملان (مت 15:7)، نعم ثيابها ثياب حملان ، وليس حوافرها أو أسنانها. وإذ هم يسيرون في الجلد الناعم يخدعون الأبرياء بمظهرهم، فيبثون فيهم من أنيابهم سم الدنس المهلك .

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ إنني سأعلن في ثقة أنه يوجد من لا يتأثر كثيرًا بواسطة " **مطرقة الأرض كلها**". وحيث أن المثال قد قدم عن مطرقة يمكن إدراكها، ابحث عن مادة أقوى من المطرقة لا تتأثر بضرباتها. بالبحث عنها وجدتها فيما كتب: "أنظر إنسانا يقف فوق الحصون من الأدمنت (حجر صلب كان يُظن أنه لا يُقطع، وقد ظن البعض أنه الماس). يسجل التاريخ عن الأدمنت أنه أقوى من كل مطرقة تضربه، إذ لن ينكسر ولا يلين. حتى إن كانت المطرقة هي إبليس يقف عليها، والحية التي بسنديانها الذي لا يُقهر تضعه تحتها، لكن الأدمنت لا يتأثر قط متى استقر في يد الله وتحت رعايته. هكذا فإن المقاومين للأدمنت هما المطرقة والسنديان الذي لا يتحرك. غير أنه يوجد بالحقيقة مثل شائع جدًا عند الأمم في اللغة العامية بخصوص الذين يعانون من القلاقل والظروف الصعبة للغاية. يقولون: إنهم بين المطرقة والسنديان. إلا أنه يمكن القول أن هذا يشير إلى الشيطان والحية، اللذين دائمًا يُقصدان بمثل هذين الاسمين في الأسفار المقدسة لأغراض متباينة. ويمكنك القول أن الشخص المقدس الذي هو حصن أدمنتي أو أنه أدمنت في يد الرب لا يتأثر لا بالمطرقة ولا بالسنديان، بل كلما ضرب ازداد بهاء فضيلته المشرقة[2].

❖ يقول: "هكذا أراني وإذا الرب واقف على حائط صلد (ماسي)، وفي يده كان صلدًا " (عا 7: 7 *LXX*). فإن كان الشيطان هو مطرقة صلدة من فوق والتنين مثل السندان الصلد (أي

---

[1] راجع أي 24:41 الترجمة السبعينية، وقد أُستخدم هذا النص في الرد على الأفكار الأوريجانية القائلة عن الشيطان أنه يمكن أن يخلص.

[2] *Catechetical Lectures, 4:1.*
[3] *Homilies on Jeremiah 27:3.*

41: 15) قائم من أسفل، يكون صلدًا من هو في يد الرب وتحت حمايته فلا يستسلم قط. فإن الإنسان القديس هو حائط صلد، وإذ يبقى في يدي الرب لا يعاني شيئًا حتى وإن وضع بين المطرقة (إبليس) والتنين (السندان). وكلما نزلت عليه الطرقات تصير فضيلته أكثر بهاءً. فالشيطان إذ يجهل هذا النوع من الصخور (الصلدة) يود أن يحللها بضربات كثيرة كمطرقة صلدة، لكن الله وحده يعرف طبيعتهم جيدًا [1].

العلامة أوريجينوس

عِنْدَ نُهُوضِهِ تَفْزَعُ الأَقْوِيَاءُ.
مِنَ الْمَخَاوِفِ يَتِيهُونَ [25].

عند نهوضه للهجوم أو الدفاع عن نفسه يرتعب أمامه الأقوياء، فمن الخوف تنهار أفكارهم فيتيهون، أو يضلون الطريق. يحاولون الهروب منه فلا يعرفون إلى أين يذهبون.

سَيْفُ الَّذِي يَلْحَقُهُ لاَ يَقُومُ
وَلاَ رُمْحٌ وَلاَ حَرْبَةٌ وَلاَ دِرْعٌ [26].

لا يستطيع السيف أن يلحقه، حيث لا يقدر أن يحطم حراشيفه. وإذا صُوِّبت ضده الرماح ترتد دون أن تخترق حراشيفه.

❖ حربة الكرازة المقدسة رقيقة، عندما نُضرب بها نموت عن الخطية. أما سيف الدعوة الشيطانية فخبيثة، بها يُصاب الإنسان بجراحات قاتلة حتى يحرم من استقامة الحياة...

البابا غريغوريوس (الكبير)

يَحْسِبُ الْحَدِيدَ كَالتِّبْنِ،
وَالنُّحَاسَ كَالْعُودِ النَّخِرِ [27].

يقصد بالحديد والنحاس الأسلحة المعدنية المستخدمة لمقاومته، إنها أشبه بالقش والخشب والسوس لا قوة لها.

ما يشغل فكر إبليس ليس مصيره المُر، وإنما كيف يجتذب نفوس البشر إلى الشر، خاصة نفوس المؤمنين، فإن رأى نفسًا قوية كالحديد وصلد ة كالنحاس، يوجه سهام شره حتى يتحول الحديد إلى قشٍ (تبن)، والنحاس إلى عود خشب هزيل. يركز العدو ضرباته بالأكثر من

[1] *Fragments from Catena (on Jerm.), 30.*

الكارزين والشاهدين للحق الإنجيلي، والعاملين في كرم الرب.

❖ عندما يمسك لوياثان هذا بذاك السيف الذي تدعوه الأسفار المقدسة "ضد المسيح"، لممارسة شره، يحول الحديد إلى قشٍ ، والنحاس إلى خشبٍ ، ما لم تتدخل النعمة الإلهية لتهب حماية منه، حتى لا يحول قوة الكارزين إلى قشٍ ويهلكهم بنار شره، ويجعلهم كالتراب بتحويل صبرهم إلى خشبٍ.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لاَ يَسْتَفِزُّهُ نُبْلُ الْقَوْسِ.

حِجَارَةُ الْمِقْلاَعِ تَرْجِعُ عَنْهُ كَالْقَشِّ [28].

يمكننا تفسير هذه العبارة أنها تخص المؤمن ، فإن كان عدو الخير يبذل كل الجهد لحث المؤمنين على الشر، معركته لا تتوقف قط ضد كنيسة المسيح، فإن المؤمن من جانبه لا يرهب هذه الحروب الشيطانية مادام مستترًا بالسيد المسيح، حاملاً سلاح الإيمان الحي. لا يرتعب من نبال قوس إبليس، ولا حجارة، فحجارة مقلاعه التي تصير أشبه بالقشٍ، لن تصيبه بأذيةٍ ما.

❖ إن قلت إن القوة المضادة قوية جدًا، وإن للشر سيادة كاملة على الإنسان، فإنك بهذا تنسب لله الظلم حينما يدين البشر بسبب خضوعهم للشيطان، لأن الشيطان قوي جدًا ويُخضع البشرية بقوة لا تُقاوم. **بهذا تجعل الشيطان أعظم وأقوى من النفس، ثم تقول لي لا تخضع للشيطان. هذا مثل معركة بين شاب وطفل صغير، فإذ ينهزم الطفل يُدان على هزيمته. هذا ظلم عظيم!** [أ]

القديس مقاريوس الكبير

❖ لا تخف إذن من الشيطان، حتى وهو بلا جسد، حين يقترب من الجسد. فإنه ليس من هو أضعف من ذاك الذي يقترب بهذه الكيفية مع أنه غير ملتحفٍ بجسدٍ، وليس أقوى من ذاك الشجاع الجريء حتى وإن حمل جسمًا قابلاً للموت!

القديس يوحنا الذهبي الفم

[أ] عظة 6:3.

[2] *Resisting the Temptation of the Devil, homily 2:4.*

يَحْسِبُ الْمِطْرَقَةَ كَقَشٍّ،

وَيَضْحَكُ عَلَى اهْتِزَازِ الرُّمْحِ [29].

لا يمكن لأية أداة أو سلاح أن يجرح التمساح، ولا لقوةٍ بشريةٍ أن تلحق به.

يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** إن هذه العبارة تنطبق على إبليس الذي ينتهره الرب ويوبخه، وكأنه يُضرب بمطرقةٍ، لكن في إصرار على شره لا يبالي بضربات المطرقة بل يحسبها كالقش، بل يضحك في سخرية بهذه الضربات.

هذا ينطبق أيضًا على الأشرار المتمسكين بشرورهم في عنادٍ، فإن الله يسمح بتأديبهم لعلهم يرجعون إليه، لكن هذه الضربات بمطرقة التأديب تصير بالنسبة لهم كالقش، ولا يرجعون إلى الحق الإلهي. إنهم كسيدهم الشرير – إبليس – لا يبالون باهتزاز الرمح الإلهي لتأديبهم.

❖ يهز الرب الرمح ضد لوياثان، إذ يهدده بحكمٍ قاسٍ لدماره. فإن اهتزاز الرُمح هو إعداد الموت الأبدي له بعقوبةٍ صارمةٍ. لكن الروح المعاند، إذ يستخف بخالق الحياة، حتى وهو يُهدد بموته يضحك على ذاك الذي يهز الرُمح. مهما كانت رؤيته المسبقة لمصيره المرعب القاسي يقترب إليه بحكمٍ حازم، فإنه لا يخشى حلوله عليه. وإنما كلما أدرك أنه عاجز عن الهروب من العذابات الأبدية أزداد في ممارسته الشر بأكثر عنفٍ.

البابا غريغوريوس (الكبير)

مرة أخرى إذ تنطبق هذه العبارة على المؤمن الحقيقي، فإن عدو الخير الذي يود أن يضعه على السندان ويضربه بالمطرقة ، يشَّكله على حسب هواه، فإن الله لا يمنع المطرقة، ويسمح له بوضعه على السندان، لكن تتحول ضربات المطرقة إلى قشٍ لا قيمة له، ولا تأثير له على فكر المؤمن وحياته.

الله لا يمنع تجارب الشيطان وإغراءاته، لكنه يهب مؤمنيه قوة، فتتحول التجارب إلى هباء، وينال المؤمن نصرة وإكليلاً.

تَحْتَهُ قُطَعُ خَزَفٍ حَادَّةٌ.

يُمَدِّدُ نَوْرَجًا عَلَى الطِّينِ [30].

ربما يشير هنا إلى حراشيف حادة وقاسية مثل قطع الخزف الحادة. يوجد في بعض أجزاء جسم التمساح حراشيف حادة، حتى عندما يستريح على الوحل الموجود على الشاطئ النهر يكون كمن هو مستقر على أسنان نورج حادة. ولعله يقصد أنه إذ يستريح على قطع

صخرية حادة أو حجارة مسكورة لا يشعر بتعبٍ أو أذية منها، إنما يكون كما لو كان مستريحًا على وحلٍ. ويرى بعض الدارسين أنه إذ تصوب حوله الرماح وغيرها من الأسلحة تتكسر وتتبعثر حوله، وكأنها قطع خزفية حادة ملقاة حوله. ويرى آخرون أن هذا الحيوان أن استراح على وحلٍ، فإنه عندما يترك المكان يترك أثار الحراشيف وكأنها أسلحة تركت آثارها على الوحل.

يَجْعَلُ الْعُمْقَ يَغْلِي كَالْقِدْرِ،
وَيَجْعَلُ الْبَحْرَ كَقِدْرِ عِطَارَةٍ [31].

بحركته السريعة تحت الماء يجعل النهر أو البحر أشبه بقدرٍ يغلي. إنه يجعل البحر أشبه بوعاء به عطور؛ هنا إشارة إلى رائحة المسك Musk التي تخرج من التمساح كما كانوا يظنون. يرى البعض أنه إذ يتحرك بقوة في أعماق البحر يثير الوحل الذي به، وذلك كما يحرك الإنسان وعاء العطر لكي يحمل الطيب الرائحة من الرواسب التي بالوعاء.

كلمة "**بحر**" هنا تشير إلى نهر النيل وذلك لاتساعه، فإلي يومنا هذا يُدعى في كثير من بلاد الصعيد "البحر". كما ينطبق أيضًا على نهر الفرات.

❖ ماذا يعني بالبحر سوى حياة المحبين للعالم، وماذا يعني بالعمق سوى أفكارهم العميقة الخفية؟ فإن لوياثان هذا يجعل هذا البحر العميق يغلي مثل قدرٍ، فإنه واضح جدًا أنه في أيام الاضطهاد الأخيرة يعمل على إثارة أذهان الأشرار ضد المختارين بلهيب القسوة.

حين تغلي الأطياب تخرج منها رائحة ذكية. سيخدع لوياثان قلوب الأشرار فيظنون أن مهما فعلوا من شرور عدم الإيمان، يحسبون أنهم يفعلونها من اجل الحق والإيمان المستقيم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

يا لخداع العدو الخبيث، إنه يثير الأشرار الذين يشبهون البحر ويسيطر على أفكارهم الدفينة ليحثهم على مقاومة أولاد الله بكل وسيلة، وإذ يقتلونهم يحسبون أنفسهم يقدمون خدمة لله، كقول السيد المسيح نفسه (يو 16: 2).

تغلي أعماقهم بالشر، ويحسبون أنهم يقدمون أطياب الحق برائحته الذكية، مقابل ما يقدمه السيد المسيح – الحق– في حياة أولاده ليقولوا مع الرسول بولس: "لأننا رائحة المسيح الذكية لله" (2 كو 2: 15).

يُضِيءُ السَّبِيلُ وَرَاءَهُ

فَيُحْسَبُ اللُّجُّ أَشْيَبَ [32].

بسبب سرعة حركته يترك وراءه رغاوى foam بيضاء، وذلك كما يحدث عند سير السفن السريعة وسط المياه. أثاره تبدو كشعر الإنسان المسن الأشيب.

كما يجعل السيد المسيح مؤمنيه الحقيقيين "نور العالم" يضيئون به على المحيطين بهم ليدخلوا بهم إلى مملكة النور، هكذا يخدع العدو أتباعه. إنه يظهر كملاك نور (2 كو 11: 14)، ويوحي لأتباعه أنهم يعرفون والحق ويضيئون السبيل، وصارت لهم حكمة خفية فصارت لحجمهم أو أعماقهم أشبه بالإنسان الأشيب صاحب الخبرة الطويلة والحكمة العملية.

❖ لا يستغرب أحد للهرطقات الموجودة اليوم، إذ أنها كانت منذ البدء وذلك لأن الشيطان يحاول بمهارة الخلط بين الكذب والحقيقية. وكما أن الله منذ البدء وعد الإنسان بخيرات كثيرة، كذلك الشيطان يُغري دائمًا بوعوده المخادعة. الله زرع لهم جنة عدن، وجاء الشيطان وقال لهم: "ستكونون مثل آلهة" وفي الواقع لم يقدر أن يعطيهم شيئًا، كل ما في الأمر أنه بهرهم بوعوده فقط. وهذا ما يفعله المخادعون [1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

لَيْسَ لَهُ فِي الأَرْضِ نَظِيرٌ،
صُنِعَ لِعَدَمِ الْخَوْفِ [33].

جاء في العبرية "**على الطين**". ليس من حيوان نظيره، أو أن الأرض لم تخرج حيوانًا مرعبًا من جهة قوته وعنفه وشجاعته وشراسته. كأنه خُلق لكي لا يخاف ولا يرهب أحدًا.

حقًا ليس لإبليس نظير على الأرض، وكما يقول **البابا غريغوريوس (الكبير)** مع معرفة البشر بسقوطه بسبب أفعاله، مع هذا فإنه لم يفقد إمكانياته الملائكية (قدراته التي حولها للشر)، فاجتذب الجنس البشري وأخضعه له. إنه يفاخر بقوة طبيعته التي استطاع بها أن يسيطر على البشر.

❖ هذا هو العدو الذي يجب أن نهرب منه. **فمن هو هذا الأسد الذي يتتبعنا ؟** ينبهنا القدِّيس بطرس ويقول لنا: " **إبليس خصمكم كأسدٍ زائرٍ يجول ملتمسًا من يبتلعه هو، فقاوموه راسخين في الإيمان**" (1بط 5: 8-9).

إذًا يوجد **أسد قد صعد من غابته:** فأين هي هذه الغابة؟ إنه سقط إلى أسفل. لقد نزل

---

[1] *In 2 Tim. hom. 8.*

إلى أسافل الأرض، إلى أعماقها.

أنت إنسان، **أنت أعلى من الشيطان،** لأنك على أي حال من الأحوال أفضل منه. أما هو فبسبب فساده قد هبط إلى أسفل.

فإذا ما خرج هذا الأسد من غابته أي من مكان عقابه (الجحيم)، فسيقال: "**قد صعد الأسد من غابته وزحف مهلك الأمم. خرج من مكانه ليجعل أرضك خرابًا**" (إر 4: 7). إنه يريد أن يدخل إلى **أرضك**، ويريد أن يفترس كل واحدٍ منا.

"**تخرب مدنك فلا ساكن. من أجل ذلك تنطَّقوا بمسو** ح". إذًا، بما أن الأسد قد صعد إليك ليهددك وليبيد أرضك، اَلبس المسوح، وابكِ وتنهد وتضرع إلى الله بالصلوات أن يُفني هذا الأسد ويُهلكه حتى تتخلص منه، ولا تسقط بين أنيابه. لأن هـ يحاول أن يصطادك عن طريق أذنيك، حين يلقي إليك بكلمات كاذبة محببة إل ى نفسك، لهجعلك تحيد عن طريق الحق. وهو يريد أيضًا أن يفترس قدميك ، وينزعهما من فوق أرض الحق. ليكن! **تمنطق بمسوحٍ**، واقرع صدرك، ابكِ، واصرخ صرخات الحرب حينما ترى العدو يهددك، حتى **يرتد حمو غضب الرب** عنك، لأنك تكون قد دخلت إل ى **المدينة الحصينة**. فلنشكر الله الذي ينقذنا في المسيح يسوع الذي له المجد والقدرة إلى أبد الآبدين آمين [آ].

العلامة أوريجينوس

يُشْرِفُ عَلَى كُلِّ مُتَعَالٍ.

هُوَ مَلِكٌ عَلَى كُلِّ بَنِي الْكِبْرِيَاءِ [34].

يختم وصفه بأنه في تشامخ يتطلع إلى كل الحيوانات الشرسة والعنيفة المتعالية أنها أقل منه، فهو يشرف عليها كملكٍ صاحب سلطان، ليس من حيوان يقدر أن يقاومه. الكل يخضع له، وهو لا يخضع لأحدٍ.

يُدعى الأسد ملك الغابة أو ملك الحيوانات، إنه أحد أبناء الكبرياء، حيث يتشامخ بقدرته وإمكانياته. لكن أمام الحيوان المذكور هنا يفقد الأسد لقبه.

❖ إنه يتطلع إلى أسفل كمن هو فوق الكل، الذين هم تحته . في صراعه ضد خالقه يستخف بأن يُحسب أحد مثله... في هذا حسنًا قيل بالنبي: "ويل للحكماء في أعين أنفسهم، والفهماء عند ذواتهم" (إش 5: 21). هكذا يقول بولس: "لا تكونوا حكماء عند أنفسكم" (رو 12:

[آ] عظات على إرميا، عظة 14:5 ترجمة جاكلين سمير كوستى.

.(16

❖ "هو ملك على كل بني الكبرياء" . لوياثان هذا لكي يسقط في كل الأمور السابق ذكرها، ضرب نفسه بالكبرياء... لقد هاجم مسحة خلودنا بذات السلاح، وذلك كما حطم حياته المطوّبة. لكن الله قدم هذا في نهاية حديثه، إذ بإشارته لكبرياء لوياثان هذا بعد ذكر كل شروره يشير إلى أنها أشر الخطايا جميعها...

الإنسان الذي يتشامخ بلا خجل في ذهنه، يحل به الدمار سريعًا. مكتوب: "قبل الكسر الكبرياء" (أم 16: 18).

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لقد سقطنا تحت سلطان أعدائنا – أي "**مَلِكُ هذا الدهر**" وأعوانه من قوى الشر. نتيجة لهذا نشأت حاجتنا إلى الفداء بواسطة ذلك الذي يشترينا حتى نعود من حالة التغرب عنه. لذلك بذل مخلصنا دمه فدية عنا .... وإذ أن " **مغفرة الخطايا**"، وهي تتبع الفداء تصبح مستحيلة قبل أن يتحرر الإنسان، فلا بد لنا أولا أن نتحرر من سلطان ذلك الذي أخذنا أسرى واحتفظ بنا تحت سيطرته، وأن نتحرر بعيدا عن متناول يده، حتى نتمكن من أن نحظى بغفران خطايانا وبالبُرْء من جراحات الخطية، حتى ننجز أعمال التقوى وغيرها من الفضائل.

❖ والحق؛ أما إذا فضَّلنا الشهوة عن الله فـتملُك الخطيَّة علينا، حيث يقول الرسول: " إذًا لا تملُكنَّ الخطيَّة في جسدكم المائت" (رو 6: 12).

إذن ملِكان يبادران لكي يملُكا، تملُك الخطيَّة أو الشيطان على الأشرار، ويملُك العدل أو المسيح على الأبرار.

إذ كان إبليس يعلم أن المسيح جاء ليغتصب ملكوته، و يُخضع لقوته وسلطانه أولئك الذين كانوا قبلاً خاضعين للمخادع، "**أراه جميع ممالك المسكونة**" وكل سكان العالم، أراه كيف يملك على الواحد بالشهوة، وعلى الآخر بالبُخل، وثالث بحب المجد الباطل، ويأسِر آخرين خلال جاذبيَّة الجمال... وكأن الشيطان يقول له: أتريد أن تملك على كل الخليقة؟! وأراه الجموع غير المحصية التي تخضع له، والحق يُقال لو قبلنا أن نعرف في بساطة بؤسنا ونُدرك مصيبتنا لوجدنا الشيطان يملك في معظم العالم، لذلك يسمِّيه الرب "**رئيس هذا العالم**" (يو 12: 31؛ 16: 11). وعندما يقول إبليس ليسوع: أترى جميع الشعب الخاضع

لسلطاني؟ يكون قد أراه ذلك "في لحظة من الزمان "، إذ يحسب الوقت الحالي لحظة أن قورن بالأبديَّة... حينئذ قال إبليس للرب: أجئت لتصارع ضدِّي، وتنتزع عنِّي كل الذين هم تحت سلطاني؟ لا، لا تحاول أن تقارن نفسك بي، ولا تعرض نفسك لصعاب هذه المعركة. انظر كل ما أطلبه منك، "إن سجدت أمامي يكون لك الجميع".

بدون شك يريد ربنا ومخلِّصنا أن يملك، لكن بالعدل والحق وكل فضيلة... لا يريد أن يكلَّل كملكٍ بدون تعب (الصليب)...

أجابه الرب قائلاً: "**ملكتوب للرب إلهك تسجد، وإيّاه وحده تعبد**" (تث 6: 13). إرادتي هي أن يكون الكل لي يعبدونني، ولا يسجدون لغيري. هذه هي الرغبة الملوكيَّة. أتريدني أن أخطئ أنا الذي جئت لأبيد الخطيَّة وأُحرِّر الناس منها؟!

لنفرح ولنبتهج نحن إذ صرنا له، ولنُصَلِ إليه ليقتل الخطيَّة التي ملَكت في أجسادنا (رو 6: 6) فيملك وحده علينا[1].

العلامة أوريجينوس

من وحي أيوب 41

بك أغلب من غلب البشرية !

- ليس لي ما أقدمه لك سوى ذبيحة التسبيح، يا محب كل البشرية!
  جئت إلى عالمنا والتحفت بناسوتنا،
  صرت إنسانًا حقيقيًا، فطمع إبليس فيك.
  ظنك كسائر البشر تتحرى له في مذلة.
- قدمت له جسدك طُعمًا، فوثب ليلتهمه على الصليب.
  أمسَكت الصنارة الإلهية به،
  وصار من ظن في نفسه ملك العالم ألعوبة.
  سقط في الفخ، ورُبط لسانه كما بحبل الإيمان!
  سخرت به الفتيات الصغيرات. سقط من سماء قلوبهن كالبرق.
  انحط ليصير تحت أقدامهن.
  ظن أنه بكلمات اللين المخادعة يفلت من يدك.

---

[1] *In Luc. Hom 30:1-4.*

اعترف أنك قدوس الله.وأدرك أنك جئت لتقصيه عن مملكته.
ارتبك العدو، لكن في طغيانه استمر في شره.

❖ مزقت بصليبك عهدي مع عدو الخير.
حررتني من هذا الذي ظن أنه يستعبدني أبديًا.
عوض مذلتي له، صار هو ذليلاً،
لم تبطل مقاومته لي، لكنها لم تعد تحطمني، بك أغلب من غلب البشرية!

❖ لن أعود أثق في وعوده.
لن أدخل بعد في حوارٍ معه.
لن أفسد وقتي بكلماته!
يكفيني عهدك العجيب معي!
قدمته لي مكتوبًا بدمك على الصليب.

❖ في خداعه يتقدم لي أينما وُجدت.
على الأرض أراه يأكل العشب كالثور.
وفي البحر أراه كالتمساح يسبح.
وفي الجو يتراءى كالطير منطلق إلى الأعالي!
إنه يستخدم كل وسيلة ليضمني إليه.
يثير الشهوات ليجد الإنسان فيها لذة.
ويبث روح الكبرياء لينفخ المؤمن ببرَّه الذاتي.
يتراءى كأسدٍ ليرعب ناظريه.
ويظهر كملاك نورٍ ليخدع المؤمنين.

❖ يربط الأشرار به كأنها حراشف تمساح.
كل يتحد مع البقية ليكونوا جماعة صلبة مترابطة.
لا عمل لهم إلا أن يضموا كل يومٍ حراشف جديدة.
تهدأ ضمائرهم حيث يعمل الكل معًا.
باتحادهم معًا لا يتركون أحدًا منهم يفلت من أيديهم.
إذ لا يسمحون لنسمة النصح المقدس تتخللهم.

❖ ينفث العدو شر كبريائه من أنفه.
وتصدر مصابيح خادعة من فمه.
يملأ الجو بدخان الخداع بمعجزاته الكاذبة.
ويتسلل إلى عقول الفاسدين بنوره الكاذب.

❖ ينفث نارًا على أذهان الأشرار، فيجعلها نارًا مدمرة،
تلهب الملذات الشريرة فيهم.
يتشامخ برقبته الممدودة كصاحب سلطانٍ.
يبث روح البغضة والكراهية في العالم،
فيحول له قلوب الكثيرين إلى حجارة تحمل سمات قسوته.

❖ يا للعجب، فإن حربه ضد الكنيسة لا تهدأ. يريد أن يحول النفوس الحديدية إلى قشٍ تافهٍ،
والقلوب الصلدة كالنحاس إلى خشبٍ هزيلٍ.
يركز ضرباته على الكارزين بالحق،
ويوجه سيوفه ورماحه ضد العاملين في كرم الرب.
لم يتعظ من معركة الصليب.
إذ صار الأطفال بالصليب جنودًا أبطال،
وتحولت نبال قوسه إلى تبن واهنٍ!

❖ يا لحماقة إبليس! إنه لم يتعظ من درس الصليب!
في عنادٍ يحث أبناءه الأشرار على اضطهاد أولاد الله.
يسيطر على أفكارهم الدفينة ويخدعهم.
وفيما هم يقتلون الأبرار، يظنون أنهم يخدمون الله.
وهم يقاومون الحق يحسبون أنفسهم حاملين رائحة الحق الذكية.

❖ يلقى بالمؤمنين على السندان، ويضرب عليهم بكل قوته بالمطرقة،
يظن أنه قادر أن يَّشكلهم ليصيروا على شبهه.
لا يمنعه المصلوب من أن يضرب، لكن يحول مطرقته إلى قش بلا قوة!
وتصير تجاربه علة نصرة وأكاليل مجدٍ لأولاد الله.

الباب السادس

أيوب يستعيد ضِعْف ما فقده

أي 42

اَلأَصْحَاحُ الثَّانِي وَالأَرْبَعُونَ

عودة أيوب إلى المجد!

المشهد الأخير

جاء الأصدقاء الثلاثة إلى أيوب ليعزوه، وعوض التعزية كادوا أن يحطموا نفسه، ويفقدوه سلامه الداخلي. هذه هي تعزيات البشرية، إنها باطلة! أما الله وإن تحدث مع أيوب في شيء من الحزم، لكنه هو المعزي الحقيقي الذي وإن سمح بالتجربة يقدم المنفذ، وإن سمح بالجراحات فهو يشفي، بل ويمجد المجربين. إن كانت كلمات الله لأيوب دفعته لممارسة التواضع، فقد فتح له التواضع أبواب مخازن الحب الإلهي. ردّ الله لأيوب أكثر مما كان يتصور، إذ لم يبرره فحسب، بل وأقام منه شفيعًا عنهم، فصار رمزًا للسيد المسيح الشفيع عن البشرية المقاومة له.

نهاية مفرحة

1. إذ أظهر أيوب في إجابته على الرب خضوعًا عجيبًا، تجلى الرب أمامه. **أجاب الرب على أسئلته عمليًا**، فإن كان أيوب قد احتار بسبب ما أصابه من محنٍ وضيقاتٍ، جاءته الإجابة إنها طريق الغلبة على الشيطان وكل حيله، ونوال إكليل المجد مع التمتع برؤية الرب خلال نقاوة القلب. لقد وجد أيوب نفسه وهو في المزبلة كنزه الحقيقي المُشبع لكل احتياجات ه الداخلية، ألا وهو **رؤية الرب!**

2. **رد الرب على كل الاتهامات الموجهة ضده من أصدقائه** ، إذ شهد الرب له أمامهم، كما سبق فشهد له أمام الشيطان نفسه. "لم تقولوا فيَّ الصواب كعبدي أيوب" [7]. اتهمه الأصدقاء أنه شرير ومرائي، تقدماتهعن أبنائه غير مقبولة لدى الله، وهوذا الرب نفسه يعلن عن كهنوته، مطالبًا أصدقائه أن يطلبوا منه الصلاة من أجلهم وتقديم محرقات، لكي يزيل الله عنهم حماقتهم.

3. لقد طلب أيوب أن يلتقي مع الله وجهًا لوجه ويعرض عليه قضيته. الآن قد **التقى معه في الوقت المناسب** ، ولم يجد شكوى يقدمها للرب، فقد قبل أيوب سمو الله الفائق، وأدرك أن تصرفات الله لها أعماقها التي لا يمكن للعقل البشري أن يحدها.

4. **أدرك أيوب حقيقة نفسه ،** فقدم توبة في تواضع أمام الله [٥-٦]. إذ أعلن أيوب أنه ليس لديه دعوى نحو الله، عرف طريق إصلاحه، إنه يتحقق خلال نعمة الله المجانية، لا عن استحقاقه الذاتي.

5. تحقق إصلاح أيوب في اللحظة التي فيها **نسي آلامه، وتشفع في إخوته** . لقد قبل الأصدقاء أن يظهروا أمام المشهد كله أنهم في مركز الخطاة، وأنهم محتاجون إلى صلوات أيوب عنهم وشفاعته من أجلهم لدى الله. لم يضم الله أليهو إلى الأصدقاء الثلاثة حين دانهم، فمن أجل نقاوة قلبه وغيرته الصادقة نحو برّ الله، كان يكفيه أن يرى أيوب يتمجد في عيني الله وأن الأصدقاء الثلاثة يتشفعون به.

6. إذ انتهت المحاكمة لم يترك الله أيوب ليموت في وسط آلامه. فقد **وهبه ضِعف ما فقد من ممتلكاته وأيضًا ما يعادل أبناءه وبناته** ، لأن الذين رقدوا هم أحياء عنده. لقد أراد الله بنهاية حياة أيوب أن يعلن أنه يود أن يُسر الإنسان بعطايا الله ويتنعم بها ما دامت عيناه تتطلعان إليه وقلبه يقدم ذبيحة شكر وتسبيح.

7. خاب أمل الشيطان في أيوب، فقد نال صفعة مرة.

1- تواضع أيوب 1-4.

2- رؤيته للرب 5-6.

3- إدانة الأصدقاء 7.

4- أيوب الشفيع 8-9.

5- إزالة سبي أيوب 10-12.

6- بنين أيوب وبناته 13-15.

7- مات أيوب شيخًا 16-17.

1- تواضع أيوب

ليس من طريق للمجد سوى التمتع بروح التواضع المملوء حبًا، أي الشركة في سمات السيد المسيح بكونه المحبة الذي يدعونا. "تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم" (مت 11: 29).

فَأَجَابَ أَيُّوبُ الرَّبَّ: [1]

بينما كان الأصدقاء مصممين أن يعترف أيوب بخطاياه الخفية التي سببت له هذه

الكوارث المتلاحقة، وأن يسأل الله المغفرة عنها، إذا بالله لم يوبخه على خطايا خفية، وإنما قدم له أسئلة ليدرك عجزه عن فحص حكمة الله وخطته وتدبيره. كان يليق بأيوب أن يثق في رعاية الله الفائقة حتى حين يسمح له بتجاربٍ تبدو غير محتملة.

مهما بلغت حكمة الإنسان فإنه ككائنٍ خاضعٍ للزمن لا يقدر أن يدرك فكر الله، وأن يتعرف على مقاصده من جهة أبديتنا.

قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ،
وَلاَ يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ [2].

بعد أن اعترف بقدرة الله الفائقة، اعترف أيوب بجهله لخطة الله، وأنه كان يليق به أن يثق فيه دون تردد أو تساؤل. كأنه يقول له: "قوتك لا تحد، وحكمتك مطلقة، ألا يليق بي أن أسلمك كل حياتي بلا جدال؟!"

حقًا عندما تحل بنا التجارب، خاصة إن كانت ثقيلة ومفاجئة ومتلاحقة، يدور في أذهاننا الكثير من التساؤلات، منها:

- هل هذه التجارب هي تأديب لنا عن خطايا معينة؟ لنفحص ونتأمل في الله مخلصنا، فهو غافر الخطايا، ولا يعود يذكرها.
- هل هي حرب من الشيطان لتحطيمي؟ لست أخشى عدو الخير وكل حيله، فإن الله وهبني سلطانًا عليه، وصار موضعه تحت قدمي المؤمن.
- هل هي لامتحاني، كما حدث مع أيوب؟ فلأثق في السيد المسيح الذي يقويني ويهبني روح النصرة.
- هل هي لأسباب لا أعرفها؟ لأتواضع أمام الله، واثقًا في حكمته الإلهية غير المدركة.

❖ بعد أن أظهر الرب لخادمه الأمين كيف أن لوياثان عدوه قوي ومخادع، أجاب أيوب على الأمرين، قائلاً: "**لقد علمت أنك تستطيع كل شيء**"، **أما عن مكائده الخفية** فقد أضاف "**وليس من فكر مخفي عنك**"[آ].

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَمَنْ ذَا الَّذِي يُخْفِي الْقَضَاءَ بِلاَ مَعْرِفَةٍ!
وَلَكِنِّي قَدْ نَطَقْتُ بِمَا لَمْ أَفْهَمْ.

[آ] كما جاء في النص في كتابات البابا غريغوريوس (الكبير).

بِعَجَائِبَ فَوْقِي لَمْ أَعْرِفْهَا [3].

هذه العبارة مُقتبسة من كلمات الله القدير (أي 38: 2)، نطق بها ليوبخ أيوب على الطريقة التي استخدمها في شرحه لمعاملات الله. نطق بها الرب لأنه كثيرًا ما نخفي مشورة الله أو نشوهها بكلمات ننطق بها في جهالة...

كأنه يقول: أنا هو الرجل الذي بلا معرفة، فقد صارت خطيتي أمامي، ففي عدم معرفة لم أدرك مقاصدك الإلهية من جهة التجارب التي حلت بي.

في تواضع حقيقي وندامة يعترف أيوب أنه قد أخطأ في كلماته تحت ثقل ضغط الألم، ودخل في حوار بخصوص خطة الله كمن هو الند للند، مع أنه لا يستطيع ادراك خطة الله. كأنه يقول له: "أنا إنسان، نطقت بما لم أفهمه، أقحمت نفسي في أمورٍ إلهيةٍ عجيبة تفوق إدراكي!"

يرى **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن أيوب ينتقد لوياثان بهذه العبارة: [مع أن لوياثان يعمل في الخفاء ضد من يجربهم، لكنه لا يقدر أن يخفي شيئًا عن الدافع عن المجربين.]

❖ "**لذلك قد نطقت بغباوة، بأمور تفوق معرفتي**". كل حكمة بشرية، مهما كانت دقيقة تُحسب غباوة متى قورنت بالحكمة الإلهية. فإن كل الأفعال البشرية العاملة والجميلة، متى قورنت بعدل الله وجماله، لا تكون عادلة ولا جميلة، بل ولا وجود لها نهائيًا.

هكذا مع أن موسى قد تدرب على كل حكمة المصريين، إلا أنه عندما سمع الرب يتكلم للحال اكتشف أنه إنسان متردد وثقيل اللسان، قائلاً: "أسألك أيها السيد، لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس، ولا من حين كلمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان" (خر 4: 10)... هكذا أيضًا إرميا، إذ سمع كلمات الله، وجد نفسه ليس لديه كلمات ينطق بها، إذ يقول: "آه يا سيد الرب إني لا أعرف أن أتكلم لأني ولد" (إر 1: 6)...

انظروا كلما وبخ أيوب نفسه تقدم بالأكثر، واعتقد أن معرفته تزايدت بلا مقياس، لأنه تبين في كلمات الرب أسرار حكمته، فوق تصوره.

البابا غريغوريوس (الكبير)

اِسْمَعِ الآنَ وَأَنَا أَتَكَلَّمُ.
أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمُنِي [4].

لم يعد أيوب يتكلم لكي يحتج على ما حلّ به، وإنما في تواضع يتوسل لكي يكشف له الله عن حكمته، فإنه مشتاق أن يتعلم.

تغيرت لهجة أيوب، لم يعد يحاور الله كمن هو عالم بكل شيء، لكنه يعترف أنه محتاج إلى الله نفسه ليشرح له ما لا يدركه. إنه لا يكف عن أن يسأل لكي يهبه الرب فهمًا. يطلب في تواضعٍ أن يتعرف على الحق الإلهي.

الكلمة العبرية " shaa'al سأل" تحمل تواضعًا عميقًا ورغبة جادة في التعلّم. إنه يتوسل إليه لكي يعلمه.

لم يعد أيوب يطلب أن يدخل في حوارٍ وجدالٍ مع الله، لكنه يسأل أن يسمح له أن يجلس عند قدميه ويتعلم منه ما هي طرقه الإلهية غير المدركة.

❖ "**السمع**" بالنسبة لنا يعني أن نهيئ أذننا في موضع معين لتسمع صوتًا قادمًا من موضع آخر. أما بالنسبة لله الذي ليس فيه شيء خارجي، فالسمع هو أن يتطلع أن اشتياقاتنا التي تصعد إليه من أسفل. بالنسبة لنا الحديث مع الله العارف بقلوب حتى الساكتين، فهو ليس أن نتفوه بكلمات صادرة عن حنجرتنا، بل أن نشتاق إليه برغبات حارة. ولأن الشخص يسأل سؤالاً حتى يستطيع أن يتعلم شيئًا مما يجهله، فبالنسبة للإنسان أن يسأل الله تعني أن يدرك أنه جاهل في عينى الله. أما إجابة الله لكي يعلم إعلاناته السرية لمن في تواضع يعرف جهله...

أيوب نفسه كان يسأل الله خلال اشتياقاته وفي تواضع، وكان يطلب الإجابة من الله بتعليمه بإعلان يُقدم في الكلمات التالية. أعلن أيوب أنه يريد أن يقدم سؤالاً ومع هذا لم يقدم شيئًا على شكل سؤال.

البابا غريغوريوس (الكبير)

2- رؤيته للرب

بِسَمْعِ الأُذُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ،
وَالآنَ رَأَتْكَ عَيْنِي [5].

يعترف أيوب أنه ما كان قبلاً يعرفه عن الله هو خلال السماع عنه، فكانت معرفته عنه غامضة ومظلمة. لكن الآن يراه ويتمتع ببهائه، فينال معرفة مباشرة خلال الرؤيا. معرفته له صارت واضحة وبهية خلال استنارة عينيه الداخليتين.

يعترف أيوب أنه قد جاءت الإجابة إليه على غير ما يتوقع. ربما كان ينتظر من الله أن يكشف له خلال رؤيا أو حلم عن سبب ما حلّ به، فيستريح قلبه. ربما انتظر من الله أن يخبره بأن ما حلّ به لا يُقارن بجانب ما يعده له في الدهر الآتي. أما أن يظهر له الله ويتجلى أمامه، ويتحدث معه، فهذا ما لا يُمكن أن يتصوره.

حقًا أن رؤية الله سواء بالقلب خلال الإيمان أو وجهًا لوجه في يوم الرب العظيم لمكافأة فائقة! إن أقصى ما يبغيه الإنسان هو أن يرى الله.

❖ بهذه الكلمات يعلن بتأكيدٍ واضح جدًا أنه كما أن النظر أسمى من السمع، هكذا أيضًا صار التقدم الذي صار إليه خلال الألم، إذ جعله يختلف عن حاله السابق. وإذ يرى نور الحق بالعين الداخلية بأكثر وضوحٍ صار يميز بوضوحٍ ويرى ظلمة بشريته.

البابا غريغوريوس (الكبير)

لِذَلِكَ أَرْفُضُ وَأَنْدَمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ [6].

إذ رأى أيوب الرب اكتشف أيضًا نفسه أنه خاطي ودنس، كما حدث فيما بعد مع إشعياء، فإنه إذ رأى السيد تملأ أذياله الهيكل أدرك أنه نجس الشفتين (إش 6: 5). في دفاعه عن نفسه أمام أصدقائه كثيرًا ما حسب نفسه بارًا، إذ كان يقارن نفسه بالبشر المحيطين به. لكنه الآن استخف بنفسه أمام قداسة الله وبرَّه وجلاله. هذا ما فعله القديس بطرس الرسول حين صنع الرب معجزة وأدرك الرسول لاهوته، فصرخ: "يا رب أخرج من سفينتي، فإني إنسان خاطي" (لو 5: 8).

باطلاً بذل الأصدقاء كل جهدهم لإقناع أيوب أنه خاطي عظيم، أما حضرة الله فدفعت أيوب إلى التوبة من كل القلب بتواضعٍ وانسحاقٍ.

❖ كلما عجز الشخص عن رؤية نفسه يعجز عن الاستياء من ذاته. وكلما ميَّز نور النعمة العظمي، أدرك أنه ملوم بالأكثر... أن يندم الإنسان في التراب والرماد بعد تأمله في الكائن الأسمى هو أن يعرف الإنسان نفسه أنه لا شيء سوى تراب ورماد. لذلك فإن الرب يقول في الإنجيل عن المدينة الجاحدة: "لأنه لو صُنعت في صور وصيداء القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديمًا في المسوح والرماد" (مت 11: 21). فإن المسوح تعلن عن خشونة الخطية ووخزاتها، وأما الرماد فهو تراب الموتى. لهذا يُستخدم كلاهما عادة في الندامة، حتى نعرف ما نفعله خلال الخطية، وذلك بوخزات المسوح، وبأن نكون في تراب الرماد، فندرك

ما بلغناه خلال الحكم.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ بعين الإيمان يتطلعون إلي عدل الله، فلا يشتاقون إلي إقامة برِّهم الذاتي. إنهم يستهينون بأنفسهم، كما يقول أيوب، وينحلون ويحسبون أنفسهم ترابًا ورمادًا (أي 42: 6). هذا ما تعنيه العبارة: "**يعودون إلي ترابهم**"، ولكن إذ ينالون روح الله يقولون: "**لا أحيا أنا، بل المسيح يحيا فيّ**" (غل 2: 20). هكذا يتجدد وجه الأرض بمجموع القديسين خلال نعمة العهد الجديد [1].

❖ سيكون للعين قوة سامية متسعة. ليس قوة البصر الحاد، مثل تلك التي توصف بها الحيات والنسور، فإنها مهما بلغت حدة بصرها لا تقدر أن تميز إلا المواد الجسدية، وليس قوة إبصار غير الجسديات. هذه القوة العظيمة للرؤية التي ربما وُهبت لعيني القديس أيوب وهو بعد في الجسد المائت، حين قال لله: "بسمع الأذن قد سمعت عنك، والآن رأتك عيناي، لذلك أرفض وأندم في التراب والرماد" (أي 42: 5-6). هذا بالرغم من أنه ليس من سبب به نرفض فهم هذا بخصوص عين القلب التي يقول عنها الرسول: "مستنيرة عيون قلوبكم" (أف 1: 18). أما عن كون الله سيُرى بهذه العيون فهذا ليس من مسيحي يشك فيه، هذا الذي بالإيمان يقبل أن إلهنا وسيدنا يقول: "طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله" (مت 5: 8)، لكن سؤالنا هو هل سنرى الله أيضا في الحياة المقبلة بالعين الجسدية؟

القديس أغسطينوس

3- إدانة الأصدقاء

وَكَانَ بَعْدَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ مَعَ أَيُّوبَ بِهَذَا الْكَلاَمِ،
أَنَّ الرَّبَّ قَالَ لأَلِيفَازَ التَّيْمَانِيِّ:
قَدِ احْتَمَى غَضَبِي عَلَيْكَ وَعَلَى كِلاَ صَاحِبَيْكَ،
لأَنَّكُمْ لَمْ تَقُولُوا فِيَّ الصَّوَابَ كَعَبْدِي أَيُّوبَ [7].

إذ كان أيوب يعاني من ثقل الآلام، فإن ما نطق به عن الله يُحسب أفضل بكثير مما نطق به أصدقاؤه وهم غير مجَّربين ولا متألمين. ربما قد صدرت بعض كلمات غير لائقة من

---

[1] *Literal Meaning of Genesis, 10: 8 (14).*
[2] *City of God 22:29.*

أيوب، لكن الله كان يسمع كلمات قلبه وتنهداته وصرخاته الخفية، فحسبه أبرّ منهم.

أعلن الرب لأليفاز – أكبر الأصدقاء وأحكمهم – أن حكمهم على أيوب خاطئ، ليس فيه صوَّاب، لأنهم كانوا عاجزين عن إدراك حقيقة البار أيوب. إدانتهم لأخيهم أثار عليهم الغضب الإلهي.

بحسب المظهر الخارجي كان أيوب يبدو كمن هو متذمر على الحكم الإلهي بينما كان أصدقاؤه يدافعون عن أحكام الله. لكن بلغة القلب كان أيوب مبررًا أمام الله، وأما هم فكانوا مُدانين.

❖ يستمر الله في دعوة أيوب عبده، لكي يشير أنه قد مسح كل ما قد عبر من جهته. تكلم أيوب بالصدق عندما نطق بخصوص أعماله الصالحة، أما أنتم فبإدانتكم له لم تنطقوا بالصواب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لقد فُضل أيوب لدى الحكم الإلهي عن أولئك الذين كانوا يدافعون عن الحكم الإلهي... بإشارته إلى أيوب أنه "عبد" أشار الله أنه في كل دفاعه لم ينطق أيوب بكبرياء متشامخ، إنما بالحق المتواضع.

البابا غريغوريوس (الكبير)

4- أيوب الشفيع

وَالآنَ فَخُذُوا لأَنْفُسِكُمْ سَبْعَةَ ثِيرَانٍ وَسَبْعَةَ كِبَاشٍ،
ٍاذْهَبُوا إِلَى عَبْدِي أَيُّوبَ، وَأَصْعِدُوا مُحْرَقَةً لأَجْلِ أَنْفُسِكُمْ،
وَعَبْدِي أَيُّوبُ يُصَلِّي مِنْ أَجْلِكُمْ،
لأَنِّي أَرْفَعُ وَجْهَهُ لِئَلاَّ أَصْنَعَ مَعَكُمْ حَسَبَ حَمَاقَتِكُمْ،
لأَنَّكُمْ لَمْ تَقُولُوا فِيَّ الصَّوَابَ كَعَبْدِي أَيُّوبَ [8].

تصرف الرب العجيب يذهل الإنسان! فإنه وإن عاتب أيوب في حديثه الشخصي معه، وكشف له عن عجزه عن إدراك قوة الله وحكمته وخطته، إلا أنه أمام الأصدقاء الذين قاوموا أيوب يمجده. يحسبه شفيعًا عنهم أمامه.

هذه هي مسرة الرب أن يمجد مؤمنيه ويرفعهم أمام إخوتهم كما أمام السمائيين، ويدخل بهم إلى الأحضان الإلهية.

كان رقم 7 يُنظر إليه كرمزٍ للكمال، فكان رقمًا عامًا عند تقديم ذبائح حيوانية (لا 23: 18، عد 29: 32). حتى عند غير اليهود نجد بلعام يطلب من بالاق، ملك موآب، أن يعد هذا العدد من الذبائح (عد 23: 1، 29).

عجز الأصدقاء عن تقديم تعزية لصديقهم وسط شدة تجاربه، أما أيوب فقد زكَّاه احتمال التجارب لا ليتبرر في أعين أصدقائه فحسب، وإنما وهو بعد وسط الضيق، وقبل شفاء جسده واسترداد الممتلكات الزمنية وتمتعه بأبناء قادر أن يشفع أمام الله في أصدقائه الذين كادوا أن يحطموه!

ظن أصدقاء أيوب أنهم قادرون على إصلاح أيوب بحكمتهم وفلسفتهم البشرية، والآن يؤكد لهم الرب أنهم محتاجون أن يصلح أيوب من حياتهم بالصلاة.

- استخدم الله أصدقاء أيوب ليقدم شهادة عن فضيلة شخصية. وبنفس الطريقة أوضح خطورة خطأهم باستخدام هذه الوسيلة الاستثنائية لتقديم الذبيحة. فإنه ما كان يدعو إلى هذه الذبائح الضخمة لو لم تكن الخطية التي استوجبت هذا خطيرة. أبرز أيضًا أن الذبيحة وحدها غير كافية، إذ يقول من أجله لم أرد أن أعفيكم من خطيتكم. بهذا أيضًا أظهر أنه يغفر لهم من أجله... بهذا نتعلم أن اتهام البار ليس بالخطية الهينة لكي يُكفر عنها.

- الصلوات (التي للآخرين عنا) لها نفع عظيم عندما نساهم نحن أيضًا من جانبنا. أتريدون أن تعرفوا مدى نفع الصلوات؟ أقول، تأملوا كرنيليوس وطابيثا (أع 3:10، 36:9). اسمعوا أيضًا يعقوب قائلاً للابان: "لولا مهابة أبي كانت معي لكنت الآن قد صرفتني فارغًا" (تك 42:31). اسمعوا أيضًا الله قائلاً: "أحامي عن هذه المدينة من أجل نفسي ومن أجل داود عبدي" (2 مل 6:20). ولكن متى؟ في أيام حزقيا الذي كان بارًا. إذن إن كانت الصلوات تفيد حتى بالنسبة للأشرار جدًا، فلماذا لم يقل الله هذا عندما جاء نبوخذنصر، ولماذا سلَّم المدينة؟ لأن الشر غلب بالأكثر. أيضًا صموئيل نفسه صلى عن الإسرائيليي ن وانتصر. ولكن، متى؟ عندما هم أيضًا سروا الله، عندئذ حاربوا الأعداء. تقولون: وما هي الحاجة إلى صلاة الغير إن كنت أنا نفسي أسر الله؟ لا تقول هذا يا إنسان. نعم توجد حاجة وحاجة إلى صلاة أكثر. اسمعوا الله يقول عن أصدقاء أيوب: " **عبدي أيوب يصلي من أجلكم فتغفر خطاياكم**" (راجع أي 8:42). حقًا لقد أخطأوا، لكن ليست خطية عظيمة. لكن هذا البار الذي أنقذ أصدقاءه بالصلاة، في الوقت الذي فيه لم يكن اليهود قادرين على إنقاذ الهالكين.

لقد تعلموا هذا؛ اسمعوا الله يقول بالنبي: "إن وقف نوح ودانيال وأيوب، إنهم لا يخلصون بنيهم وبناتهم" (راجع حز 14:14، 16). فقد انتصر الشر. مرة أخرى: "وإن وقف موسى وصموئيل..." (إر 1:15). أنظروا قيل هذا عن النبيي ن، لأن كليهما صليا عنهم، ولم ينتصرا[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ انظروا إلى الله العادل الرحيم ، فإنه لم يترك أخطاءهم دون أن يوبخهم ، ولا ترك جريمتهم دون هداية. فإنه إذ هو طبيبنا الداخلي، يظهر أولاً فساد جرحنا، وبعد ذلك أشار إلى العلاج لنوال الصحة. وقد سبق فقلنا أن أصدقاء الطوباوي أيوب يمثلون الهراطقة، الذين يقاومون الله، بينما يسعون للدفاع عنه. فإنهم بكلماتهم يثورون ضد الحق وهم يظنون أنهم يخدمونه بمزاعمهم الباطلة.

يجب ملاحظة أنهم قد أُمروا أن يقدموا للرب ذبيحة عن اهتدائهم، لا يقدمونها بأنفسهم، بل خلال أيوب. بلا شك عندما يرجع الهراطقة عن خطأهم، لا يستطيعون أن يهدئوا سخط الله من نحوهم بتقديم ذبيحة بأنفسهم... ما لم يرجعوا إلى الكنيسة التي يشير إليها أيوب... كأن الله يقول للهراطقة بصراحة: لا أقبل ذبائحكم. لا أستمع إلى كلمات توسلاتكم إلا من خلال شفاعة الكنيسة التي كلمات اعترافها بخصوصي حقيقية... خلالها وحدها يقبل الله الذبيحة وهي وحدها تشفع بثقة في الذين يخطئون.

البابا غريغوريوس (الكبير)

فَذَهَبَ أَلِيفَازُ التَّيْمَانِيُّ وَبِلْدَدُ الشُّوحِيُّ وَصُوفَرُ النَّعْمَاتِيُّ،
وَفَعَلُوا كَمَا قَالَ الرَّبُّ لَهُمْ.
وَرَفَعَ الرَّبُّ وَجْهَ أَيُّوبَ [9].

"**قبل الرب أيوب**"، أي قبل صلواته وتقدماته لصالح أصدقائه.

يقول الحكيم: "نهاية أمر خير من بدايته" (جا 7: 8). لم يمنع الرب الشيطان من أن يجرب أيوب، ولا منع زوجة أيوب وأصدقاءه من مقاومته والسخرية به واتهامه ظلمًا، لكنه في الوقت المناسب رفع وجهه أمام العالم كله، بل وبقي وجهه مرفوعًا عبر الأجيال، ويرفعه بالأكثر في يوم الرب العظيم.

---

[1] *Homilies on Thessalonians, homily. 1.*

لم يرسل له ملاكًا ولا رئيس ملائكة ولا شاروبًا أو ساروف ليعزيه ويطمئنه، بل نزل الرب بنفسه ليرفع وجهه.

❖ عندما فقد أيوب كل ثروته، وعندما فقد بنيه، بدت كل الأشياء تعمل ضده (أي 1: 13-21) ، ولكنه إذ أحب الرب عملت كل الشرور التي حلت به معًا لصالحه (أي 42: 9-17). قروح جسمه أعدته لإكليل السماء. قبل زمن التجربة لم يتحدث الله معه قط؛ أما بعد التجربة فقد جاءه الله وتحدث معه في ودٍ، كصديق مع صديقه. لتحل الكارثة، ولتأتِ كل فاجعة، مادام المسيح قادم بعد الكارثة [1].

القديس جيروم

يليق بنا التدقيق في عبارة: "**رفع الرب وجه أيوب**"، فإذ غفر الله لأصدقائه من أجل صلواته عنهم، حسب الله هذه العطية مقدمة لأيوب نفسه. كان قلب أيوب بسيطًا ومتسعًا بالحب حتى لمقاوميه، فخرجت الصلاة عنهم كما لو كانت تخصه هو، فهم موضوع حبه!

❖ يليق ملاحظة أن العفو الذي نالوه قد تم بحرصٍ هكذا كما أعلن الرب، فإن الرب لم يرفع وجوههم بل وجه أيوب الطوباوي.

البابا غريغوريوس (الكبير)

5- إزالة سبي أيوب

وَرَدَّ الرَّبُّ سَبْيَ أَيُّوبَ لَمَّا صَلَّى لأَجْلِ أَصْحَابِهِ،
وَزَادَ الرَّبُّ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لأَيُّوبَ ضِعْفًا [10].

هذا التعبير يستخدم عندما يسترد الإنسان وضعه وإمكانياته فيكون كمن تحرر من السبي ورجع إلى بلده يمارس حياته في حرية وكرامة.

لا يعني هذا انه نال ضعف ما كان يملكه فجأة، وإنما يمكن أن يكون ذلك قد تحقق تدريجيًا.

ليس عجيبًا أن يُقال عن أيوب: " **رد الرب سبي أيوب لما صلى لأجل أصحابه** ". فإنه تمتع بالحرية الداخلية عندما رفع قلبه وفكره كما يديه من أجل مقاوميه كي يصفح الله عنهم. ليس من طريق للتمتع بالحرية سوى انفتاح قلوبنا بالحب، ليس فقط لأحبائنا وأقربائنا، وإنما حتى لمقاومينا ومضطهدينا.

---

[1] *Homilies on Ps. 6.*

إذ احتمل أيوب التجارب دون أن يجدف على الله، بل كان مشغولاً بملكوت الله، لذا نال مكافأة مضاعفة حتى في هذا العالم. يقول السيد المسيح: "الحق أقول لكم، إن ليس أحد ترك بيتًا أو والدين أو إخوة أو امرأة أو أولادًا من أجل ملكوت الله، إلا ويأخذ في هذا الزمان أضعافًا كثيرة، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية" (لو 18: 29-30).

الله الذي لا ينسى من يقدم كأس ماء بارد، حتمًا يرد لنا أضعاف ما نقدمه بطريق أو آخر في هذا العالم كما في العالم الحاضر. قد لا يهبنا مكافآت مادية لكنه وسط الضيق يهبنا فرحًا داخليًا وسلامًا سماويًا وتعزيات إلهية وشبعًا للنفس، وسعادة دائمة!

"**رد الرب سبي أيوب** ": تعبير شرقي يعني أن الرب رد له ازدهاره السابق. كانوا يتطلعون إلى من فقد نجاحه وخيراته كمن صار في سبي أو سجن يود التحرر منه. يقول المرتل : "أخرج نفسي من الحبس، فأسبح اسمك " (مز 142: 7) [1].

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الله كرم عبده أيوب حيث غير طبيعة الأرض، فصارت تنتج له ثمارًا مضاعفة على غير العادة. هكذا يغير الله قوانين الطبيعة لأجل تكريم الذين يكرمونه.

[عرفت الأسود دانيال فانضبطت. جاء ابن الإنسان إلينا ونحن لم ننضبط!

لقد فضلت الأسود أن تموت جوعًا ولا تلمس جسم القديس، ونحن نرى المسيح يتعرى ويموت جوعًا (في إخوته) ولا نقدم لهم ما هو فائض عنا، بل نحيا في ترفٍ ونتجاهل القديسين. مرة أخرى الأرض قدمت لصديق آخر لله (أيوب) عطايا كثيرة هكذا من أحشائها، فقدمت محصولاً لم يحدث من قبل .]

❖ أما ترون ماذا يعني أن نفقد شيئًا من أجل الله؟ إنها تعني أن تستردوه مضاعفًا. تعدكم الأناجيل بما هو أكثر. "**مائة ضعف**" بجانب الحياة الأبدية (مت 19: 29) في المسيح يسوع[2].

العلامة أوريجينوس

❖ جعل صلواته أكثر فاعلية لحسابه عندما قدمها لصالح الآخرين. فإن ذبيحة الصلاة تُقبل بالأكثر في عيني الديان الرحيم عندما تحمل نسمة الحب للقريب. ويضيف الشخص من

---

[1] *James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, Logos International Plainfield. N J, 1972, p. 215-216.*
[2] *On Ps.12*
[3] *On Genesis, homily 8.*

فاعليتها إن قدمها لأجل أعدائه. فإن الحق الذي هو معلمنا يقول: "صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم" (لو 6: 28). مرة أخرى يقول: "ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحدٍ شيء لكي يغفر لكم أيضًا أبوكم الذي في السموات زلاتكم" (مز 11: 25).

❖ قيل ليهوذا المتألمة: "لحيظة تركتك، وبمراحم عظيمة سأجمعك" (إش 54: 7)... فإن الذى ضُرب بسماح من الله تألم بكلمات أصدقائه أيضًا، وعندما تعزى بواسطة عطايا الرحمة الإلهية تأهل أيضًا أن يتعزى بالحب البشري، فكما أن الآلام ومتاعب الألم جرحته من الجانبين هكذا أفراح التعزيات تتقابل من كل جانب.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لقد قرأ (الرسول بولس) أن إبراهيم عندما اعترف أنه نفاية ورماد وجد نعمة الله في تواضعه الشديد (تك 18: 27). وقرأ أن أيوب إذ جلس في كومة مزبلته استرد كل خسائره (أي 2: 8، 42: 10–17) وقرأ نبوة داود: "**يقيم الله المحتاجين من الأرض، ويرفع البائس من المزبلة**" (مز 113: 7)[1].

القديس أمبروسيوس

❖ كما قلت، كثيرون دعوا لله وأُنقذوا للحال دون انتظار الحياة العتيدة. أيوب كمثالٍ سُلم إلي الشيطان بناء على طلبه مبتليًا ومملوء دودًا، لكنه نال في هذه الحياة صحته واستعاد ضعف ما خسره. بينما الرب جُلد ولم يوجد من يعينه .

القديس أغسطينوس

ما تمتع به أيوب يحمل صورة أو رمزًا لما نتمتع به نحن في المسيح يسوع، حيث رد سبينا نحن الذي استعبدنا أنفسنا لإبليس، وقدم لنا أمجادًا مضاعفة.

فَجَاءَ إِلَيْهِ كُلُّ إِخْوَتِهِ وَكُلُّ أَخَوَاتِهِ وَكُلُّ مَعَارِفِهِ مِنْ قَبْلُ،
وَأَكَلُوا مَعَهُ خُبْزًا فِي بَيْتِهِ،
وَرَثُوا لَهُ وَعَزُّوهُ عَنْ كُلِّ الشَّرِّ الَّذِي جَلَبَهُ الرَّبُّ عَلَيْهِ،
وَأَعْطَاهُ كُلُّ مِنْهُمْ قَسِيطَةً وَاحِدَةً،
وَكُلُّ وَاحِدٍ قُرْطًا مِنْ ذَهَبٍ [11].

---

[1] *On Penitence, 2:1:4.*
[2] *On Ps. 21, Discourse, 2, 8.*

أظهر أصحابه ومعارفه أن مقاومته م له كانت عن جهلٍ، إذ وجههم الرب إلى الحق خضعوا من كل القلب بإخلاص، واعترفوا بخطأهم، وجاءوا بتقدمات لأيوب رجل الله.

واضح من هذا النص أن إخوته وأخواته لم يأتوا إليه طوال فترة تجربته، مما جعل التجربة أكثر مرارة. فإنه حتى أقرب من له لم يقتربوا إليه لتعزيته ومساعدته (راجع أي 19: 13-14).

قدم كل شخص له قطعة من الفضة؛ جاءت في الترجمة السبعينية "قدم حملاً".

كانت عادة قديمة أن يقدم الأصدقاء هدايا لمن خرجوا من ضيقة، كما حدث مع حزقيال (2 أي 32: 23).

لا يزال في بعض مناطق الشرق عندما يسقط إنسان في ضيقة يفتقده أصدقاؤه وأقرباؤه ويقدمون له هدايا ليعوضوه عما فُقد منه ويسندوه في ضيقته، وكتعبيرٍ عن اشتياقهم للعودة إلى ما كان عليه من ازدهار[1].

يري **البابا غريغوريوس (الكبير)** أن إخوة أيوب وأخواته الذين استخفوا بأيوب أثناء محنته رجعوا إليه يقدمون هدايا عندما رد الرب سبيه، هؤلاء يشيرون إلى اليهود الذين استخفوا بالسيد المسيح عند آلامه وصلبه ولم يؤمنوا، فإنه إذ يأتي إيليا في آخر الأيام يرد الكل إليه (رو 11: 25-26).

وَبَارَكَ الرَّبُّ آخِرَةَ أَيُّوبَ أَكْثَرَ مِنْ أُولاَهُ.

وَكَانَ لَهُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْغَنَمِ

وَسِتَّةُ آلاَفٍ مِنَ الإِبِلِ

وَأَلْفُ زَوْجٍ مِنَ الْبَقَرِ وَأَلْفُ أَتَانٍ [12].

في اختصار شديد خُتم السفر بتحويل نيران التجربة المحرقة إلى نيران مجد سماوية، هذا هو سرّ الألم العجيب ! إنه سرّ المجد الحقيقي.

6- بنين أيوب وبناته

وَكَانَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَثَلاَثُ بَنَاتٍ [13].

آخر مرة أشير فيها إلى زوجته هي في أي 19: 17، حيث يئن أيوب بأن نَفَسَه كان

[1] *James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, Logos International Plainfield. N J, 1972, p. 216.*

غريبًا بالنسبة لها. هذا دفع البعض إلى الاعتقاد بأن أبناء وبنات أيوب كان من زوجة ثانية (ربما بعد وفاة الأولى).

يرى **العلامة أوريجينوس** أن الأبناء والبنات يشيرون إلى عطايا الله للمؤمن؛ الأبناء يرمزون لأعمال الروح الصالحة، والبنات أعمال الجسد المقدسة في الرب. فولادة البنين والبنات تشير إلى عمل روح الله الذي يقدس الروح والقدس، ليحمل المؤمن ثمار الروح في كل كيانه.

في يوم الرب العظيم يقف أيوب أمام الرب قائلاً: "ها أنا والأولاد الذين أعطاهم الرب". هكذا يليق بكل مؤمن أن يكون ولودًا، لا يكف عن أن يلد – في الرب– أولادًا مقدسين.

وَسَمَّى اسْمَ الأُولَى يَمِيمَةَ،
وَاسْمَ الثَّانِيَةِ قَصِيعَةَ،
وَاسْمَ الثَّالِثَةِ قَرْنَ هَفُّوكَ [14].

ذكرت أسماء البنات هنا للتعبير عن جو السعادة والفرح الذي ساد العائلة:

"يميمة"، جاءت في السبعينية Heameram وتعني نهارًا، فكان جمالها كنور النهار. جاءت في النسخة الكلدانية الملاحظة الآتية: "أعطاها اسم يميمة، لأن جمالها مثل النهار". لاحظت النسخة السبعينية والفولجاتا والكلدانية أن "يميمة" مشتقة من الكلمة العبرية " يوم Yowm". فقد انتقل أيوب من ليل التجارب إلى نهار الفرح. فقد أشرق النور على خيمته.

جاءت الملاحظة التالية في الكلدانية: "كانت ثمينة مثل الكاسيا". وقد وردت الكاسيا في (مز 45: 8) بين الأطياب الثمينة.

الثالثة تحمل اسمًا لطلاء يستخدم لرمش العين eye-lashes لكي تظهر العين أكثر اتساعًا وجمالاً، حيث أن العيون المتسعة إحدى علامات الجمال في الشرق.

يقول Rosenmuller في تعليقه هذه على العبارة أن كاتبًا يهوديًا يُدعى سليمان يركي Solomon Jarichi يلاحظ أن أسماء بنات أيوب تشير إلى جمالهن كما جاء في الآية 15. الاسم الأول يميمة Jemima ويمثل يوما صافيا يحمل بهاء جماله. وبحسب هيسيخيوس يعنى يومًا وهو كناية عن ديانا. الاسم الثاني قصية Kezia ويعنى كاسيا Cassia وهي من أثمن العطور القديمة. الاسم الثالث قرن هفوك Keren-Happuch ويعنى قرن دهن للعين يطفي على العين جمالاً. بمعنى آخر إنها إناء مصنوع من القرن تحتفظ فيه النساء الشرقيات بمادة لتجميل عيونهن. لاحظ توماس رو Thomas Roe في سفرياته أن الفارسيين اعتادوا أن يعطوا نسائهم أسماء تعني عطورًا أو أطياب أو لآلئ أو حجارة كريمة أو أي شيء جميل ومبهج.

يرى Gesenius أن يميمة مشتقة عن الكلمة العربية "يمامة" أو حمامة. ود. الكسندر في Kitto Cyclopedia يعرف قرن هفوك بأنها قرن الزينة أو الجمال [1].

يرى **القديس غريغوريوس النيسي** أن بنات أيوب الثلاث دعين هكذا:

"**يوم**" وكما يقول الرسول أننا صرنا أبناء نهار نعيش في طهارة (أف 5: 8).

كاسيا cassia حيث تظهر نقاوة وعبيرًا طيبًا.

قرن ألماثيا Almatheia، وقد جاء في الروايات اليونانية أنه كانت توجد ألماثيا التي لها ماعز بري يُشغف بالماعز الكريتي الذي سقط قرنه، وقد فاض منه كل أنواع الثمار.

يرى **البابا غريغوريوس** أن الجنس البشري يمر بثلاث مراحل:

1. المرحلة الأولى عندما خُلق الإنسان فكان نهارًا كالابنة الأولى.
2. المرحلة الثانية عندما يتمتع الانسان بالخلاص فتفوح فيه رائحة المسيح فيصير كاسيا.
3. المرحلة الثالثة عندما نلتقي بالله وجهًا لوجه ونشارك السمائيين، فنحسب أشبه بآلة موسيقى "القرن".

❖ ما هو السبب أن الابنة الأولى لأيوب تُدعى يومًا، والثانية كاسيا والثالثة قرن هفوك cornustibii، إلا أن كل الجنس البشري الذي أُختير بحنوة خالقه، وبرحمة ذات المخلص ليُشار إليهم بهذه الاسماء... يشرق الجنس البشري ببهاء على الخليقة بنور البراءة. وبعد ذلك عندما يخلصون تفيح منهم رائحة عذبة بممارسة الأعمال الصالحة. لهذا دُعيت الابنة الأولى نهارًا والثانية ليس بدون لياقة كاسيا. حسنًا دُعيت كاسيا حيث يفوح منها رائحة الحياة السامية بقوة. وأيضًا قيل بالنبي عن ذات المخلص عند مجيئه: "كل ثيابك مرّ وعود وسليخة (كاسيا)، من قصور العاج سرَّتك الأوتار" (مز 45: 8)... ولكن لأن الجنس البشري، في حالته الثالثة، حتى عندما يتشكل من جديد لقيامة الجسد، ينشغل تناغم التسبحة الأبدية، تدعى الابنة الثالثة "قرن هفوك". ماذا يعني بـ cornustibii. إلا تسبحة الفرحين؟ فإنه بالحق يتحقق ما يُقال بالنبي: "سبحوا الرب تسبحة جديدة" (مز 149: 1). بالحق تتحقق عندما يُسبح بتسبحة الحمد لله، ليس بعد بالإيمان بل بالتأمل في شخص ذاك الذي

---

[1] *James M. Freeman: Manners and Customs of the Bible, Logos International Plainfield. N J, 1972, p. 216.*

[2] *Cf. Commentary on Song of Songs, homily 9.*

جعل الجنس البشري نهارًا، بخلقته إياه وكاسيا بتقديم الخلاص له، وقرن هفوك باقتنائه له. فنحن الذين كنا نورًا عندما خلقنا، الآن صرنا كاسيا بخلاصنا، وأخيرًا نصير قرن هفوك عندما ننشغل بالتسبيح الأبدي.

البابا غريغوريوس (الكبير)

وَلَمْ تُوجَدْ نِسَاءٌ جَمِيلاَتٌ كَبَنَاتِ أَيُّوبَ فِي كُلِّ الأَرْضِ.
وَأَعْطَاهُنَّ أَبُوهُنَّ مِيرَاثًا بَيْنَ إِخْوَتِهِنَّ [15].

عند اليهود كانت الابنة ترث والديها متى لم يكن لها أخ ولد (عد 27: 8).

- ❖ نفوس المختارين تفوق بجمالها الباهر كل الجنس البشري، الذين على الأرض.
- ❖ عندما يأتي مخلصنا الرؤوف، لا ييأس أحد قط بسبب ضعفه من نواله الميراث السماوي. فإن أبانا يهب للنساء أيضًا حق الميراث مع الذكور، فيجمع الضعفاء والمتواضعين مع الأقوياء والكاملين لينال الكل نصيبًا في الميراث السماوي. يقول الحق نفسه في الإنجيل: "في بيت أبي منازل كثيرة" (يو 14: 2).

البابا غريغوريوس (الكبير)

7- مات أيوب شيخًا

وَعَاشَ أَيُّوبُ بَعْدَ هَذَا مِئَةً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً،
وَرَأَى بَنِيهِ وَبَنِي بَنِيهِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَجْيَالٍ [16].

حسب الترجمة السبعينية عاش أيوب 170 سنة بعد التجربة، فكانت كل أيام حياته 240 سنة، أي حلت التجربة في سن السبعين من عمره.

رؤية الأحفاد كانت علامة من علامات البركة الممنوحة للأتقياء كما جاء في مزمور 128: 6.

ثُمَّ مَاتَ أَيُّوبُ شَيْخًا وَشَبْعَانَ الأَيَّامِ [17].

أختبر أيوب في حياته كيف يعيش مع الله وهو أعظم رجال المشرق في ذلك الحين، وكيف يعيش مع وسط الآلام المرة، جالسًا في المزبلة يغطيه الدود، ويهاجمه الأصدقاء، ولا يسأل عنه أقرب من له. ذاق الحزن والفقر والضيق بصورة لم يختبرها أحد من قبله ولا من بعده. ذاق حياة الرخاء وحياة المرارة، وكأنه قد عاصر في حياته رعاية الله للإنسان في كل

الظروف.

من وحي أيوب 42

لأراك وسط أتون التجارب

❖ شهدت لأيوب أنه بار ومستقيم،
أفضل كل أهل زمانه،
لكنه لم يتمتع برؤياك سوى في أتون التجارب.
أعترف لك بضعفاتي وخطاياي.
في حبك لي سمحت لي بضيقات مُرة،
فإنك تود أن تتجلى لي،
أراك فأتهلل بك.

❖ تعزيات الناس كثيرًا ما تزيد آلامي.
ليس من يقدر أن يشاركني آلامي سواك.
كلماتك تدخل كالسهام في قلبي،
تجرحني جراحات حب فائق.
أكتشف حقيقتي كترابٍ ورمادٍ،
وأدرك أنك تقيم من ترابي سماءً،
وعوض الرماد يصير قلبي هيكلاً مقدسًا لك.

❖ كلماتك تعدني لأراك بعيني قلبي.
فتتهلل نفسي مع أيوب الجريح قائلاً:
بالسمع سمعت عنك، الآن رأتك عيناي!

❖ هب لي مع أيوب المجرَّب أن أفتح قلبي للساخرين بي.
لا أكف عن الصلاة من أجلهم بحبٍ صادقٍ.
بل وتنسحق نفسي أمامك،
لكي يتمتع العالم كله برؤياك،
ينعمون معي بعطاياك الفائقة.

❖ وهبت لأيوب سبعة بنين وثلاث بنات،

هب لي أن أكون أبًا لكثيرين.
أينما وُجدت يعمل روحك لجذب الكثيرين إليك!
لن تستريح نفسي حتى أرى العالم كله أبناءك وبناتك!

❖ هب لي شيخوخة مقدسة،
لكل يوم من أيام غربتي ثمرة روحي،
يُحسب في عينيك كألف سنة حسب وعدك الإلهي!